

جامعة مؤته
عمادة الدراسات العليا

القبائل العربية في بلاد الشام في السياسة المملوكية
(٦٥٨- ٧٨٤هـ)

إعداد الطالبة
آمنة محمود عودة الذيابات

إشراف
الأستاذ الدكتور أحمد عبدالله الحسو

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصـول على درجة
الدكتوراه فـي التاريخ قسم التاريخ
جامعة مؤته، ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم



MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة آمنه محمود الذيابات الموسومة بـــ:

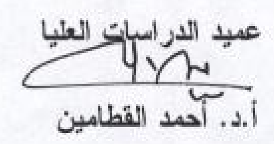
القبائل العربية في بلاد الشام في السياسة المملوكية (658-784هـ)

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في **التاريخ**.

القسم: التاريخ.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. أحمد عبدالله الحسو		2006/5/21	مشرفاً ورئيسا
أ.د. عبدالعزيز عبدالكريم الدوري		2006/5/21	عضواً
أ.د. حسين فلاح الكساسبة		2006/5/21	عضواً
أ.د. زريف مرزوق المعايطة		2006/5/21	عضواً

عميد الدراسات العليا



أ.د. أحمد القطامين



MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني

الإهداء

إلى والدي أطال الله في عمره. إلى والدتي متمنية لها الشفاء. وإلى أخواني وأخواتي. أهدي هذا الجهد المتواضع.

آمنة محمود الذيابات

الشكر والتقدير

أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الدكتور أحمد عبد الله الحسو الذي أشرف على هذه الرسالة لجهوده الكبيرة ومتابعته الدائمة التي يصعب علي وصفها، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة مؤته ورئيسه الدكتور سليمان الصرايرة وإلى الأساتذة الأفاضل فيه لما بذلوه معي طوال سنين دراستي، كما أشكر أساتذتي في قسم التاريخ بجامعة اليرموك الذين درست على يدهم في المرحلة الأولى من هذه الدراسة كما يسعدني أن أشكر مكتبة جامعة مؤتة ومكتبة الجامعة الأردنية لما قدمتاه من عون.

كما أتوجه بالامتنان والتقدير والشكر إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري والأستاذ الدكتور حسين الكساسبة والأستاذ الدكتور زريف المعايطة.

كما أتقدم بالشكر إلى السيد زهير البطوش مدير مؤسسة رام للتكنولوجيا والكمبيوتر، وجميع الأخوة والأخوات في المؤسسة لتسهيلهم مهمة الطباعة، ولكل من ساهم في المساعدة لهم مني جميعاً جزيل الشكر.

آمنة محمود الذيابات

فـــهرس المـــحتويات

قائمة الملاحق

قائمة المختصرات

الرمز	المختصرات
ت	تاريخ الوفاة
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
ق	قسم
هــ	هجري
م	ميلادي
مج	مجلد
د. ت	دون تاريخ
د. ط	دون طبعة
د. ن	دون ناشر
P	Page
Vol.	Volume

ملخص

القبائل العربية في بلاد الشام في السياسة المملوكية (٦٥٨- ٧٨٤هـ)

آمنة محمود عودة الذيابات

جامعة مؤته، ٢٠٠٦

تحرت الباحثة في أطروحتها هذه دراسة مكانة القبائل العربية في بلاد الشام في السياسة المملوكية في عصر دولة المماليك البحرية (٦٥٨- ٧٨٤هـ)، مركزة على تقديم تصور واضح عن ذلك.

تضمنت الدراسة مقدمة وثلاثة فصول **الفصل الأول**: فقد تم في القسم الأول منه توضيح الوجود العربي في بلاد الشام قبل الإسلام، في حين تناول القسم الثاني منه إعطاء لمحة عن دور القبائل العربية في بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية الحكم الأيوبي (١٣هـ-٦٥٨هـ)، أما الثالث منه فتضمن دراسة واقع القبائل العربية في بلاد الشام خلال عصر دولة المماليك البحرية.

وقسم **الفصل الثاني** إلى قسمين: الأول يتعلق بالسياسة المملوكية في عهد الظاهر بيبرس أما القسم الثاني فقد تناول السياسة المملوكية تجاه القبائل العربية عقب وفاة الظاهر بيبرس وحتى بداية عصر الناصر قلاوون.

وشمل **الفصل الثالث**: ثلاثة فروع يتعلق الأول منها بالسياسة المملوكية تجاه القبائل العربية في عهد الناصر محمد، أما الثاني فيتعلق بامتيازات والتزامات القبائل العربية الشامية في هذه العصر في حين خصص الثالث للسياسة المملوكية تجاه القبائل العربية في عصر أبناء وأحفاد الناصر محمد.

وقد أنهيت الدراسة بتقييمٍ لسياسة دولة المماليك البحرية تجاه القبائل العربية ثم بقائمة المصادر والمراجع وعددٍ من الملاحق تضمنت تقاليد ومراسيم لأمراء عرب

وجدول بالسنوات الهجرية وما يقابلها بالميلادية وكشاف بالأعلام وآخـــر بالأمـــاكن والشعوب والقبائل وآخر بالمصطلحات.

Abstract

The Position of The Arab Syrian Tribes In The Mamluk Policy (٦٥٨- ٧٨٤ A.H)

Amneh Mahmoud u'da Al- Dhyabat

Mu'tah University, ٢٠٠٦

This thesis tries to study the position of the Arab Syrian train in the Mumluk policy during the Bahri dynasty reign (٦٥٨- ٧٨٤ A,H). It's main objective is to reach a clear image of this policy.

The study includes an introduction and three chapters and a conclusion in addition to several related appendixes.

The first chapter deals with the tribal Syrian Arab since their first existence during the old ages till the late Abbasid period.

The second chapter investigates the Bahri Mamluk policy towards the Arab Syrian tribes during the reign of Al- Zahir Bibars (٦٥٨- ٦٧٦ A.H).

The second chapter investigates the Mumluk policy towards the Arab tribes during the reign of Al- Mansur Qalawun (٦٧٨- ٦٨٩ A.H) and of his successors (٦٨٩- ٦٩٨ A.H).

The third chapter investigates the Bahri Mumluk policy towards the Arab Syrian tribes during the reign of Al- Nasir Muhammad (٦٩٨- ٧٠٨ A.H) (٧٠٩- ٧٤١ A.H) and of his successors during the late nine years of the Bahri Mumluk dynasty.

الفصل الأول

القبائل العربية في بلاد الشام قبل الإسلام وحتى نهاية العصر الأيوبي

١. ١ المقدمة:

كان لدولة المماليك البحرية التي أعقبت الأيوبيين في حكم مصر سنة (٦٤٨هـ)، ثم بلاد الشام سنة (٦٥٨هـ)، دور كبير في المجالين السياسي والحضاري، فعلى يدهم أمكن إيقاف الاجتياح المغولي للمشرق الإسلامي في معركة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ)، وهم من أحيا الخلافة العباسية في مصر سنة (٦٥٩هـ)، عقب سقوطها في بغداد بثلاث سنوات، وكانوا هم من شجع حركة الثقافة والفن والعلم والعمران.

من هنا فإن هذه الحقبة من العصر المملوكي، حظيت باهتمام الدارسين، إلا أنهم ركزوا على الإنجازات الكبرى التي تمت خلالها، ولم يولوا ذات الاهتمام إلى الواقع الاجتماعي والعلاقة بين الدولة ومختلف شرائح المجتمع إلا في حدود ضيقة.

وتأتي هذه الدراسة لتقدم إسهاماً متواضعاً في تغطية جانب من ذلك بدراسة مكانة القبائل العربية الشامية في السياسة المملوكية في عهد دولة المماليك البحرية (٦٥٨- ٧٨٤هـ).

إن مما شجع على تناول هذا الموضوع عدم توفر دراسة مماثلة، وإن كان ثمة باحثون تناولوا واقع هذه القبائل خلال الحقبة ذاتها.

يقصد بالقبائل العربية في هذه الدراسة من كان يعيش حياة متنقلة أو شبه متنقلة وأولئك الذين استقروا ومارسوا الزراعة دون أن يفقدوا صلتهم بالقبيلة وقيمها، وهم الذين أطلقت عليهم المصادر اسم العشير أو العشران.

قسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول أما **الفصل الأول**: فقد تم في القسم الأول منه توضيح الوجود العربي في بلاد الشام قبل الإسلام، في حين تناول القسم الثاني منه إعطاء لمحة عن دور القبائل العربية في بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي

وحتى نهاية الحكم الأيوبي (١٣- ٦٥٨هـ)، أما الثالث منه فتضمن دراسة واقع القبائل العربية في بلاد الشام خلال عصر دولة المماليك البحرية.

وقسم **الفصل الثاني** إلى قسمين: الأول يتعلق بالسياسة المملوكية في عهد الظاهر بيبرس أما الثاني فقد تناول السياسة المملوكية تجاه القبائل العربية عقب وفاة الظاهر بيبرس وحتى بداية عصر الناصر قلاوون.

وشمل **الفصل الثالث**: ثلاثة أقسام يتعلق الأول منها بالسياسة المملوكية تجاه القبائل العربية في عهد الناصر محمد، أما الثاني فيتعلق بامتيازات والتزامات القبائل العربية الشامية في هذه العصر في حين خصص الثالث للسياسة المملوكية تجاه القبائل العربية في عصر أبناء وأحفاد الناصر محمد.

وقد أنهيت الدراسة بتقييمٍ لسياسة دولة المماليك البحرية تجاه القبائل العربية ثم بقائمة المصادر والمراجع وعددٍ من الملاحق وكشافٍ عام تضمن بعض ما ورد في الدراسة من أعلام ومواقع ومصطلحات.

اعتمدت الدراسة عديداً من المصادر المملوكية إلا أن أهميتها تفاوتت بين مصدر وآخر بحسب معاصرتها ومادتها، وقد شملت كتب التراجم والتاريخ العام، ومن أهم هذه المصادر كتاب **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، وكتاب **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، وكلاهما لابن عبد الظاهر المتوفى سنة (٦٩٢هـ) الذي كانت معلوماته ذات أهمية كبيرة فيما يخص حقبة السلطان الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون وتأتي أهمية هذا المؤرخ أنه كان يعمل في ديوان الإنشا في مصر وكان من المقربين إلى رجال الدولة، ومن المصادر: الموسوعة التي كتبها ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) المعاصر لدولة المماليك البحرية ونعني بذلك كتابه: **مسالك الأبصار وممالك الأمصار** الذي أفاد الدراسة كثيراً من حيث توزيع القبائل وعلاقتها بالدولة ويليه في الأهمية كتاب الصفدي (ت ٧٦٤هـ): **أعيان العصر وأعوان النصر** فقد تضمن معلومات مهمة عن الأمراء العرب وصلاتهم مع سلاطين دولة المماليك البحرية وأمراء المماليك في الشام، ومن المصادر الأساسية المعتمدة مؤلفات ركن الدين بيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ) وهي **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** وكتابه **مختار الأخبار** وكتابه الآخر **التحفة**

الملوكية في الدولة التركية، وكان لها أهمية في تزويد الدراسة بمعلومات عن علاقة الدولة وسياستها مع القبائل العربية، ومن المصادر الخاصة بالقرن التاسع التي أفادت بها الدراسة فيأتي في مقدمتها ابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧هـ في كتابه تاريخ ابن الفرات، واختص بمعلومات عن قبيلة ربيعة وفروعها الثلاث من آل فضل وآل مرا وآل علي، ومن مصادر هذا القرن أيضاً موسوعة القلقشندي (ت ١٢١ - ونعني بها كتاب: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** وكتابه الخاص بأنساب القبائل: **قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، وكان لها أهمية كبيرة في إغناء هذه الدراسة خاصة فيما يتعلق في تتبع نسب القبائل والتزاماتها تجاه الدولة، ومما يجدر ذكره أن القلقشندي اعتمد كثيراً في كتابه صبح الأعشى على شخصيتين معاصرتين لدولة المماليك البحرية وهما: المهمندار الحمداني وصاحب كتاب **التثقيف** مما وفر كثيراً من المعلومات ذات العلاقة والخاصة بالقبائل العربية.

ومن المصادر المفيدة كتاب **تاريخ بيروت** لمؤلفه صالح بن يحيى (ت ٨٤٠هـ) وتعود أهميته إلى أن المؤلف من أسرة بحتر التنوخية وقد أفاد البحث في مادته متكاملة عن أمراء الغرب التنوخيين وسياسة الدولة تجاههم في العصر الأيوبي وعصر دولة المماليك البحرية (٦٥٨- ٧٨٤هـ) وتضمن كتابه **مناشير** بإقطاعات السلاطين لأمراء الغرب، وقد كان له أهمية نظراً لافتقار المصادر الأخرى بمعلومات عن العرب التنوخيين. ثم المقريزي (ت ٨٤٥هـ) في كتابه **السلوك لمعرفة دول الملوك** الذي انفرد بتقديم معلومات شاملة واسعة عن القبائل العربية مع الإشارة إلى أنه لم يكتفي بإيرادها بل حاول تفسيرها وتعليلها وفي كثير من الحالات أغنى الدراسة بآرائه حول المتغيرات في واقع القبائل العربية في بلاد الشام، ويلي كتاب المقريزي مؤلفات ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) وأهمها **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، وقد شمل تراجم الأمراء العرب.

ومع أن الدراسة اعتمدت بشكل أساس على المصادر المذكورة آنفاً وعلى غيرها، فإنها لم تستغن عن كثير من المراجع الحديثة ومنها مؤلفات الأستاذ الدكتور يوسف غوانمه وبخاصة كتابه الموسوم: **التاريخ السياسي لشرقي الأردن في العصر**

المملوكي الأول وكتاب **الكرك في العصور الإسلامية** للأستاذ الدكتور أحمد عبد الله الحسو، إضافة إلى مراجع ودراسات حديثة مختلفة.

إن هذا الجهد المقدم لا يشكل إلا لبنة في طريق طويل لا أدعي أنني قدمت فيه شيء متكاملاً إنما هو جهد متواضع اسأل الله العلي القدير أن يعينني لاستكمال نواقصه والسير فيما يقتضيه الخلق البحثي.

١ . ٢ الوجود العربي في بلاد الشام قبل الإسلام

أن ما تتمتع به بلاد الشام من مياه وافره ومناخ معتدل جعلها منطقة جذب سكاني.وأدى إلى قيام هجرات عديدة نحوها من الجزيرة العربية، التي لا يفصلها عنها أية حواجز طبيعية، ولعل أولى الهجرات الكبرى للقبائل العربية نحوها كان في الألف الثالثة قبل الميلاد، فكانت هجرة العموريين إلى شمال بلاد الشام وباديتها[١]، وتلتها هجرة الكنعانيين الذين استقروا في الساحل اللبناني وفي فلسطين[٢]، وما تفرع عن الكنعانيين من فروع استقرت في بلاد الشام كالفينيقيين[٣] والمؤابيين[٤].

كما شهدت بلاد الشام أواسط آلاف الثاني قبلا الميلاد هجرة الآراميين الذين قطنوا باديتها امتدادا حتى خليج العقبة[٥].

---

[١] سامي سعيد الاحمد، تاريخ الشرق القديم، بغداد،١٩٨٨ د.ط ص٢٠٣، ويشار اليه تالياً:الاحمد، تاريخ الشرق؛ جمعة محمود كريم، الكرك عبر العصور، صدر عن جامعة مؤته، الكرك، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠٠٤، ص٧٧، ويشار اليه تالياً: جمعة، الكرك.

[٢] جمعة، الكرك ص٧٧؛ انظر: الاحمد، تاريخ الشرق، ص٢٠٦،٢٠٩.

[٣] استقر الفينيقيون على شاطئ عند منحدرات لبنان، الاحمد، تاريخ الشرق ص٢٤٩ واسسوا لهم مدناً تجارية مثل صيدا، صور، جُبيل، بيروت وقد اطلق اليونانيون على سكان السواحل اسم الفنيقيين انظر: هاشم الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام د.ط، دار الكتب الموصل ١٩٩٤ ص٤٦،٥٨ وسيشار اليه تالياً الملاح، الوسيط.

[٤] ينتسب المؤابيون الى الكنعانيين وقد اقاموا دولتهم في شرق الاردن في ق.١.ق.م انظر المرجع نفسه، ص٤٦.

[٥] الاحمد، تاريخ الشرق ص٢٢٩؛ الملاح، الوسيط، ص٤٧.

وترد أول إشارة صريحة بوجود قبيلة عربية في بلاد الشام في الربـــع الأول من الألف الأول قبل الميلاد (٨٥٤ ق.م) في الحوليات الاشورية التي تحدثت عــن "**ألف راكب جمل من العرب**" يتزعمهم رجل اسمه جنديبو * العربي دخلوا في حلــف عسكري ضد الآشوريين* الذين غزوا بلاد الشام في عهد الملك شلمنصّر الثالـــث* (٨٥٨-٨٥٤ ق.م) [٦].

وليس من شك أن دخول جند يبو واتباعة في التحالف المشار اليه ،يفتــرض انهم كانوا يمثلون قوة ذات أهمية استحقت أن تكون طرفا فيه، إضافة إلى أن دورهم هذا سنة ٨٥٤ ق.م يعني ان وجودهم في بلاد الشام كان سابقا على هذا التاريخ.

واذا كان التأكد من افتراض وجود العرب في بلاد الشام قبل التاريخ المشار اليه، منوطا بما قد تكشف عنة الدراسات المستقبلية، فأن ثمة معلومات تشــير إلـــى وجود واسع للقبائل العربية في بلاد الشام خلال الحقبة الممتدة بين النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد حتى ظهور الإسلام.

وبالرجوع إلى الحوليات الآشورية التي كانت معنية بالتأريخ للغزو الآشوري لبلاد الشام خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، ترد معلومات عــن قبائـــل أو تحالفات قبلية عربية شامية، تزامنت مع الغزو المشار إليه ومنها ما ورد – ضـــمن أحداث سنة(٧٣٥ ق.م) عن قبيلة كانت تنتشر في الجهات الجنوبيه من بلاد الشـــام، وتحكمها امرأه تدعى **(زبيبه)** عرفت بملكة العرب[٧]. كما وردت معلومات ضـــمن أحداث سنة ٧٣٢ ق.م، عن قبائل عدة عاشت في الجهات ذاتها، وفي أماكن أخـــرى من بلاد الشام، ونعني بها قبيلة مسأة، وقبيلة تيما(تيماء) وخيابا والبدنة، والسبأة وقبيلة ثمودي[٨]، ومجموعة قبائل متحالفه تحت اسم: **مرسيماني**[٩].

---

* انظر كشاف الأعلام، ملحق(ي).

* انظر كشاف الأماكن والشعوب والقبائل، ملحق(ك).

(٦) نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، ط٢، دار الفكـــر دمشـــق، ١٩٧٢ ص ٥٢-٥٤ وسيشار اليه تالياً: عاقل، تاريخ؛ جمعه، الكرك، ص ١٠٢.

(٧) جمعه، الكرك، ص ١٠٣؛ عاقل؛ تاريخ،ص ٥٥.

(٨) جمعه، الكرك، ص١٠٣؛ عاقل؛ تاريخ ، ص٥٦،٥٥.

إضافة إلى قبيلة كانت تقودها امرأة عربية، وصفتها المصادر الآشورية بملكة العرب سمس (**شمسة**)[١٠] كما يظهر اسم ملكة ثالثة اسمها (**يتيأة**) ضمن أحداث سنة ٧٠٣ق.م، وأنها كانت تقود قبيلة عربية في منطقة دومة الجندل[١١].

ولعل من ابرز ما شهده القرن السابع قبل الميلاد، ظهور تحالف قبلي واسع عرف بأسم: (**القيدار**) انتشر اتباعه عبر بلاد الشام،ثم انتقلوا –تحت ضغط القوات الآشورية التي غزت أراضيهم في عهد الملك أشور بانيبال* (٦٦٨-٦٢٦ ق.م)- إلى منطقة حوران[١٢] كما شهد هذا القرن تغلغل الأنباط العرب في بادية الشام، وهم الذين صنفوا في الحوليات الآشوريه– ضمن أحداث سنة ٦٤٧ ق.م، على أنهم من أعداء الدولة الأشورية[١٣].

ومع قلة المعلومات عن القبائل العربية الشامية في القرون التالية التي خضعت فيها بلاد الشام (ق٦. ق.م – ق١. ق.م) لحكم الفرس الاخمينيين (٥٣٩-٣٣٢ ق.م) والمقدونين فالسلوقيين اليونانيين (٣٣٢ ق.م-٦٣ ق.م) [١٤] فأن الصورة تبدأ بالاتضاح نسبياُ مع القرن السادس قبل الميلاد الذي شهد تغلغل الأنباط العرب عبر الأراضي الأدومية* شرقي البحر الميت، وحلو لهم فيها محلهم ومن ثم سيطرتهم على مدينتهم سلع (البتراء) أبرز معاقلهم. واتخاذها عاصمة لهم[١٥] وشهد القرن الرابع قبل الميلاد ثورات لقبائل عربية عدة، لعل أبرزها ثورة الأنباط ضد الحكم السلوقي ٣١٢ ق.م[١٦]

---

(٩) كانت هذه القبيلة تقطن جنوب العقبة؛ عاقل، تاريخ ص٥٦، جمعة، الكرك، ص ١٠٣.

(١٠) عاقل، تاريخ، ص٥٥،٥٦ ؛ جمعه، الكرك، ص ١٠٣.

(١١) عاقل، تاريخ، ص٥٦.

(١٢) المرجع نفسه، ص ٥٧؛ انظر محمد خريسات وآخرون، محاضرات في تاريخ الأردن وحضارته، ط١، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، اربد، الأردن، ص٤٧، ٥٥، وسيشار إليه تالياً: خريسات، محاضرات.

(١٣) عاقل، تاريخ، ص١١٠؛ الملاح، الوسيط، ص١٢٢.

(١٤) الاحمد، الشرق القديم، ص ٣١١،٣٢٣.

(١٥) الملاح، الوسيط، ص ١٢٠-١٢١.

(١٦) المرجع نفسه ص١٢٣، إحسان عباس تاريخ دولة الأنباط، بيروت ،١٩٨٧ ص ٣٠-٣١ وسيشار إليه تالياً: عباس، تاريخ؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل

فقد شهد نهاية هذه الحقبة (ق ا ق.م) بروزاُ للعرب التدمريين الذين كانوا قد تواجدوا في منطقة تدمر وسط بادية الشام منذ قرون قبل ذلك، فقد أفادوا من موقعهم الحيوي الذي تمر منه طرق المواصلات، وأسسوا كيانات سياسية لهم فيه خلال الألف قبل الميلاد(١٧).

كما شهد هذا القرن تنامي قوة القبائل العربية الشامية فقد انتصر عرب الأنباط على السلوقيين في معركة قرب مدينة حيفا سنة ٨٦م، وأدى ذلك في السنة التالية – الى اتساع نفوذهم في منطقة دمشق وفي البقاع، ويلاحظ ان نجاح الأنباط هذا، أضعف السلوقيين(١٨)، ومكن قوى عربية أخرى من تأسيس إمارات جديدة لها، بينها امارة أبجر في الرها سنة ١٣٢ ق.م(١٩)، والايطوريين* في عنجر سنة ١١٥ ق.م(٢٠) ويفهم من النقوش المكتشفة في منطقة الصفاة قرب حوران أن قبائل عربية عديدة كانت تنتشر عبر خط يبدأ بتدمر فالأزرق ثم حوران وينتهي بالرحبة، مطلع القرن الثاني الميلادي، وهم الذين اطلق عليهم الباحثون اسم: **القبائل الصفوية**، نسبة إلى المكان الذي اكتشفت منه أثارهم وبسبب عدم قدرتهم على تحديد انتماءاتهم القبلية. أما

الإسلام، بغداد، ١٩٧٦، ج٣، ص١٨-١٩. وسيشار إليه تالياً: جواد، المفصل. خريسات، محاضرات، ص٦٠.

(١٧) الملاح، الوسيط ص ١٧٠-١٧١؛ احسان عباس، تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الاموي، ٦٠٠-٦٦١ هـ، د.ط، عمان، الجامعة الأردنية ١٩٩٠، ص ٩٦-٩٧ وسيشار إليه تالياً: عباس، تاريخ بلاد الشام.

(١٨) عاقل، تاريخ، ص١١٤.

(١٩) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص١١٤ وما بعدها.

(٢٠) استقر الايطوريون في الأجزاء الشمالية من الجليل وسهل البقاع. الاحمد، تاريخ الشرق ص٣٢٥، عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٩٢-٩٣؛ نقولا زيادة، التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطه والعرب، المؤتمر الدولي لبلاد الشام، ط٢، عمان١٩٩١، ص١٠٠، وسيشار إليه تالياً: زيادة، التطور الاداري.

هذه القبائل فهي: قبيلة اشلل، وحظي، وآل ضيف، وحوالة(حوله) ونسيمان وجعبر وتيم، وصباح، وآل حماد ومعيص ونمر، وقشم، وعويذ (عوذ) وغيرها[٢١].

ويبدو أن تغلغل هذه القبائل في عمق البلاد الشامية دفع بحكامها الرومان الذين كانوا قد سيطروا عليها سنة ٦٣ ق.م إلى التفكير بوسائل تجعلهم أكثر قدرة على منع انسياب قبائل جديدة تنفيذا لهدفهم هذا أنشأ الرومان سنة ١٠٦م ما يعرف بالمقاطعة العربية(**provincial Arabia**) وضموا إليها عرب الأنباط سنة ١٠٦م والعرب التدمريين سنة ٢٧٢م[٢٢]، كما أنشأوا تحصينات تمتد بين مدينة بصرى وتتجه جنوبا نحو مدينة آيلة، وزودوها بالمعدات وبالعساكر وهي التي تعرف بالطريق الترايانية أو خط تراجان (**via nova Tragana**)[٢٣].

لم تحقق خطة الرومان هذه أهدافها بخصوص منع عرب الجزيرة العربية من الهجرة إلى بلاد الشام، بل أن التحصينات الدفاعية الحاجزة التي انشأوها لهذا الغرض، أصبحت عاملا مهما في تركز الهجرة نحو شرق هذه التحصينات بما لا يقل عن ثلاثين كيلومترا حسب تقدير الدكتور جمعه كريم[٢٤] يؤيد هذا أمران، **أولهما**: ما تضمنته النقوش الثمودية والصفوية من إشارات إلى وجود قبائل عربية عديدة في هذه الأماكن[٢٥]، خلال القرن الثاني الميلادي والتي كان من أبرزها قبيلة ثمود التي نجحت في التوسع شمالا بعد أن عقدت تحالفا مع الرومان بين سنتي (١٦٦- ١٦٩م)[٢٦] أما **ثانيهما**: فهو قيام هجرة عربية أخرى في النصف الثاني من

---

(٢١) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٨٧، ٨٩، ٩٠؛ انظر محمود الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة، مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٨٧م.

(٢٢) سقطت تدمر بيد الرومان سنة ٢٧٢م، انظر توفيق فهد "**ماويه وضجعم او العرب الرومان في اواخر القرن الرابع**"، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، ط٢، عمان- الأردن، ١٩٩١، ص١٨٠ وسيشار إليه تالياً: فهد، ماويه وضجعم.

(٢٣) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٦٥-٦٧؛ نقولا زيادة، التطور الاداري، ص١١٦-١١٧.

(٢٤) انظر جمعة، الكرك، ص١٣٩-١٤٠؛ عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٦٦.

(٢٥) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٦٨؛ جمعة، الكرك، ص١٤١-١٤٤.

(٢٦) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٦٨.

القرن الثالث الميلادي[٢٧] ضمت جماعات من قبائل تنوخ[٢٨] وسليح[٢٩] والغساسنه[٣٠] ولخم[٣١] وكلب[٣٢] وبهراء[٣٣] وعاملة[٣٤] وجذام[٣٥] وتغلب[٣٦] وأياد[٣٧] والنمر[٣٨] والقين

---

(٢٧) نجدت خماش، الشام في صدر الاسلام، ط١، دار طلاس، دمشق ١٩٨٧، ص٥٥ وسيشار إليه: خماش، الشام.

(٢٨) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الامم والملوك) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت، لبنان.د.ت .د.ط. ج١، ص٦٠٩-٦١٠؛ ج٢، ص٤٢، وسيشار إليه تالياً: الطبري، تاريخ: وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد. ابن الديبع، نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان ١٩٩٢، ص١٤٨، وسيشار إليه تالياً: ابن الديبع، المحاسن اليمانية.

(٢٩) احمد بن ابي يعقوب بن جعفر اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت ١٩٦٠، ج، ص٢٠٧، وسيشار إليه تالياً: اليعقوبي؛ تاريخ؛ ابو الحسن علي بن الحسن المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، دار الاندلس، بيروت، ١٩٧٣، ج٢، ص٨٣، وسيشار إليه تالياً: المسعودي، مروج؛ ابن الديبع، المحاسن اليمانية، ص١٤٧.

(٣٠) احمد بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق محمد رضوان، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٨٣ ص١١٩ ،وسيشار اليه تالياً: البلاذري، فتوح الطبري، تاريخ، ج٣، ص٤٠٧-٤٠٨؛ عبد العزيز الدوري، العرب والارض في بلاد الشام في صدر الاسلام، مؤتمر بلاد الشام (تاريخ بلاد الشام من ق ٦-ق٧.هـ)، ط١، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤، ص٢٥، وسيشار اليه تالياً: الدوري، العرب والارض.

(٣١) الطبري، تاريخ، ج٣، ص٣٨٩.

(٣٢) البلاذري، فتوح، ص١١٨؛ الطبري، تاريخ، ج٣، ص٣٨٩، ابن الديبع، المحاسن اليمانية، ص١٤٨؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، دار اليمامة، الرياض، ص٢٧٢، ٢٧٤، وسيشار إليه تالياً: الهمداني، صفة جزيرة العرب.

(٣٣) البلاذري، فتوح، ص١١٨؛ الطبري، تاريخ، ج٣، ص٣٨٩.

(٣٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٧٢؛ ابن الديبع، المحاسن اليمانية، ص١٤٨.

(٣٥) الطبري، تاريخ، ج٣، ص٣٨٩.

(٣٦) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص١٤٥.

(٣٧) المرجع نفسه، ص١٤٥.

(٣٨) المرجع نفسه، ص١٤٥.

وجرم، وبلي[٣٩] وقد نجحت ثلاث من بين هذه القبائل في فرض هيمنتها على بلاد الشام في إطار اعتراف الرومان ثم البيزنطيين الذي كانوا قد سيطروا على هذه البلاد بالتعاقب، ونعني التنوخيين الذي استمر نفوذهم قائماً حتى سنة ٣٨٣م[٤٠]، ثم اعقبهم في مكانتهم هذه قبيلة سليح[٤١] التي استمر نفوذها حتى سنة ٥٠٢م[٤٢] حيث حل محلهم الغسانيون الذي دامت سيطرتهم طويلاً حتى ٥٨٣م[٤٣] وان كان وجودهم وتأثيرهم ظل قائما حتى معركة مؤته سنة ٨هـ/٦٢٩م ويبدو أن المكانة التي تمتع بها الغساسنه بين بقية القبائل العربية، هي ما جعل البيزنطيين يوكلون إليهم سنة ٥٣٢م مهمة الدفاع عن بلاد الشام من أية اعتداءات أو تسلل خارجي[٤٤] وإذا كانت هذه الخطوة قد عززت مكانة القبائل العربية الشامية، فأن حدثا آخر أعقبها في حدود الربع الأول من القرن السادس الميلادي، ونعني به قيام تفاهم بين الغساسنه وقبيلة قريش الحجازية، وجميع القبائل العربية القريبة من خطوط التجارة بين بلاد الشام والحجاز[٤٥] تضمن هذا التفاهم، أو **الايلاف** كما يطلق عليه القرآن الكريم[٤٦]، التزاما من جميع أطرافه بحماية القوافل التجارية بين بلاد الشام والحجاز، مما يعني توفر بيئة ملائمة لقدر أوسع من الاستقرار في حياة القبائل العربية الشامية، كما انه يعني تضامنا بين قوتين عربيتين كبيرتين في حماية مصالح تجارية مشتركة وهما الغساسنه

---

(٣٩) ابن الديبع،المحاسن اليمانية، ص١٤٨.

(٤٠) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص١٢٢،١٢٣

(٤١) المسعودي، مروج، ج٢، ص٢٣١،٢٧١؛ اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص٢٠١-٢٠٢ ؛ انظر نينا فكتور فنا بيغو ليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران، من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي، الكويت، ١٩٨٥، ص١٦٨-١٦٩، وسيشار إليه تالياً: بيغو، العرب.

(٤٢) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص١٢٤

(٤٣) الملاح، الوسيط، ص٢٦٥

(٤٤) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٦٧،٢٥٩

(٤٥) المرجع نفسه، ص١٨٥

(٤٦) قال تعالى:" **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ* فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ***" سورة قريش آية ١-٤..

والقرشيون الذي كان يتزعمهم آنذاك هاشم بن عبد مناف[٤٧] ويبدو أن هذا الالتزام هو ما دفع بالقبائل العربية الشامية إلى مقاومة دولة النبوة التي أنشأها الرسول r في المدينة المنورة سنة٦٢٢م، فقد تصدى شرحبيل بن عمرو الغساني لموفد رسول الله r إلى صاحب بصرى، وهو الحارث بن عمير الازدي عند وصوله إلى مدينة مؤته وقتله[٤٨]. أن هذا هو مايفسر قيام مجاميع كبيرة من عرب الشام من قبائل لخم وجذام وغسان وعامله وبلقين وبهراء وبلي بالتصدي لجيش المسلمين الذي أرسله الرسول r إلى بلاد الشام سنة ٨هـ[*]/ ٦٢٩م[٤٩] والتي قيل أن أعداد العرب فيه بلغت مائة ألف مقاتل[٥٠].

يتضح مما سبق أن وجود القبائل العربية في بلاد الشام موغل في القدم، وان جذوره ترجع حسب المعلومات المتوفرة حتى الآن إلى بدايات الألف الأول قبل الميلاد، كما لوحظ استمرار هجرات واسعة من الجزيرة العربية نحوها طوال اكثر من خمسة عشر قرناً سبقت فتح المسلمين لها (٨٥٤ق.م- ٦٢٩م).

---

(٤٧) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص١٨٥، الملاح، الوسيط، ص٢٨٩.

(٤٨) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٢٠١؛ انظر: عاقل، موقف سكان بلاد الشام من الفتح، المؤتمر الدولي لبلاد الشام، عمان ١٩٨٧، مج٣، ص١٦٠-١٦١؛ وسيشار إليه تالياً: عاقل: موقف سكان بلاد الشام؛ عبد المنعم ماجد، موقف الروم العرب من الإسلام، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (بلاد الشام في صدر الإسلام)، عمان،١٩٨٧، مج٣، ص١٨٧، وسيشار اليه تالياً: ماجد، موقف الروم.

(*) انظر ملحق السنوات الهجرية وما يقابلها من السنوات الميلادية.

(٤٩) عباس، تاريخ بلاد الشام ص ٢٠٣،٢١١؛ عاقل، موقف سكان بلاد الشام، ص١٦١-١٦٣،١ ٧٤،١٨٨، انظر خريسات، محاضرات، ص٨٢-٨٣؛ تاريخ الأردن منذ الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، الأردن، ١٩٩٢، ص١٩، وسيشار إليه تاليا: خريسات، تاريخ الأردن.

(٥٠) عباس، تاريخ ص٢٠٣، انظر عاقل، موقف سكان بلاد الشام، ص١٥٦ ،١٥٩-١٦١، ماجد، موقف العرب الروم، ص١٨٨.

١. ٣ لمحه عن دور القبائل العربية في بلاد الشام منذ الفتح الاسلامي وحتى نهاية الحكم الايوبي (١٣هـ-٦٥٨هـ)

اتسع وجود القبائل العربية في بلاد الشام مع حركة الفتح الاسلامي بين سنتي:١٣-٢٠هـ ثم في أعقابها، حيث شاركت أعداد كبيرة من عرب الجزيرة في الفتح، واستقرت أعداد كبيرة منها فيها[٥١]، ففي فلسطين انتشرت قبائل من لخم وجذام[٥٢]، وعاملة وكندة وقيس وكنانه[٥٣]. أما في الأردن فقد حلت بطون من غسان ومذحج وهمدان وكلب والسكاسك والسكون(كنده)[٥٤]. ونزل دمشق قبائل يمانية وقليل من قيس ونزلت قبائل قيسية وبخاصة بنومُرة في الغوطة وحوران والجولان ونزلت قبائل غسان في الغوطة، اما قبيلة كلب فحلت جماعات منها في السويداء[٥٥] وأخرى في البقاع[٥٦]، وسكن حمص قبائل يمانية قضاعية من طئ وكندة وحمير وهمدان

---

(٥١) كانت غالبية هذه القبائل من اليمن وهم: همدان واسلم وغفار ومراد والازد وحمير ومذحج وخولان وخثعم وكنانة وقضاعة وجذام وكنده وحضرموت، ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي، الفتوح، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٩٨٦، ج١، ص ٥٣، ٥٤، ٨١، ٨٧، وسيشار اليه تالياً: ابن اعثم، الفتوح؛ انظر خريسات، محاضرات، ص٨٩- ٩٢؛ تاريخ الأردن، ص٢٧.

(٥٢) البلاذري، انساب الأشراف، مؤسسة الدراسات الشرقية، الجامعة العبرية، القدس، ١٩٣٦، ج٥، ص١١٢، وسيشار إليه تالياً: البلاذري، انساب الأشراف، اليعقوبي، البلدان، ليدن،١٨٩١، ص٣٣٩، وسيشار إليه تالياً: اليعقوبي، البلدان؛ عاقل، موقف سكان بلاد الشام من الفتح، المؤتمر الدولي لبلاد الشام عمان،١٩٨٧، مج٣، ص١٥٦؛ بيغو، العرب، ص٢٥٣.

(٥٣) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٥؛ المسعودي، مروج ، ج٣، ص٢٤٩.

(٥٤) البلاذري، انساب الأشراف، ج٥، ص١٣٨؛ عاقل، موقف سكان بلاد الشام، ص١٥٨-١٦١.

(٥٥) اليعقوبي، البلدان، ص٣٢٥، ٣٢٦؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج٥، ص٣٠٢، ١٣٣، ١٣٨؛ انظر خريسات، تاريخ الأردن، ص٩١-٩٢.

(٥٦) خماش، الشام، ص٨٤؛ انظر خريسات، محاضرات، ص٩٢.

وكلب وبهراء وتنوخ وقليل من قيس. أما قبيلة اياد فاتجهت إلى جبلة وما حولها[٥٧]، وانتشرت جماعات من طئ وتنوخ[٥٨] وقيس في قنسرين[٥٩]، أما بنو عامر فقد حلوا في المرج الذي عرف باسمهم[٦٠].

ومع أن المصادر لا تتحدث عن المتغيرات التي نجمت عن هذا التوسع الديمغرافي الكبير. فقد كان من المتوقع أن تتصارع المصالح والامتيازات بخصوص الارض وغيرها بين عرب الشام القدماء وعرب الشام الجدد وان يظهر بسبب ذلك إشكالات بين هذا الطرف أو ذاك[٦١] ويبدو أن السياسة المتوازنة أتى اعتمدتها الدولة في العصر الراشدي (١١- ٤١هـ) استطاعت إن تتحكم في دفع هذا التحول السكاني نحو ما يؤمن مصالحها امتصاصا للمشكلات المحتملة ،فقد حافظت على حقوق العرب القدماء كما وفرت ظروفا ملائمة للعرب الجدد[٦٢].

ومع أن هؤلاء العرب، بقديمهم وجديدهم، أفادوا مما وفرته الدولة من إمكانيات لكي يتحولوا من حياة التنقل إلى حياة الاستقرار والارتباط بالأرض فان جانبا كبيرا منهم ظل يؤثر حياته الأولى حيث عاشوا بدواً متنقلين في مساحات واسعة من الأرض طلباً للكلأ والماء، كما أن قبائل أخرى منهم استقرت ومارست الزراعة في قرى بلاد الشام، ولكنها ظلت اكثر ارتباطاً بانتماءاتها وقيمها القبلية قياسا على ما اكتسبته من قيم حضرية في المجتمع الجديد[٦٣]. وهؤلاء هم الذين

---

(٥٧) البلاذري، البلدان، ص٣٢٤؛ انساب الأشراف، ج٥، ص١٤٧.

(٥٨) البلاذري، انساب الأشراف، ج٥، ص١٥٠-١٥١؛ المسعودي، مروج، ج٣، ص٢٤٩.

(٥٩) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٥، ٥٣٨؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج٥، ص١٣٢، ١٣٤، ٣٠١.

(٦٠) خماش، الشام، ص٦٤.

(٦١) المرجع نفسه، ص٦٥-٦٨، ٨١، ٨٥؛ عباس، تاريخ بلاد الشام، ص١٨٣.

(٦٢) خماش، الشام، ص٨١.

(٦٣) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٣٣٤-٣٣٥، ٣٨٦-٣٩٠، انظر: صالح حمارنة، مواقع ومدن في جنوب بلاد الشام ودورها في العصر العباسي، المؤتمر الدولي لبلاد الشام

أطلقت المصادر المملوكية على بعضهم صفة العشير[٦٤].

وفي حين نجحت سياسة الأمويين المتوازنة طوال حكمهم (٤١-١٣٢هـ) في إقامة علاقات إيجابية مع القبائل العربية في بلاد الشام[٦٥]. فأن خروج آخر خلفائهم مروان الجعدي* (١٢٧- ١٣٢هـ)[٦٦]، عن هذا النهج باعتماده على القبائل القيسية دون غيرها ، وسكوته على قيامهم بعمليات قمع واسعة للقبائل اليمانية، كان بمثابة النواة الأولى لصراع طويل شهدته الساحة الشامية بين هاتين القبيلتين[٦٧]، وجاء انتقال مركز الثقل إلى العراق، بعد سقوط دولة بني أمية سنة ١٣٢هـ، ليضع حاجزاً من عدم الثقة بين الحكام الجدد من بني العباس، وبين القبائل العربية في بلاد الشام وقد انعكس هذا في ثورات بعض هذه القبائل ضدها[٦٨]،إلى انقسامها على نفسها وهو ما يلاحظ في عودة القبائل القيسية واليمانية إلى مهاجمة بعضها بعضاً، والدخول في

= (بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢-٤٥١هـ/٧٥٠-١٠٥٩م))، عمان-الأردن،١٩٩٢، ص٤٨٣، وسيشار إليه تالياً: حمارنة، مواقع ومدن.

(٦٤) ابن تيميه، مجموعة فتاوى ابن تيمية، ج٣٤، ص١٤٦، ١٤٧؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٦٩٠؛ انظر ص ٨٥ من الأطروحة.

(٦٥) ابن اعثم، فتوح، ج٥، ص٢٧٩، ٢٨٠؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٥١؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج٤، ص٢٠، ٣٣؛ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٩٣.

(٦٦) الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٤٣٢-٤٣٣، ٤٣٧-٤٣٨، ٤٣٩-٤٤٣.

(٦٧) فاروق، عمر فوزي، الخلافة العباسية (عصر القوة والازدهار)، ط١، دار الشروق، عمان ١٩٩٨، ج١، ص٣٥، ٤٥ ،٤٧-٤٨، وسيشار إليه تالياً: فوزي، الخلافة العباسية.

(٦٨) من هذه الثورات ضد العباسيين تلك التي قامت سنة ١٣٢ هـ، وهي ثورة حبيب بن مرة المري في البثنية وحوران، وثورة أبي الورد مجزأة بن الكوثر الكلابي (الطبري، تاريخ، ج٥، ص(٤٤٣-٤٤٧، ٤٤٦، ٤٤٤) وثورة الحكم بن ضبعان الجذامي سنة ١٣٦ في فلسطين، وانظر: أبو محمد بن يوسف الكندي، الولاة والقضاة، بيروت، ١٩٠٨، ص١٠٠-١٠١، وسيشار إليه تالياً: الكندي، الولاة والقضاة؛ انظر خريسات، محاضرات، ص١٠٢-١٠٣.

حروب دامية في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري خلال السنوات ١٧٦هـ[٦٩] و ١٨٠هـ[٧٠] و ١٨٧هـ[٧١] و ١٩٦هـ[٧٢] و ١٩٧هـ[٧٣].

ومع أن الدولة العباسية حاولت فرض هيمنتها على هذه القبائل وكسب ولائها فقد نجحت سنة ١٨٦هـ، بقيام إبراهيم بن المهدي والي دمشق في التوفيق بين القيسية واليمانية[٧٤]. كما استطاع محمد بن منصور بن زياد سنة ١٨٧هـ، أن يصلح بين الطرفين، بدفع ديات قتلى الفتنه من بيت مال دمشق وعزل واليها المتحيز لليمانية شعيب بن حازم[٧٥].

ورغم محاولات الإصلاح هذه، إلا أن الثورات المناهظة لها بينهم تجددت في أواخر (القرن الثاني الهجري والنصف الأول من القرن الثالث الهجري) ففي سنة ١٩١هـ، قام أبو الندى البلوي في جنوب فلسطين بثورة أخمدها قائد الرشيد يحي بن

---

(٦٩) قامت هذه الحرب في منطقة حوران انظر: الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٥١؛ ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، بيروت،١٩٨٧، ج١٠، ص١٦٨، وسيشار إليه تالياً: ابن كثير، البداية والنهاية، شاكر مصطفى، جنوب بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢-٣٨٥هـ، عمان- الأردن ١٩٩٢، ص٢٤؛ وسيشار إليه تالياً: مصطفى، جنوب بلاد الشام؛ أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢- ٢٥٥هـ، دار دمشق ١٩٨٣، ص٢٧-٢٩، وسيشار إليه تالياً: علي، تاريخ بلاد الشام.

(٧٠) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٦٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٩٣.

(٧١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٩٣.

(٧٢) قاد هذه الثورة نصر بن شبث العقيلي في شمال بلاد الشام واستمرت من (١٩٦-٢٠٩هـ) انظر: الطبري، تاريخ، ج٨، ص٤٢٧، ٥٨٠، ٥٩٢، ٥٩٨- ٦٠٠؛ عباس، بلاد الشام، ص٦٢-٦٤.

(٧٣) قاد هذه الثورة سعيد بن خالد– حفيد عثمان بن عفان– وهو من أهل قرية الفدين بالبلقاء، وقد ادعى الخلافة معتمداً على اليمانيين فتصدى له زعيم القيسيين محمد بن صالح بن بيهس، فهرب إلى عمان ثم إلى حسبان بعد أن تخلى عنه أنصاره.انظر: مصطفى، جنوب بلاد الشام، ص٢٦؛ عباس، بلاد الشام، ص٦١.

(٧٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٨٧.

(٧٥) المصدر نفسه، ج٨، ص١٨٧.

معاذ[٧٦]، كما قامت ثورة أخرى سنة ١٩٥هـ بزعامة علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد الملقب ابو العميطر السفياني* وامتدت ثورته إلى دمشق والبقاع وصيدا وعكا وشمال فلسطين والبلقاء والأردن وحوران[٧٧] وثورات أخرى في سنتي ١٩٦هـ[٧٨] و ١٩٧هـ[٧٩] وفي سنة ٢٢٧ قام المبرقع اليماني بتزعم قبائل لخم وجذام.. وعامله وبلقين بثورة مناهضة للعباسين[٨٠]، وفي سنة ٢٤١هـ شاركت قبائل بني بيهس والقرشيين والسكاسك والسكون في ثورة قتل فيها والي دمشق (سالم بن حامد)[٨١]، وفي سنة ٢٥٠هـ قامت قبيلة كلب بزعامة العطيف بن نعمة بثورة قتل فيها والي حمص (الفضل بن قارن) وامتدت الثورة إلى المعرة وقنسرين وقادها يوسف بن ابراهيم التنوخي[٨٢]، وتزعم عيسى بن شيخ عامل فلسطين الذي رفض البيعة للخليفة العباسي المعتز ثورة سنة٢٥٢-٢٥٧هـ[٨٣].

لم تحاول الدولة العباسية التي تعاملت بعنف مع هذه الثورات تفهم الأسباب الكامنة وراءها والتي يبدو أنها ذات علاقة –كما سبقت الإشارة إليه– بفقدانها ما كانت تتمتع به من امتيازات ومكانة في الدولة الأموية، لذا فقد تجاوزت القبائل حدود مناهضة الدولة ورفض الولاء لها إلى القيام بأعمال السلب والنهب وقطع الطرق

---

(٧٦) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٢٣.

(٧٧) المصدر نفسه، ج٨، ص٤٢٥، مصطفى، جنوب بلاد الشام، ص٢٤؛ عباس، بلاد الشام، ص٦٢-٦٤.

(٧٨) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٤٢٧؛ ٥٩٢، ٥٩٨- ٦٠٠.

(٧٩) مصطفى، جنوب بلاد الشام، ص٢٦؛ علي، تاريخ بلاد الشام، ص٦١.

(٨٠) مصطفى، جنوب بلاد الشام، ص٢٦؛ عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٦٤-٦٦.

(٨١) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٦٩.

(٨٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٩٥، ٤٩٧؛ عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٧٠-٧١.

(٨٣) التف حول الثائر قبائل من ربيعة وكلب، انظر: عباس، تاريخ بلاد الشام،ص٧١-٧٢.

وهو ما حصل في السنوات ١٩١هـ[٨٤] و١٩٤هـ[٨٥] و١٩٥هـ[٨٦] وخلال السنوات ٢٥٣-٢٦٧هـ[٨٧].

ازدادت أوضاع القبائل العربية في بلاد الشام تعقيداً في أعقاب حدثين كبيرين وهما: تعرض الدولة العباسية سنة ٣٢٦هـ، لهجمات البويهيين وهم أسرة من الديلم غير متحضرين أطلق عليهم بدو العجم ثم تمكنهم سنة٣٣٤هـ من الهيمنة على مقاليد السلطة السياسية فيها مما اعتبر تهديداً لدور القبائل العربية ومصالحها وهو ما دفع بأسرة بني حمدان التي كانت تنتشر في الجزيرة الفراتية وشمالي بلاد الشام إلى التحالف مع عدد من القبائل أبرزها قبيلة كلب، وإلى إقامة إمارة لها في مدينة حلب وأعمالها سنة ٣٣٣ هـ، مشكلة بذلك حزاماً عربياً عَبْرَ مدن: حلب وقيليقية وشيزر وحماة وحمص وانطاكية، وأما ثالثهما فهو انتقال مقر الخلافة الفاطمية، المعادية لدولة بني العباس من تونس إلى مصر سنة ٣٥٨هـ. وقيامها في السنة ذاتها، بتوجيه قواتها العسكرية نحو بلاد الشام للسيطرة عليها وإزاحة النفوذ العباسي فيها، وقد تمكنت فعلاً من السيطرة على أجزاء واسعة من بلاد الشام، وكان من أولى ضحاياها دولة بني حمدان التي سقطت على يدها[٨٨].

ومع أن الدولة الفاطمية نجحت في تحقيق نفوذ واسع لها في بلاد الشام، إلا أنها ظلت تنظر بعين الريبة إلى قبيلة آل الجراح الطائية التي كانت تنتشر في الجهات الجنوبية من بلاد الشام لما عرفته عنها من امتلاك قوة عسكرية من الجنود والفرسان

---

(٨٤) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٢٣.

(٨٥) مصطفى، جنوب بلاد الشام، ص٢٥.

(٨٦) المرجع نفسه، ص٢٥.

(٨٧) المرجع نفسه، ص٣٧.

(٨٨) أبو المظفر يوسف قزاوغلي التركي الشهير بسبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حوادث (٤٤٨- ٤٨٠ هـ) عنى ببشره وراجعه وقابل أصوله وعلق عليه علي سويم، الجمعية التاريخية، أنقرة، ١٩٦٨، ص١٩٧- ١٩٨، ٢٠٢- ٢٠٣، وسيشار إليه تالياً: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان.

المدربين ولقدرتها على استقطاب القبائل الأخرى، وهو ما اعتبرته تهديداً لنفوذها[٨٩]. إن هذا ما دفعها سنة ٣٧٠هـ للتخطيط لقتل زعيم آل الجراح الأمير مفرج الطائي، بيد أنها لم تنجح في ذلك[٩٠]، وقد أدى تصرفها هذا إلى خلق حالة من التوتر بين الطرفين فقد بدأ الطائيون بين سنتي (٣٧١-٣٨٦هـ) بمهاجمة قوافل الحجاج[٩١] والإغارة على مواقع التمركز الفاطمي[٩٢]، بل انهم ذهبوا إلى ابعد من ذلك فقد جاء في المصادر أن الطائيين نسقوا سنة ٣٩٧هـ مع عرب بني قرة في مصر وبرقة للقيام بعمل مشترك ضد الدولة الفاطمية واتفقوا في حالة نجاح هذه الخطة أن تحكم مصر وبرقه من قبل عرب بني قرة أو أحد أحفاد الأسرة الأموية ويدعى (ابوركوة)، ويحكم الطائيون بلاد الشام[٩٣]. ولم تنجح محاولتهم هذه، فقد لجأوا إلى التفكير بطريقة أخرى في الاستقلال عن الدولة الفاطمية وذلك بأن تبنوا سنة ٤٠١ هـ – وقيل ٤٠٢هـ- مشروعاً لاقامة خلافة عربية جديدة فاتصلوا بأمير مكة الشريف أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي الحسني، وأعلموه برغبتهم بتوليته الخلافة[٩٤].

---

(٨٩) حمزة بن اسد بن علي بن محمد القيمي المعروف بأبن القلانسي، تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، ط١، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣، ص٤٤، وسيشار إليه تالياً: ابن القلانسي، تاريخ دمشق؛ محمد بن محمد عبد الكريم المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،١٩٩٨، ج٧، ص٣٩٤، وسيشار إليه تالياً: ابن الأثير، الكامل.

(٩٠) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٤٤.

(٩١) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٤٢؛ فاروق عمر فوزي، تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط، ١٣-٩٢٣هـ. ط١، دار الشروق، عمان- الأردن ١٩٩٩، ص١٠٨- ١٠٩، وسيشار إليه تالياً: فوزي، تاريخ فلسطين.

(٩٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٨٢-٨٣.

(٩٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٢- ٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق مكتب تحقيق التراث، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ج١١، ص٣٦٠، وسيشار إليه تالياً: ابن كثير، البداية والنهاية.

(٩٤) يحيى بن سعيد الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، حققه وصنع فهارسه عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠، ص٢٩٣،

استجاب أبو الفتوح لهذه الدعوة، وقدم إلى بلاد الشام حيث بويع بالخلافة ولقب بالراشد بالله[٩٥].

أثار هذا الأمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ) فلجأ أولاً إلى استمالة أمير بني طئ المفرج وابنه حسان بن المفرج فمنحهما اقطاعات وعطاءً مجزياً[٩٦] فعدلا عن مشروعهما ورَدَّا أبا الفتوح إلى مكة وأعلنا طاعتهما للخليفة الفاطمي[٩٧] و يذكر الأنطاكي أن المفرج بن دغفل(**أقام محتوياً على الشام سنتين وخمسة أشهر)** أي منذ سنة ٤٠٢-٤٠٤هـ، [٩٨] وهذا ما يفسر قيام الفاطميين سنة ٤٠٤هـ بمهاجمة آل الجراح الطائيين، والسيطرة على حصونهم في جبل الشراة ثم قيامهم باغتيال زعيمهم المفرج بن دغفل في السنة ذاتها[٩٩].

وسيشار إليه تالياً: الأنطاكي، تاريخ؛ تقي الدين محمد بن احمد بن علي الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥، ج٢، ص٣٠٨، وسيشار إليه تالياً: الفاسي، شفاء الغرام؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، ج٣، ص٢٥٦، وسيشار إليه تالياً: المقريزي، الخطط. وقد أشار ابن الأثير إلى مشروع بني طئ هذه ضمن أحداث سنة ٣٨٦ هـ، انظر الكامل: ج٧، ص٤٨٢؛ عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تعليق تركي فرحان مصطفى، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان١٩٩٩، ج٤، ص٦١، وسيشار إليه تالياً: ابن خلدون، تاريخ؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٠٣، حاشية١؛ فوزي، تاريخ فلسطين، ص١١٤- ١١٥.

(٩٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٠٨.

(٩٦) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٨٢، ج٨، ص١٤٠.

(٩٧) المصدر نفسه، ج٧، ص٤٨٢؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٦١؛ سامي نسيب مكارم، بنو الجراح أمراء الرملة، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)عمان،١٩٨٣، مج٣، ص٦٩٨، وسيشار اليه تالياً: مكارم، بنو الجراح.

(٩٨) الأنطاكي، التاريخ، ص٣٠٥.

(٩٩) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٨٢-٤٨٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٦١.

وقد أدى هذا الحدث إلى تجدد غارات بني طئ على مواقع النفوذ الفاطمي في بلاد الشام وعلى قوافل الحجاج سنة ٤٠٨هـ، وشاركهم في ذلك قبيلتا كلب وسنبس[١٠٠] كما أعلن الأمير حسان بن المفرج الطائي خروجه على الدولة سنة ٤١١هـ[١٠١] سنة ٤١٥هـ، فقام بنهب طبرية وتخريب مدينة الرملة حتى قيل ما يتضح معه المبالغة "**ان الناس كانوا يمشون على بحار من الصابون والزيت في الاسواق**"[١٠٢]

وقد مهدت هذه الأجواء المضطربة خلال عقد من الزمن (٤٠٤-٤١٤هـ) إلى غياب أي دور عباسي فاعل لمواجهة التغلغل الفاطمي في بلاد الشام وإلى تنامي الشعور لدى القبائل العربية الشامية بمدى الخطر الذي كان يهددها ودفعها إلى تشكيل حلف ضم قبائل الجنوب والوسط والشمال، ونعني بذلك قبائل طئ وكلب وكلاب ، اتفق فيه على أن تتحد القوى الثلاث لإخراج الفاطميين من بلاد الشام[١٠٣] واقتسامها بينهم على النحو التالي[١٠٤]:

١. تكون المنطقة الواقعة من الرملة جنوباً حتى حدود مصر للطائيين من آل الجراح.
٢. تكون منطقة دمشق واعمالها للكلبيين.
٣. تكون المنطقة الواقعة من حلب إلى عانة للمرداسيين.

وقد اتفق المتحالفون على مكاتبة الخليفة الفاطمي الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ) لإشعاره أن التحالف بينهم ليس موجهاً ضد الفاطميين، وقد قام بهذا المهمة أمير بني

---

(١٠٠) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٦٣.

(١٠١) المسبحي، محمد بن عبيد الله بن احمد، أخبار مصر، تحقيق ايمن فؤاد السيد، القسم التاريخي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ص٤٩، ٥١، ٥٨، وسيشار إليه تالياً: المسبحي، أخبار مصر.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص٥٨؛ الأنطاكي، تاريخ، ص٣٨٩.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص٦٤- ٦٥؛ ابن الأثير الكامل، ج٨، ص٦٩.

(١٠٤) المسبحي، أخبار مصر، ص٦٤- ٦٥؛ الانطاكي، تاريخ، ص٣٩٠-٣٩١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٩، انظر فوزي، تاريخ فلسطين، ص١١٧.

طئ حسان بن المفرج الذي كتب للخليفة انه وأميري كلب وكلاب تحت طاعته، وانهم جميعاً يقومون عنه بالاهتمام بأمر الشام كله.

لم يحقق هذا التحالف أهدافه إلا في إطار محدود اقتصر على نجاح بني مرداس الكلابيين سنة ٤١٤هـ، في تشكيل إمارة لهم في حلب وأعمالها وهي التي عرفت بالإمارة المرداسيه[١٠٥].

ومع أن بعد هذه الإمارة عن الفاطميين وتعهدها بالولاء لهم مكناها من الاستمرار لعدة عقود (٤١٤-٤٧٢هـ) فأنها لم تستطع الصمود أمام قوة جديده ظهرت على مسرح الأحداث في العراق وهي الدولة السلجوقية حيث كلفتها الدولة العباسية مهمة استرجاع نفوذها في بلاد الشام وإزاحة النفوذ الفاطمي فيها إذ كانت الإمارة المرداسية أول الإمارات الشامية سقوطاً على أيديهم سنة ٤٧٢هـ[١٠٦].

وتجدر هنا الإشارة إلى أن المرداسيين لم ينظروا إلى ما واجهوه من تحديات عندما هاجمهم السلاجقة بقيادة الأمير تتش سنة ٤٧٢هـ. على انه جزء من الصراع بين الدولة العباسية والدولة الفاطمية فحسب، بل نظروا إليه باعتباره انتزاعاً لحقهم – كعرب- في حكم أنفسهم بأنفسهم وهو ما يتضح في قول زعيمهم الأمير سابق بن محمود الكلابي مخاطباً رجالهم:"**انني انما اذب واحامي عن بلادكم وعزكم ، ولو صار هذا الأمر لتتش لزال ملك العرب وذلوا**"[١٠٧] بل انه حين وجد نفسه في موقف حرج عند غزو السلاجقة له خاطب زعيماً عربياً وهو مسلم بن عقيل العقيلي مستجيراً به وملمحاً أنه يفضل أن ينتقل ملكه إلى رجل عربي مثله، فلا يخرج ملك

---

(١٠٥) سبط بن الحوزي، مرآة الزمان، ص١٩٧- ١٩٨، ٢٠٢– ٢٠٣؛ انظر شاكر مصطفى، دخول الترك الغز إلى الشام مؤتمر بلاد الشام، ط١، عمان ١٩٨٣، ص٣٧٨. وسيشار إليه تالياً: مصطفى، دخول الترك.

(١٠٦) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٧-١٩٨، ٢٠٢- ٢٠٣.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص١٩٧- ١٩٨، ٢٠٢– ٢٠٣؛ ابن العديم، زبدة حلب، ج٢، ص٥٨-٦٠ مصطفى، دخول الترك، ص٣٧٨.

العرب عنهم حيث قال:"**أنت أولى بي من الغير، والعربية تجمعنا، فأن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي**"[١٠٨].

وإذا كان بنو مرداس الكلابييون حققوا نجاحاً نسبياً في شمالي بلاد الشام، وأقاموا إمارة لهم امتد عمرها ستة عقود من الزمن ٤١٤-٤٧٢هـ[١٠٩]. فأن قرب مواقع بني طئ من الفاطميين في مصر لم يمكنهم من ذلك، فقد هاجموهم سنة ٤١٥هـ. واستولوا على معقلهم الرئيس مدينة الرملة وعلى غيرها مما هو تابع لهم[١١٠].

جاء رد فعل الطائيين وزعيمهم حسان بن المفرج على هجمات الفاطميين هذه في اتجاهين أولهما: قيام رجالهم بمهاجمة موكب الحجاج المصريين في منطقة أيله[١١١] وتعقب القوافل التجارية المتجهة إليهم[١١٢] إضافة إلى توجيه سرايا لمهاجمة مدينة العريش المصرية في محاولة لضرب المصالح الفاطمية[١١٣]، أما ثانيهما فقد اخذ منحى آخر كان الهدف منه أيجاد ظروف مناسبة يمكن معها إسقاط الدولة الفاطمية حيث قام الأمير حسان بايفاد رسله إلى مصر للاتصال برجال فيها، محرضاً لهم على الوقوف ضد الدولة الفاطمية، وكان على رأس هؤلاء صاحب بيت المال في هذه الدولة محسن بن بدوس[١١٤]، كما أرسل رسله للغرض ذاته إلى عرب بني قُرة في الجهات الغربية من مصر وفي برقة-وهم من القبائل العربية المصرية المعروفة بمناهظتها للفاطميين-طالباً منهم النصرة والموازرة[١١٥].

---

(١٠٨) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٧- ١٩٨، ٢٠٢- ٢٠٣.

(١٠٩) المصدر نفسه، ص١٩٧– ١٩٨، ٢٠٢ –٢٠٣.

(١١٠) المسبحي، أخبار مصر، ص٤٩، ٥١، ٥٨.

(١١١) المصدر نفسه، ص٧٥.

(١١٢) المصدر نفسه، ص٨٢.

(١١٣) المصدر نفسه، ص٤٩، ٥١.

(١١٤) المصدر نفسه، ص٥٩.

(١١٥) المصدر نفسه، ص٦٨.

أدرك الفاطميون خطورة تحركات الطائيين هذه سنة ٤١٥هـ. ويبدو انهم خشوا أن تنضم إليهم قبائل شامية أخرى لذا فقد سارعوا في السنة ذاتها إلى إظهار حسن نواياهم تجاه الطائيين من جهة واتجاه القبائل العربية الأخرى، فقد منحوا الأمير حسان مدينة نابلس إقطاعاً له[١١٦]، كما أغدقوا عليه وعلى غيره من الأمراء الطائيين وأمراء القبائل الأخرى الخلع والإقطاعات والجرايات واهدوهم السيوف والمناطق المذهبة، إضافة إلى الثياب والعمائم المثقلة بالذهب[١١٧]، على انهم بدأوا في الوقت ذاته يخططون لإشاعة الفرقة بين القبائل العربية الشامية ولم تحل سنة ٤١٩هـ أي بعد أربع سنوات (٤١٥-٤١٩هـ) حيث تمكنوا من كسب قبيلة كلب إلى جانبهم، واقناعهم بالمشاركة معهم في مناهظة الطائيين والكلابيين من بني مرداس، وأسفر ذلك عن دخول الطرفين في معركة حاسمة سنة ٤٢٠ هـ وهي التي تعرف بمعركة الاقحوانة* والتي تمخضت عن أحكام الفاطميين سيطرتهم على معظم بلاد الشام[١١٨] على الرغم من النتائج التي انتهت إليها معركة الاقحوانة وما تمخضت عنه العقود الأربعة التي أعقبتها (٤٢٠-٤٥٨هـ) من مد وجزر في العلاقات بين القبائل العربية الشامية والدولة الفاطمية[١١٩]، فقد انتهى ذلك سنة ٤٥٨هـ إلى تحرك جديد للطائيين والكلبيين يناهض الهيمنة الفاطمية، وتضمن ثانية الدعوة لقيام خلافة جديدة بعيدة عن

---

(١١٦) المسبحي، أخبار مصر، ص٥٨.

(١١٧) المصدر نفسه، ص٥٤، ٥٨.

(١١٨) انظر الانطاكي، تاريخ، ص٤١٠-٤١١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٦٨ (وجعلها في حوادث ٤١٩ هـ)، مكارم، بنو الجراح، ص٧٠٠- ٧٠١؛ ابن القلانسي، تاريخ، ص١١٩؛ انظر عن القبائل العربية في العصر الفاطمي: أمينة بيطار، موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، ط١، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٠.

(١١٩) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠٢- ٣٠٣.

العباسيين والفاطميين على حد سواء وتم فعلاً مبايعة أحد الشرفاء العلويين بالخلافة، وهو علي بن الحسن العلوي(١٢٠).

عاشت القبائل العربية الشامية خلال اكثر من ثلاثة عقود بعد فشل تحالفها آنف الذكر (٤٥٨-٤٩٣هـ) حالة غير مستقرة بسبب ما حصل من مستجدات في بلاد الشام، فقد جددت الدولة العباسية نشاطها في استعادة نفوذها فيها مستفيدة من الحماس الذي أبداه السلاجقة في هذا الاتجاه، الأمر الذي أذكى حدة الصراع بينها وبين الدولة الفاطمية، ثم أعقب ذلك تعرض بلاد الشام للغزو الصليبي سنة ٤٩١ هـ ونجاح الغزاة في السنة التالية في تأسيس إمارتين أولاهما الرها(١٢١) وإنطاكية سنة ٤٩١هـ(١٢٢) والثانية في بيت المقدس ٤٩٢هـ(١٢٣) والذي مهد لقيام إمارة، طرابلس سنة ٥٠٢ هـ(١٢٤).

---

(١٢٠) ابن القلانسي، تاريخ ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق، طبع في بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨، ص٩٤، زسيشار إليه تالياً: ابن القلانسي، ذيل؛ تاريخ، ص١٤٢، فرحان سعيد، آل ربيعة الطائيون، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان ١٩٨٣، ص ٣٤ وسيشار اليه تالياً: سعيد، آل ربيعة؛ مكارم بنو الجراح ص ٧٠٤.

(١٢١) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية د.السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت- لبنان،١٩٩٧، ج١، ص١٩٥- ١٩٦. وسيشار إليه تالياً: رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، احمد عبدالله الحسو، الكرك عبر العصور، ووزارة الثقافة، عمان- الأردن،٢٠٠٥م، ص٥٣، حاشية (٦٩) وسيشار إليه تالياً: الحسو، الكرك، محمود الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ط١، وزارة الثقافة، عمان،٢٠٠٠ م وسيشار إليه تالياً: الرويضي، إمارة الرها.

(١٢٢) ابن القلانسي، ذيل، ص١٣٥- ١٣٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٣.

(١٢٣) ابن القلانسي، ذيل، ١٣٦- ١٣٧؛ ابن الأثير، الكامل،ج٩، ص١٩، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٣٧٥.

(١٢٤) ابن القلانسي، ذيل، ص١٦٣؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، نقله للعربية سهيل زكار، دار الفكر، ١٩٨٠، ج٢، ص٢٧٩- ٢٨٧، وسيشار إليه تالياً: الصوري، تاريخ الحروب.

إن دخول الصليبيين إلى بلاد الشام ،واحتلال مساحات واسعة منها، يعني أن هذه البلاد غدت ساحة صراع بين ثلاث قوى سياسية هي: الدولة العباسية ممثلة بالسلاجقة، والدولة الفاطمية، ثم الكيانات الصليبية في كل من الرها وانطاكية وبيت المقدس وطرابلس.

لقد كان للوضع الجديد هذا أثره في حياة القبائل العربية الشامية، ففي حين كان عليها التعامل مع الصراع العباسي (السلجوقي) والفاطمي فأن بعضاً منها وجد نفسه في مواجهة مع الفرنج الصليبين كانت اكثر القبائل العربية تضرراً من الوجود الصليبي، هي تلك التي كانت تجاور مملكة بيت المقدس اللاتينية إلى الجنوب والشمال والشرق من البحر الميت، ولعل هذا ما يفسر قيام عرب وادي عربة بشن غارات متعددة على الصليبيين بين سنتي ٤٩٥-٥٠٠هـ[١٢٥]. وقيام هؤلاء أيضاً بشن غارات على الحقول الزراعية التابعة لمملكة بيت المقدس[١٢٦] رداً على ما أحدثه ملكها بلدوين الأول (٤٩٣- ٥١٢ هـ) من تخريب في وادي موسى، ومآب، والشراة والجبال والبلقاء[١٢٧].

كما قام عرب بني طئ وكلاب بمهاجمة الصليبيين غربي بحيرة طبرية سنة ٥٠٦ هـ، استجابة لدعوة حاكم دمشق الأمير السلجوقي طغتكين. كما قاموا سنة ٥٢٣هـ بمهاجمتهم في منطقة حوران[١٢٨].

لم تجد تحركات القبائل العربية هذه في دفع الصليبيين عن بلاد الشام نفعاً، فقد ازداد النفوذ الصليبي في هذه الحقبة ونجحوا سنة ٥٠٩ هـ في الهيمنة على طرق المواصلات والحج جنوبي بلاد الشام في كل من الأردن وفلسطين[١٢٩]، كما أن الأراضي الزراعية تضررت بفعل الحروب المتصلة بين الطرفين، فقد كان كل منهما

---

(١٢٥) محمد عدنان البخيت، مملكة الكرك في العهد المملوكي، ط١، مـاحص،١٩٧٦، ص٥، وسيشار إليه تالياً: البخيت، مملكة الكرك.

(١٢٦) الحسو، الكرك، ص٣٧، ٣٨، ٣٩.

(١٢٧) ابن القلانسي، ذيل، ص١٥٨– ١٥٩.

(١٢٨) المصدر نفسه، ص١٨٥.

(١٢٩) المصدر نفسه، ص١٣٦، ١٧٤.

يعتمد حرق وإتلاف مزارع عدوه، وترافق مع ذلك غياب دور فاعل للدولتين العباسية والفاطمية في صد الصليبيين واستنقاذ البلاد، مما أدى إلى أن تنتشر حالة من الفوضى دفعت بجماعات أو أفراد من القبائل العربية إلى اتخاذ أعمال سلب ونهب، بل والاتجاه بذلك لحساب الفرنج[(١٣٠)]، وقد أشارت المصادر إلى عديد من هذه الحالات، فقد أُتهم الأمير الطائي أبو عمران فضل بن ربيعة[(١٣١)] انــه كــان يميــل للفــاطميين تــارة وللصليبيين تارة أخرى، مما استدعى قيام حاكم دمشق الأمير طغتكين بطرده مــن البلاد سنة ٥٠٠هــ[(١٣٢)]. بل أن رجلا من عرب زُريق* وهم "**بطن من ثعلبة مــن طيء**" اتصل سنة ٥٠٦هــ بالفرنج ودلهم بخبر قافلة كانت قادمة من بصــرى، وان فيها مالاً عظيماً، وأبدى استعداده أن يكون دليلهم إليها مما مكن الفرنج منها. ومــن اسر ثلاثمائة رجل من رجالها والاستيلاء على ما يقرب من خمسين الف دينار[(١٣٣)].

ومع سنة ٥٢١هــ عرفت الساحة الشامية متغيراً سياسياً كبيراً، فقــد انشــأ السلاجقة اتابكية جديدة في كل من الموصل وأعمالها (٥٢٢هــ)[(١٣٤)] وأوكلوا إليهــا مهمة استنقاذ بلاد الشام من الصليبيين[(١٣٥)].

أدرك مؤسس هذه الإمارة عماد الدين زنكي ما كان عليه واقع القبائل العربية في بلاد الشام بإيجابه وسلبه، وعمل على كسبها في إطار خطة اعتمدت وسائل ناجعة حاولت بموجبها حل ما كانت تعانيه من مشكلات، وتحويلها إلى قوة مساندة لها، وكان

---

(١٣٠) ابن القلانسي، ذيل، ص١٨٣.

(١٣١) فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائي كان اباؤه أصحاب بيت المقدس والبلقــاء، طرده الأمير طغتكين من بلاد الشام فلجأ سنة ٥٠٠ هــ إلى الأمير صدقة بن مزيد في العراق. ثم دخل في خدمة السلطان محمد السلجوقي، الذي أخرجــه لمحاربــة صــدقة وتتبعه في البرية، فانقطعت أخباره من سنة ٥٠١ هــ، انظر: ابن الأثير، الكامــل، ج٩، ص١١٢؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٦. وذكر سعيد وفاتــه ســنة ٥٣٠ هـــ آل ربيعة ص١١٢.

(١٣٢) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١١٥؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٦.

(١٣٣) ابن القلانسي، ذيل، ص١٨٣.

(١٣٤) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٢٤٢.

(١٣٥) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٤٦- ٢٤٧، ٥٥١– ٥٥٢.

على رأس ذلك استمرار منصب أمير عرب الشام كما كان في عهد طغتكين والذي يمكن معه تنظيم علاقة الدولة بالقبائل العربية الشامية مع احتفاظهم بالأمير(١٣٦) ربيعة بن حازم الطائي التي أخذت القبيلة اسمها منه أميراً لعرب الشـــام(١٣٧)، كمـــا أدرك الزنكيون أهمية الموقع الذي احتله البحتريون التنوخيون من أمراء الغرب(١٣٨)، والذين تمتد ديارهم في بيروت وأعمالها مجاورين لإمارتي إنطاكية وطرابلس الصليبيين(١٣٩)، فقاموا سنة ٥٥٢هـــ بإصدار مرسوم اعتبروا فيه طاعة أمير الغرب كرامة بن بحتر* من طاعة الدولة(١٤٠) وهذا ما جاء في نص المرسوم المشار إليه والصادر عن الأمير الزنكي نور الدين محمود* حيث قال:"**من أطاعه فقد أطاعنا، ومن عاونه في جهاد الكفار، فقد عمل برضانا، وكان مشكوراً منا، ومن خالفه في هذا الأمر وعصاه، فقد خالف امرنا ....**" (١٤١).

وقد ربط الزنكيون بين عطاءاتهم وإقطاعاتهم للقبائل العربية وبين مســـتوى دورهم في مواجهة الفرنج الصليبيين، وهو ما يلاحظ مما قام به نور الدين محمـــود تجاه الأمير المذكور كرامة بن بحتر، فقد قدر له حفاظـــه علـــى التزاماتـــه ســـنة

---

(١٣٦) العمري، احمد بن علي بن الفضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار يصدره فؤاد سزكين، طبع بالتصوير عن مخطوطة رقم ٢/٢٧٩٧ احمـــد الثالـــث، اســـتانبول، ج٤، ص١٣٨– ١٣٩، وسيشار إليه تالياً: العمري، مسالك الأبصار.

(١٣٧) ربيعة بن حازم علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح بـــن شـــبيب ...الطـــائي، انظـــر: العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٦، واليه ينسب آل ربيعة الذين اســـتمر دورهـــم في العصر المملوكي، القلقشندي، صبح الأعشـــى، ج٤، ص٢٠٣، ســـعيد آل ربيعـــة، ص٤١.

(١٣٨) ينسبون إلى بحتر بن علي بن الحسين بن إبراهيم بن محمد، وكان إبراهيم بـــن محمـــد أميراً على البيرة الواقعة بين حلب والرقة، انظر: صالح بن يحيـــى، تـــاريخ بيـــروت، تحقيق فرنسيس هورس وكمال الصليبي، دار المشرق، بيروت- لبنان، ١٩٦٩، المكتبة الشرقية ١٩٨٦، ص٣٩– ٤١، وسيشار إليه تالياً: يحيى، تاريخ بيروت.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص٤٥.

(١٤٠) يحيى، تاريخ بيروت، ص٤٣.

(١٤١) المصدر نفسه، ص٤٣.

٥٥٦هـ[١٤٢]، ثم سنة ٥٦٥هـ[١٤٣] فمنحه زيادات على ما كان بيده من اقطاعات، كما اهتم الزنكيون بتوفير الاقطاعات اللازمة للقبائل العربية بما يؤمن معيشتها وأرزاقها وربطوا ذلك بضمانات المحافظة على الأمن لقوافل التجار والحجاج والمشاركة في الجهاد ضد الصليبيين[١٤٤].

وقد نهج الأيوبيون الذين خلفوا الزنكيين في حكم مصر وبلاد الشام (٥٧٠-٦٤٨ هـ) السياسة ذاتها، فقد وثق صلاح الدين الأيوبي* مؤسس دولة بني أيوب علاقته بأمراء الغرب من البحتريين ومنحهم الاقطاعات وكافأهم على مساندتهم له في موقعة حطين (٥٨٣هـ) وجعل أمير الغرب حجي بن كرامة بن بحتر وريثاً لأبيه وجده في اقطاعاتهم[١٤٥] كما اقطعه غيرها وجعلها محبوسة عليه[١٤٦] وقد سار أبناء صلاح الدين على سياسة أبيهم تجاه أمراء الغرب، حيث زاد السلطان الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين (٥٨٩-٥٩٣ هـ) من إقطاع الأمير حجي بل انه اقطعه سنة ٥٩٣ الغرب كله[١٤٧].

---

(١٤٢) يحي، تاريخ بيروت، ص٤٣.

(١٤٣) المصدر نفسه، ص٤٦.

(١٤٤) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٧، تحقيق سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ح٢٧، ص١٦٤، وسيشار إليه تالياً: النويري، نهاية الأدب؛ بدر الدين بن قاضي شهبه، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان،١٩٧١، ص ١٦؛ يحيى، تاريخ بيروت، ص ٤٣، ٤٥، ٤٦.

(١٤٥) يحيى، تاريخ بيروت، ص٤٥؛ حمزة بن احمد بن عمر المعروف بابن سباط الغربي، صدق الأخبار(تاريخ ابن سباط)جزءان، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، جروس برس، طرابلس ١٩٩٣، ج١، ص٢١٤– ٢١٥ وسيشار إليه تالياً ابن سباط، تاريخ.

(١٤٦) يحيى، تاريخ بيروت، ص٤٦.

(١٤٧) المصدر نفسه، ص٤٦– ٤٧.

وقد استمرت علاقة أمراء الغرب على هذا النحو في عهد السلطان الملك العزيز عثمان (٥٨٩-٥٩٥هـ)[١٤٨] والعادل سيف الدين أبو بكر (٥٩٦-٦١٥هـ)[١٤٩] والملك الكامل محمد (٦١٥-٦٣٥هـ)[١٥٠] والملك الصالح نجم الدين أيوب[١٥١].

(٦٤٧هـ).

يتضح مما سبق أن الزنكيين والأيوبيين حاولوا جهدهم كسب القبائل العربية، وقد كان لهذا أثره في وقوف القبائل إلى جانبهم في محاربة الصليبيين[١٥٢] وعرف عن قبيلتي آل ربيعه، والعرب البحتريين (أمراء الغرب) مقاومتهم للصليبيين إلى جانب الدولتين الزنكية والأيوبية– فقد قام التنوخيون (أمراء الغرب) بالجهاد ضد الصليبيين والمرابطة في الحصون في العهدين الزنكي والأيوبي[١٥٣]، كما قامت قبيلة ربيعه بعمل مماثل بزعامة أميرها مرة بن ربيعه سنة ٥٢٣هـ إذ وقفت إلى جانب الاتابك تاج الملوك بوري بن طغتكين في حرب الصليبيين في منطقة حوران، وحققوا جميعاً نصراً عليهم وقتلوا اعداداً منهم[١٥٤]، كما وقفت سنة ٥٦٥هـ مع نور الدين محمود في مهاجمة الصليبيين في الكرك وحاصرتهم فيها[١٥٥].

---

(١٤٨) يحي، تاريخ بيروت، ص٤٧.

(١٤٩) ابن سباط، تاريخ، ج١، ص١٨٧ - ١٨٨.

(١٥٠) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٧– ١٨٨.

(١٥١) يحيى، تاريخ بيروت، ص٤٩– ٥٠.

(١٥٢) ابن القلانسي، ذيل، ص١٨٥.

(١٥٣) يحيى، تاريخ بيروت، ص٤٣، ٤٥؛ ابن سباط، تاريخ، ج١، ص١٤٥، ٢١٤، ٢١٥.

(١٥٤) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٢٢٦.

(١٥٥) ابن الاثير، الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٤٤، وسيشار إليه تالياً: ابن الأثير الباهر؛ البنداري، سنا لبرق الشامي مختصر البرق الشامي لعماد الدين الكاتب الأصفهاني، تحقيق رمضان ششن، مطابع الأمان، بيروت، ١٩٧٠، ج١، ص٩٠، وسيشار إليه تالياً: البنداري، سنا البرق الشافي؛ يوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ط٢، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢، ص٨٥، وسيشار إليه تالياً: غوانمة، إمارة الكرك.

أما عرب بني عوف، فقد شاركوا في بناء قلعة عجلون مع الأمير أسامة بن منقذ[١٥٦] وتتبع عرب الكرك ملوك الفرنج الذين هربوا أمام القائد الأيوبي حسام الدين لؤلؤ سنة ٥٧٨هـ[١٥٧] وشاركوا في معركة حطين ضد الصليبيين ٥٨٣هـ[١٥٨].

ومع أن للقبائل العربية الشامية هذا الدور في الحقبتين الزنكية والأيوبية، إلا أن جماعات منهم كانت تقوم بأعمال السلب والنهب بل إن بعضاً منها كان يتعاون مع الصليبيين، ويتجسس لصالحهم، وهذا ما دعا بصلاح الدين الأيوبي إلى الكتابة إلى نور الدين محمود يقترح عليه ترحيل عرب بني عباد المقيمين في أطراف الكرك إلى سوريا أو مصر، لوقوعهم تحت ضغط الصليبيين واضطرارهم لتقديم الخدمات لهم، وقبول بعضهم أن يكونوا عيوناً لهم ضد المسلمين[١٥٩]، ويبدو أن هذا النوع من السلوك لم يكن بالإمكان السيطرة عليه كلياً، وهو ما يفسر استمرار بعض الأعراب بمساعدة الصليبيين ضد القائد الأيوبي حسام الدين لؤلؤ سنة ٥٧٨هـ[١٦٠]. كما أن بعضهم قام بنقل أخبار تحركات قوافلهم التجارية إلى القائد الصليبي الملك ريتشارد قلب الأسد سنة ٥٨٧هـ[١٦١].

---

(١٥٦) غوانمة، إمارة الكرك، ص١٨٤.

(١٥٧) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣- ١٩٦٠، ج٢، ص١٣٠. أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي محمد، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة،١٩٥٦؛ ١٩٦٢، ح٢، ص٢٤؛ غوانمة، إمارة الكرك، ص١٣٢.

(١٥٨) يحيى، تاريخ بيروت، ص٤٦.

(١٥٩) البنداري، سنا البرق الشامي، ج، ص١٢٥؛ غوانمة، إمارة الكرك، ص١٠٥.

(١٦٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٣١، ج٣، ص٣١٨ ؛ غوانمة، إمارة الكرك، ص١٣٣.

(١٦١) محمد بن إبراهيم بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية(سيرة صلاح الدين) تحقيق جمال الدين الشيال،ط١، الدار المصرية للتأليف والنشر، مصر، ١٩٦٤ ص١٧٠- ١٧١، وسيشار إليه تالياً : ابن شداد، النوادر السلطانية؛ سبط بن الجوزي، مرآة

ولعل وجود هذه الظواهر عند بعض القبائل العربية، هو ما دفع بصلاح الدين الأيوبي إلى التفكير بأسلوب يفرض هيمنة الدولة عليهم حيث اصدر مرسوما سنة ٥٥٨هـ. قلد فيه ابن المقدم* ولاية الشام، إذ جاء فيه أن من صلاحياته الحكم "**في جميع قبائل العرب وعشائرهم وهو يتولاهم ويجريهم على معتادهم في رسمهم ومعيشتهم وعدادهم**"[١٦٢].

ويبدو أن الأيوبيين استكملوا توجههم هذا في عهد السلطان الملك العادل (٥٩٦-٦١٥هـ) حيث قاموا بتنظيم العلاقة بين الدولة وبين القبائل، فأعطوا منصب الأمرة على عرب الشام، واصدروا أمراً بتعيين الأمير حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة أميراً على عرب الشام[١٦٣].

ظل الأمر على هذه الصيغة، حتى عهد الملك الكامل (٦١٥-٦٣٥ هـ) الذي آثر أن يُنَصِّبَ أميرين من قبيلة ربيعة في إمرة العرب، مما يشير إلى حذر الدولة من منح ثقتها إلى رجل واحد، وربما يكون السبب في ذلك محاولتها استرضاء الزعماء البارزين في القبيلة[١٦٤].

= الزمان، ج٨، ص٢٦٦-٢٦٨، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٩٧- ١٩٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢٨٣- ٢٨٤؛ غوانمة، إمارة الكرك، ص١٦٥-١٦٦.

(١٦٢) عماد الدين الأصفهاني، البرق الشامي، تحقيق فالح حسين، ج٥، ط١، عمان، الأردن، ١٩٨٧، ص٧٥ ،٧٦، وسيشار إليه تالياً: الأصفهاني، البرق الشامي.

(١٦٣) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٩.

(١٦٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٩، عن منصب الامرة انظر المصادر التالية: عمر بن احمد بن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب. تحقيق سهيل زكار، ج٢، ص٦٤٥ ،ج٣، عنى بنشره وتحقيقه سامي الدهان المعهد الفرنسي، دمشق، ص١٨٢، وسيشار إليه تالياً: ابن العديم ،زبدة حلب ؛جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ،مفرج الكروب في أخبار بني ايوب، تحقيق حسين محمد ربيع، ج٥، ص٢٨٨؛ أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، (تلخيص كشف البيان في حوادث الزمان)، تحقيق:أبو العبد دودو، دمشق، ١٩٨١، ص٢٥٥؛ وسيشار إليه تالياً: ابن نظيف، تاريخ المنصوري؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٦، ص١٢.

تلك لمحة عن الجذور التاريخية لواقع القبائل العربية في بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي وحتى بداية حكم دولة المماليك البحرية سنة ٦٤٨هـ، فما هي الصورة التي كان عليها واقع القبائل العربية في عهد هذه الدولة؟

١. ٤ القبائل العربية في بلاد الشام خلال عصر دولة المماليك البحرية(٦٥٨-٧٨٤هـ)

اتضح في المبحثين السابقين أن للقبائل العربية في بلاد الشام جذوراً ترجع إلى مطلع الألف الأول قبل الميلاد، وأن هذا الوجود اتسع خلال هجرات متصلة عبر قرون طويلة قبل الإسلام وبعده، كما لوحظ أن انتشار هذه القبائل ومسمياتها لم يكن ثابتاً بين عصر وآخر بحكم أن غالبيتها كانت تعتمد حياة التنقل، إضافة إلى ما طرأ على مسمياتها من متغيرات عبر أزمان طويلة، كما أن الظروف السياسية وطبيعة علاقة هذه القبائل بالسلطة السياسية فرضت عليها أن تغير مواقعها، بل أنها كانت تنتقل بسبب ذلك إلى أماكن تمتد في كثير من الحالات إلى غير بلاد الشام.

ومن هنا كان لا بد من التعرف على تلك القبائل العربية التي كان لها حضور في ساحة بلاد الشام أبان حكم دولة المماليك البحرية لهذه البلاد (٦٥٨-٧٨٤هـ)، ليتسنى في ضوء ذلك معرفة سياسة هذه الدولة تجاهها، وهو الموضوع الذي تعنى هذه الدراسة بالكشف عنه.

بدراسة الأدبيات المتعلقة بالقبائل العربية الشامية في هذه الحقبة، يمكن أن نقسمها إلى أربعة مجاميع؛ **المجموعة الأولى**: تضم قبيلة ربيعة والفروع التي انبثقت عنها، أما **المجموعة الثانية**: فتتمثل بتلك القبائل التي انتشرت في المناطق الجنوبية من بلاد الشام، أما **المجموعة الثالثة**: فتضم عدداً من القبائل التي انتشرت وسط وشمال هذه البلاد، وثمة **مجموعة رابعة** تختلف عن غيرها من القبائل في نمط الحياة كونها كانت تعيش حياة مستقرة وتمارس الفلاحة، ولكنها تتفق معها من حيث الارتباط الوثيق بالقيم والتقاليد القبلية، ونعني بها العرب القيسيين واليمانيين الذين توزعوا في أماكن مختلفة من بلاد الشام أبرزها غزة، والبقاع وحوران، هم الذين أطلقت عليهم المصادر اسم: العشير، أو العشران.

وفيما يلي لمحة عن هذه القبائل:

١. قبيلة ربيعة:

كان أول ظهور ملحوظ لقبيلة ربيعة في عهد اتابكية دمشق (٤٨٨- ٥٢٢هـ) فقد برز آنذاك أحد رجالها، وهو الأمير ربيعة بن حازم بن علي بن مفرح بن دغفل بن جراح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حماد، الذي أخذت القبيلة أسمها منه[١٦٥]، وقد تنبه حاكم الاتابكية طغتكين*(٤٩٧- ٥٢٢هـ) إلى الدور الذي أداه الأمير ربيعة فعينه أميراً على عرب الشام[١٦٦].

وقد تعاظم دور القبيلة في العهدين الزنكي (٥٢١- ٥٦٩هـ) والأيوبي (٥٧٠- ٦٤٨هـ) وبخاصة أن أمراءها ظلوا يشغلون منصب إمرة عرب الشام، وقد تزامن مع ذلك اتساع كبير في أعداد القبيلة فانبثق عنها ثلاثة فروع رئيسة، وهي: **آل فضل وآل علي وآل مِرا**، وهي الفروع التي برز لها شأن كبير خلال حقبة الدراسة.

آل فضل:

أما آل فضل فينتسبون إلى فضل بن ربيعة، الذي كان اتباعه الأكثر انتشاراً وعدداً قياساً على أبناء عمومتهم من آل علي وآل مِرا [١٦٧].

تفرع آل فضل إلى عدة بيوتات هي آل عيسى[١٦٨] وهم عدة بيوتات أهمها: بيت مهنا بن عيسى، وبيت فضل بن عيسى، وأولاد حديثة بن عيسى، وآل هبة بن

(١٦٥) انظر نسبه مفصلاً لدى: العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٦؛ بهاء الدين محمد بن لطف الله الخالدي، المقصد الرفيع، المنشأ الحاوي إلى صناعة الانشا، مخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية عن مخطوط بجامعة القاهرة رقم ٤٥- ٤٢،ص١٥٧، وسيشار إليه تالياً: الخالدي، المقصد الرفيع.

(١٦٦) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٩.

(١٦٧) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٧- ١٣٨.

(١٦٨) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٧.

عيسى[١٦٩]، وأولاد محمد بن عيسى، وقد كـان"**آل عيسـى رأس الكـل وسـادات الناس**"[١٧٠].

ومن البيوت الأخرى التي يتكون منها آل فضل آل فرح، وآل سـميط، وآل مسلم وآل عامر، وكانت أراضيهم جميعاً بين حمص وقلعة جعبر، فالرحبة، كما كان لهم وجود في أطراف نهر الفرات وفي الوشم والبصرة[١٧١].

إن امتداد آل فضل هذا في بلاد الشام وفي العراق الذي كان خاضعاً للسيطرة المغولية الإيلخانية، ثم للسيطرة الجلائرية وضعهم موضع التأثير، والتـأثر بهـاتين القوتين السياسيتين من جهة وبدولة المماليك البحرية التي ينتمون إليها، مـن جهـة أخرى[١٧٢].

ويلاحظ أن الأراضي التي انتشر فيها آل فضل، سواءً ما كان منها في بـلاد الشام، أو في العراق، أتسم معظمها بالخصب وبتوافر المياه وهو ما سـاعد علـى تمكينهم اقتصادياً، وإضفاء قوة على قوتهم ولعل هذا هو ما دفع بالقبائـل العربيـة الشامية الأخرى إلى الدخول في أحلاف وموالاة[١٧٣]، مما يدل على ارتفاع مكـانتهم بين القبائل العربية مما جعلهم موضع تقدير معاصريهم من المؤرخين، وهو ما يفهم من تقييم ابن فضل الله العمري وهو مؤرخ معاصر لهذه الحقبة الذي قال:

---

(١٦٩) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٧؛ أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى فـي صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، د.ط، دار الكتب العلمية، بيـروت- لبنـان، د.ت، ج٤، ص٢١٥، وسيشار إليه تالياً: القلقشندي، صبح الأعشى.

(١٧٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٥.

(١٧١) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٨.

(١٧٢) غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٤٨ Quatremre, Histoire des Sultans mamlouke paris , ١٩٣٤, vo١,p١٧٦

(١٧٣) من هذه الأحلاف: خالد حمص وطائفه من سنبس وسعيدة وطائفة من فربر وبنو خالـد الحجاز وبنو عقيل، وبنو رحيم وآل أجود والبطنين وساعد، وآل جناح ومياس والحبور والدعم وآل مسخر وبيوت والمعامر والعلجات ومن الموالي آل بشار وبعض بني كلاب وكلب والحريث وغيرهم انظر المزيد: العمري، مسالك الأبصار،ج٤، ص١٣٧- ١٣٨.

"**على أني لا أعلم في وقتنا من لا يؤثر صحبتهم ويظهر محبتهم**"[١٧٤].

إن هذا هو ما يفسر أيضاً بقاء الأمرة على عرب الشام بأيديهم في معظم الحالات غير أن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن بيتاً واحداً من بيوتاتهم هو الذي استأثر بذلك وبالأمرة على آل فضل أيضاً، ونعني بهم بيت آل عيسى والذي انبثق عنه بيت مهنا الذي استأثر بشؤون القبيلة بعده مدة من الزمن.

ويبدو أن استئثار آل مهنا هذا بالأمرة، لم يكن دوماً مقبولاً من بقية بيوتات آل فضل و قبيلة ربيعة الأخرى، فقد دخلوا في خصومات بين بعضهم بعضاً؛ وهو الأمر الذي بلغ ذروته أواسط القرن الثامن الهجري، عندما برز لآل مهنا منافسون جدد من أبناء عمومتهم،ونعني بذلك فضل بن عيسى* ت٧٣٧هـ [١٧٥] وأبناءه الذين لم يكونوا يعترفون بسلطة آل مهنا عليهم [١٧٦].

كان على رأس إمرة آل فضل عند امتداد الحكم المملوكي إلى بلاد الشام، الأمير عيسى بن مهنا*، الذي استمر في منصبه هذا حتى وفاته سنة ٦٨٣هـ في عهد السلطان المنصور قلاوون [١٧٧]. وقد تولى إمرة العرب بعده ابنه الأمير حسام الدين مهنا* الذي دخل في صراعات مع الدولة المملوكية ٦٨٣هـ- ٧٣٥هـ. فكانت

---

(١٧٤) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٨.

(١٧٥) موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، نزهة الناظرفي سيرة الملك الناصر، تحقيق ودراسة أحمد حطيط، ط١، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٩٨٦، ص٣٧٥، وسيشار إليه تالياً: اليوسفي، نزهة الناظر.

(١٧٦) أحمد بن محمد ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت، ج٢، ص٢٧٩، وسيشار إليه تالياً: ابن حجر، الدرر الكامنة.

(١٧٧) يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ج٧، ص٣٠٧، وسيشار له تالياً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة.

أمرته متقطعة حيث سجن خلالها [١٧٨]، وعزل وطرد عن بلاد الشام مرات عدة [١٧٩]، وقد توالى على إمرة آل فضل بيتان: هما آل مهنا بن عيسى وآل فضل بن عيسى وإن كان آل مهنا بخاصة قد استأثروا بهذا المنصب، حيث ولي بعد وفاة الأمير حسام الدين مهنا سنة ٧٣٥هـ، ابنه الأمير مظفر الدين موسى بن مهنا* الذي ارتبط بصلات وثيقة مع الدولة، إذ لم يعهد عنه خروجه على طاعة السلطان [١٨٠]، وقد وصفه ابن تغري بردي بأنه "**من أجل ملوك العرب**" [١٨١]، وبعد وفاته سنة ٧٤٢هـ [١٨٢]، ولي السلطان الناصر أحمد (٧٤٢هـ) منصب الأمرة لأخيه علم الدين سليمان بن مهنا* الذي وصف بأنه كان مهاباً شجاعاً، ثم انتقلت الأمرة بعد وفاته

---

(١٧٨) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٠- ١٤١؛ ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن الفرات، تاريخ ابن الفرات، حققه وضبط نصه قسطنطين زريق، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٤٦، مج٨، ص٨، وسيشار إليه تالياً: ابن الفرات، تاريخ.

(١٧٩) صلاح الدين خليل بن أيبك، الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، حققه علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، بيروت- لبنان، ج٥، ص٤٩٠، وسيشار إليه تالياً: الصفدي، أعيان العصر؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص١٩٨- ١٩٩؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٣١٤.

(١٨٠) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٩٠؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك/، ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، ط٢، مطبعة التأليف والترجمة، مصر الجديدة، ١٩٥٧، ج٢، ق٢، ص٥٣٥؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٩٠.

(١٨١) ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٦٢.

(١٨٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٢٥؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٦١٥؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٦٢.

سنة ٧٤٤هـ[١٨٣]، إلى ابن عمه شرف الدين عيسى بن فضل* بن عيسى (ت ٧٤٤هـ)[١٨٤]، وبعد وفاته قلد السلطان الصالح إسماعيل ٧٤٣- ٧٤٦هـ الأمرة لأخيه سيف بن فضل*(٧٤٤- ٧٤٦هـ) إلى أن عزله السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد (٧٤٦- ٧٤٧هـ)[١٨٥] بالأمير أحمد بن مهنا*.

ويذكر ابن شاهين أن سيف أعيد ثانية في عهد السلطان المظفر حاجي(٧٤٧- ٧٤٨هـ)[١٨٦]، وقيل أنه بقي معزولاً من سنة ٧٤٦هـ، حتى مقتله سنة ٧٥٩[١٨٧] أو ٧٦٠هـ في حروب مع ابن عمه عمر بن موسى بن مهنا[١٨٨]، ووصف سيف بأنه كان "**أحد أمراء الأعراب الأجواد الأنجاد، مطاعاً في قومه، مشهوراً بالشجاعة**"[١٨٩].

---

(١٨٣) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٨؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٣٧؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٠٣؛ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ج٦، ص٥٥، وسيشار إليه تالياً:؛ ابن تغري، المنهل الصافي؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٥٨.

(١٨٤) الصفدي، أعيان العصر،ج٢، ص٤٥٥؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٨- ٤٢٩، ج٦، ص١٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٤؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٣٧٦.

(١٨٥) زين الدين عبدالباسط بن خليل شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٢، ق١، ص٣١٢، وسيشار إليه تالياً: ابن شاهين، نيل الأمل.

(١٨٦) المصدر نفسه، ق١، ص٣١٢، وانظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٧٩؛ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وأحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة، ج١، ص١٠٠؛ وسيشار إليه تالياً: السخاوي، وجيز الكلام؛ المقريزي، السلوك، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٧م، ج٤، ص٧٧، وسيشار إليه تالياً: المقريزي، السلوك، دار الكتب العلمية.

(١٨٧) المقريزي، السلوك، ج٤، ص٢٤٣، دار الكتب العلمية.

(١٨٨) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٨.

(١٨٩) ابن تغري، المنهل الصافي، ج٦، ص١٩١.

ويتبين مما سبق أن الأمرة تناوب عليها بيوتات آل مهنا وآل فضل منذ سنة (٧٤٢ -٧٤٨هـ) ثم انفرد آل مهنا بالأمرة حيث أعيد إليها ثانية أحمد بن مهنا(٧٤٨- ٧٤٩هـ) في عهد السلطان الناصر حسن في سلطنته الأولى (٤٨-٧٥٢هـ) [١٩٠]، وقد وصف الأمير أحمد بن مهنا بـ "**العقل والسكون**" [١٩١]، وكان معاصراً لابن فضل الله العمري الذي قال عنه "**وأمير القوم [في وقتنا] أحمد بن مهنا**" [١٩٢]، وبعد وفاته سنة (٧٤٩هـ) نقلت الأمرة لأخيه فياض بن مهنا (ت٧٦٠هـ) في عهد السلطان الناصر حسن لسلطته الأولى (٧٤٨- ٧٥٢هـ) ثم عزل بأخيه حيار بن مهنا سنة (٧٦٢هـ) في عهد السلطان الناصر حسن لسطنته الثانية (٧٥٥- ٧٦٠هـ)[١٩٣]، وقد عزل حيار عن الإمرة بسبب تمرده خلال السنوات: (٧٦٥ - ٧٧٠هـ) فتولى مكانه سنة (٧٧٠هـ) زامل بن موسى بن مهنا في عهد السلطان الأشرف ثم خرج زامل عن الطاعة فعزل بالأمير معيقل بن فضل حتى سنة (٧٧٥هـ) ثم أعيد حيار للأمرة (٧٧٥هـ) واستمر فيها حتى وفاته (٧٧٧هـ) ومنذ (٧٧٧- ٧٨١هـ) تقلدها مالك بن مهنا في عهد السلطان المنصور علي (٧٧٨- ٧٨٣هـ) الذي جعل الأمرة مشتركة بعد وفاة مالك سنة (٧٨١هـ) بين آل مهنا وآل فضل فكانت مناصفة بين معيقل بن فضل بن عيسى (ت٧٨٦هـ) والأمير قارا بن مهنا الذي مات في سجنه سنة(٧٨١هـ) وكان قارا هذا ديناً شجاعاً، وقد أشرك معه السلطان بعغد وفاة الأمير قارة سنة (٧٨١هـ) الأمير زامل بن موسى بن مهنا ثم عزلهما في السنة ذاتها

---

(١٩٠) انظر: الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص٣٩٩؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٩؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٣٩٢؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ق١، ص١٧٠.

(١٩١) الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص٣٨٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٤٢.

(١٩٢) مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٨.

(١٩٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص١٦٩، ٣٢٢- ٣٢٣؛ ج٣، ص٢٣٤، انظر عن أمراء هذه الحقبة: ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٩، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٤.

بالأمير محمد بن حيار الملقب بنعير والذي انفرد بالإمرة حتى مقتله سنة ٨٠٨هـ[194].

وكان آل مهنا بعد وفاة السلطان الناصر محمد قد قوى أمرهم وزاد عددهم "**حتى وصل أولاد مهنا بن عيسى نحو مائة وعشرة، ما منهم إلا وله أمرة وإقطاع فبطروا**"[195].

وقد كان تعيين أمير آل فضل يتم بموجب تقليد* يصدر من قبل السلطان وأما رسم المكاتبة إليه فهو:"**أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي الأميري، مع ذكر الألقاب الجليلة الفخمة وهي خاصة بأمير هذه القبيلة**"[196].

أما من هم دون ذلك من أمراء آل فضل فيكاتبون بالمجلس السامي ومجلس الأمير[197]، وقد أورد القلقشندي نص تقليد كتب للأمير شجاع الدين فضل بن عيسى من قبل السلطان الناصر محمد وآخر كتب للأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وخاطبهما بـ"**المجلس العالي**"[198].

آل مِرا:

بكسر الميم، وهم الفرع الثاني لقبيلة ربيعة، فإن ديارهم تمتد في حوران والجيدور والجولان حتى الزرقاء والضليل باتجاه بصرى وجنوباً باتجاه الحجاز حتى

---

(194) انظر ابن خلدون، تاريخ، ج٦، ص١٣- ١٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٤- ٢١٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٢٠؛ أنباء الغمر بأبناء العمر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م، ج١، ص٣١٩، وسيشار إليه تالياً: ابن حجر، أبناء الغمر؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٢٤٦.

(195) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٨٤٣.

(196) أحمد بن محمد بن سليمان المصري، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف مخطوط بمركز الوثائق في الجامعة الأردنية شريط رقم ١٠٧٠، ص٦٣ وسيشار إليه تالياً: المصري، تثقيف؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٦، الخالدي، المقصد الرفيع،ص٢٣٩.

(197) انظر: المصري، تثقيف، ص٦٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٥، ج١٢، ص١٢٦- ١٢٧.

(198) انظر الملحق (ج).

حرة كشب قرب مكة، ثم تمتد إلى شعباء ونيران مزيد حتى هضبة الراقي مما مكنهم من أن يكونوا قوة مؤثرة بحكم وقوع طرق المواصلات والحج عبر أراضيهم[١٩٩].

كان أمير قبيلة آل مِرا عند قيام دولة المماليك البحرية في بلاد الشام هو الأمير أحمد بن حجي* (ت ٦٨٢هـ) الذي كانت القبيلة في عهده مترابطة، ثم انقسمت بعد وفاته إلى خمسة فروع هي:

آل مسخر، وآل نمي، وآل بقرة، وآل شما، وآل أحمد بن حجي الذي انبثق عنه فرعان آخران هما: بيت نجاد بن أحمد بن حجي (ت٧١٦هـ) وبيت سليمان بن أحمد بن حجي، وكانت الأمرة بينهما مناصفة[٢٠٠]، وقد وصف القلقشندي انقسامهم هذا بالقول:"**وكان لهم بأحمد بن حجي الأنفة الشما، ثم تشتتت كلمتهم بقسمة الأمراء**"[٢٠١].

ارتبط آل مِرا بتحالفات مع قبائل عربية شامية منها حارثة والحاص وبني لام وسعيدة ومدلج وبنو صخر وزبيد حوران، كما كان لهم تحالفات مع عرب البرية في بلاد الشام وهم: آل ظفير والمفارجة وآل سلطان وآل غزي وآل برجس وآل خرسان، وآل المغيرة[٢٠٢].

ومن أشهر أمراء آل مِرا أحمد بن حجي (ت ٦٨٢هـ) الذي كان منافساً لأمير العرب عيسى بن مهنا (ت ٦٨٣هـ)، ثم ابنه نجاد بن أحمد بن حجي ثم ابنه قناة بن نجاد الذي ولي الأمرة بعد وفاة الأمير ثابت بن عساف (٧٣٣هـ)[٢٠٣].

---

(١٩٩) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٥٦؛ القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان ١٩٨٢، ص٧٩، وسيشار إليه تالياً: القلقشندي قلائد الجمان؛ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص١١١- ١١٢، وسيشار إليه تالياً: القلقشندي، نهاية الأرب؛ صبح الأعشى، ج٤، ص١٣١.

(٢٠٠) المصري، التثقيف، ج٦٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٦.

(٢٠١) القلقشندي، نهاية الأرب، ص١١١- ١١٢.

(٢٠٢) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص ١٥٦.

(٢٠٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٥- ٢١٦.

أما رسم المكاتبة لأمراء آل مِرا فكانت المجلس السامي الأميري[٢٠٤] بالياء أما في حالة مخاطبة غيره من أمراء آل مِرا، فقد كان يخاطب بعبارة "**السامي الأميــر**" و"**مجلس الأمير**" حسب مرتبة كل منهم [٢٠٥].

آل علي:

أما آل علي فقد كانوا قبل سنة (٦٥٩هـ) جزءاً من آل فضل، إلا أنهم اختلفوا معهم وانفصلوا عنهم، وقد كان أميرهم قبل ارتباط بلاد الشام بالمماليك الأمير علي بن حديثة [٢٠٦].

امتدت أراضي آل علي في البلاد المحيطة بدمشق وفي غوطتها كما كان لهم امتداد باتجاه الجوف والجنانية استمراراً ثم واحة تيماء فالبرادع باتجاه الحجاز، وقد أعطاهم موقعهم هذا أهمية كبيرة [٢٠٧].

ومن أشهر أمراء آل علي زامل بن علي بن حديثة في عهد الظاهر بيبرس[٢٠٨]، والأمير محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة الذي ولي أمرة آل فضل سنة (٧٢٠هـ)، في عهد السلطان الناصر محمد [٢٠٩] وابنه عز الدين جماز بن

---

[٢٠٤] انظر: المصري تثقيف، ص٦٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٦؛ ج١٢، ص١٣٠، انظر ملحق رقم (٦، ٧).

[٢٠٥] القلقشندي، نهاية الأرب، ص٩٨- ٩٩، ١٠٥، ١١١، الخالدي، المقصد الرفيع ص١٥٧.

[٢٠٦] العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٩.

[٢٠٧] المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٥؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٨- ٤٢٩؛ ج١٦، ص١٤- ١٦.

[٢٠٨] المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٧.

[٢٠٩] المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٥.

محمد* [٢١٠] ثم ابنه رملة بن جماز ابن محمد بن أبي بكر سنة (٧٦١هـ)، وكان أميرهم يخاطب بالمجلس السامي سنة (٧٦١هـ) ولم تتوفر معلومات عن أمرائهم بعد هذا التاريخ [٢١١].

قبيلة زُبَيْد:

بضم الزاي، وفتح الباء، وسكون الياء، هم بنو زبيد بن معن بن عمرو بن طيء [٢١٢]، وهم فرق شتى في بلاد الشام ومنهم زبيد صرخد (حوران)[٢١٣]، وزبيد مرج دمشق وغوطتها، وتمتد ديارهم جميعاً في دمشق المرج والغوطة بدمشق إلى أم أوعال* وعليهم الدرك وحفظ الأطراف [٢١٤]، وهم مجاورين لآل ربيعة بفروعها الثلاث.

لم تذكر المصادر من أمراء زبيد في مرج دمشق الاّ الأمير نوفل الزبيدي ت (٦٧٥هـ) والأمير هلال ابن ساعد الزبيدي أما فرق زبيد الأخرى فيذكر ابن فضل الله العمري أن هؤلاء ليس لهم أمرة إنما عليهم شيوخ ويرتبطون مباشرة بنائب الشام، ولا سلطة للأمراء العرب الآخرين عليهم [٢١٥]، وكان رسم مكاتبتهم (مجلس الأمير) إلا أن مكاتبتهم مرتبطة بمدى طاعتهم للدولة "**إذ أطاعوا كتب لأكابرهم الاسم ومجلس الأمير**" على حد قول صاحب التثقيف [٢١٦].

---

(٢١٠) صبح الأعشى، ج١٢، ص١٢٤.

(٢١١) انظر ملحق (د).

(٢١٢) القلقشندي، قلائد الجمان، ص٨٢.

(٢١٣) القلقشندي، نهايةالأرب، ص٢٤٩.

(٢١٤) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٥٧؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص٤٢٩؛ قلائد الجمان، ص٨٣.

(٢١٥) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٥٧.

(٢١٦) المصري، تثقيف، ص٦٤.

٢. القبائل العربية التي تركزت في جنوبي بلاد الشام:

تركزت في المناطق الجنوبية من بلاد الشام مجموعة من القبائل العربية بينها قبيلة **بني عقبة**؛ وهم بطن بن جذام[٢١٧]، أما ديارهم فتشمل الكرك والشـوبك ومـا حولهما إلى الشرق من البحر الميت، كما أنهم يمتدون جنوباً نحو مدينة تبوك وواحة تيماء وحتى الحديداء، شرقي الحجاز [٢١٨]. ومن أبرز أمراء هذه القبيلة الأمير عبية [٢١٩] ثم أولاده سابق ابن عبية الذي كان أميراً عليها سنة ٦٧٤هـ [٢٢٠]، ثم أخوه بدر الدين شطي ابن عبية* المتوفي (٧٤٨هـ)، ثم ابنه الأمير أحمد بن شطي بن عبيـة [٢٢١].

كما انتشرت قبيلة **بني مهدي**؛ وهي بطن من جذام في منطقة البلقاء وبـاير والصوان وحتى أطراف الكرك وتفرع عن هذه القبيلة بطون كثيرة[٢٢٢]، وقد ارتبطت

---

(٢١٧) بنو عقبة، بضم العين وسكون القاف، وهم بنو عُقْبة بن حرام بن جذام؛ وقيل هـم مـن بني (محرمة). انظر: القلقشندي، نهاية الأرب، ص٣٣٠، ٣٧١.

(٢١٨) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٥؛ خريسات، تاريخ الأردن، ص٢٩.

(٢١٩) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص١٦٤-١٦٥.

(٢٢٠) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٦٢٤.

(٢٢١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٨٧؛ ابن تغري بـردي، المنهـل الصـافي، ج٦، ص٢٣١.

(٢٢٢) منها: المشاطبة، والأدعياء، والعناتر، والبتـرات، واليعاقبـة، والمطارنـة، والعفيـر، والقطاربة، والعجارمة، وأولاد الطائية، وبنو دوس، وآل يسار، والمجابرة، والسـماعة، وبنو خالد، والسلمان، والقرانسية، والدرالات، والحمالات، والمساهرة، والمغاورة، وبنو عطا، وبنو مياد، وآل شبل، وآل رويم، والمحارمة، وبنو عياض، وبنـو داود، انظـر: العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٤- ١٣٥؛ القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج٤، ص٢٢٠- ٢٢١، وقد اختلفت هذه المصادر عن بعضها في ضـبط الأسـماء؛ انظـر خريسات، تاريخ الأردن، ص٢٨.

القبيلة برباط النسب والمصاهرة مع قبيلة بني عقبة [٢٢٣]، ووصفهم القلقشندي بالقول: **أنهم الأكثر عدداً والأوسع نطاقاً في قبائل جذام** [٢٢٤].

وكانت الأمرة عليهم مقسومة في أربعة منهم لكل واحد الربع، ومن أمرائهم الذين ورد ذكرهم في سنة (٦٨٢) في عهد السلطان قلاوون الأمير شرف الدين راشد بن بشير[٢٢٥]، وناصر الدين بن حسن[٢٢٦]، وموسى بن حناس، وقد ذكر صاحب التثقيف الذي كان معاصراً لأواخر دولة المماليك البحرية وأوائل دولة المماليك الجراكسة أن الإمرة في زمانه كانت باسم ببرو بن ذؤيب بن سعيد[٢٢٧]، ويتضح أن أمراء بني مهدي كان يرتبطون بالسلاطين برباط قوي، هذا ما تبين من علاقتهم بالسلطان الأشرف خليل الذين كانوا يرافقونه أثناء جولاته لبلاد الشام ويحضرون مجالسه [٢٢٨]، وكان رسم المكاتبة من السلطان إلى أمراء بني مهدي هو "**مجلس الأمير**" وهي ضمن رتبة السامي بغير ياء [٢٢٩].

ومن جذام عرب بني صخر ومنازلهم حول الكرك ومن بطونهم الدعجيون، والصوتيون، والعطويون، وهم من أحلاف آل فضل [٢٣٠]، ومن جذام بنو فيض وبنو

---

(٢٢٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢١.

(٢٢٤) القلقشندي، قلائد الجمان، ص٦٦.

(٢٢٥) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، حققه وضبط نصه قسطنطين زريق، بيروت، ١٩٤٦، حوادث (٦٧٢- ٦٨٢هـ)، مج٧، ص٢٥٩- ٢٦٠، وسيشار إليه تالياً: ابن الفرات، تاريخ.

(٢٢٦) المصدر نفسه، مج٧، ص٢٥٩- ٢٦٠.

(٢٢٧) المصري، تثقيف، ص٦٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٧؛ ج١٢، ص٤٢١.

(٢٢٨) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٠.

(٢٢٩) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٠٥-١٠٦؛ ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص٢٥٩- ٢٦٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٧، ج١٢، ص١٣٦؛ المصري، تثقيف، ص٦٤.

(٢٣٠) القلقشندي، نهاية الأرب، ص٢٨٦؛ قلائد الجمان، ص٦٦- ٦٨؛ خريسات، تاريخ الأردن، ص٢٩.

مرة في القدس، وبنو نمير خفراء الكفرين ونمرين [٢٣١]، وبنو جوشن* خفراء الموجب وبنو بعجة خفراء الزويرة* وبنو عجرمة خفراء الرقطانة والحسة [٢٣٢]،ومن شـيوخ العجارمة مسعود بن جرير فكان له مكانة عند ولاة الأمور[٢٣٣]، ويذكر ابن بطوطة أن أحد أمرائهم محمد بن رافع، وقد وصف بأنه كان **(كبير القدر في الأمراء)** سـنة ٧٢٦هـ [٢٣٤]،ومن جذام عرب بني زهير في الشوبك [٢٣٥].

ومن القبائل المنتشرة جنوب بلاد الشام **قبيلة العايد** وهي بطـن مـن جـذام يتواجدون عبر منطقة الحدود البرية بين مصر وبلاد الشام والحجاز، وبخاصة أنهم يمتدون إلى العقبة والكرك من جهة الشام، إلى بلبيس من جهة مصر ويتركزون في مدينة غزة[٢٣٦]، وكان درك* هذه البلاد حتى العقبة عليهم [٢٣٧].

وقد خلع السلطان الظاهر بيبرس على أمرائها سنة ٦٦١هـ، وألزمهم القيام بالعداد* واشترط عليهم خدمة البريد وإحضار الخيل برسمه [٢٣٨].

وفي أوائل سلطنة الناصر محمد الثالثة عمل على تنظيم البريد بحيث خففـت الدولة عنهم جزءاً من التزاماتهم وبخاصة درك المنطقة الممتدة من منزلة السـعيدية إلى رفح، وألزمتهم بواجباتهم تجاه الدولة [٢٣٩].

---

(٢٣١) القلقشندي، قلائد الجمان، ص٦٧.

(٢٣٢) انظر العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٤- ١٣٥؛ خريسـات، تـاريـخ الأردن، ص٢٩.

(٢٣٣) القلقشندي، قلائد الجمان، ص٦٦.

(٢٣٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت، ص١٢٩، وسيشار إليه تالياً: ابن بطوطة، تحفة النظار.

(٢٣٥) الخالدي، المقصد الرفيع ص١٥٧..

(٢٣٦) القلقشندي، نهاية الأرب، ص٨٧؛ قلائد الجمان، ص٦٤- ٦٥، انظر: مصطفى الـدباغ، القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشـر، د.م، ١٩٨٦، ص١٢٩، وسيشار إليه تالياً: الدباغ، بلادنا فلسطين.

(٢٣٧) القلقشندي، قلائد الجمان، ص٦٥.

(٢٣٨) المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٤٨١.

[239] عبدالله بن أيبك الداوداري، كنز الدرر وجامع الغرر، وهو الدر الفاخر في سيرة الملـــك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة، ١٩٦٠، ج٩، ص١١٤، وسيشار إليـــه تالياً: ابن أيبك، كنز الدرر.

ويجاور قبيلة العائد، **قبيلة ثعلبة**، وهي بطن من طي وديارهم من مصر إلى الخروبة*، ولهم أحلاف كثير [٢٤٠]. وإلى جوارهم جرم ويقطنون بلاد غزة والداروم مما يلي الساحل والخليل ويذكر العمري أن الأمرة لعرب جرم على زمانــه كانــت لفضل بن حجي [٢٤١]، ورسم المكاتبة إليه (مجلس الأمير)[٢٤٢]، والسامي بغير ياء [٢٤٣]، كما انتشرت قبائل أخرى افي الجهات الجنوبية من بلاد الشام تنتمي إلى فروع قبيلتي طي وجذام وغيرهما[٢٤٤].

٣. القبائل العربية في وسط وشمال بلاد الشام:

قبيلة تنُوخ:

بفتح التاء، وضم النون وسكون الواو، بطن من قضاعة، أقاموا في بلاد الشام [٢٤٥]، ثم انتشروا في لبنان [٢٤٦]، ومنهم أمراء الغرب التنوخيون البحتريون و بلادهم بيروت وما حولها وهم ينتسبون إلى بحتربن علي بن إبراهيم، وقد كان الأخير أميراً على البيرة سنة (٤١٨هـ) ثم انتقلوا إلى بيروت وتولى أمراء الغرب مهمة مقاومة الفرنج الصليبيين إذ اتخذ كرامة بن بحتر من حصن سرحمور مركزاً لمحاربة الفرنج في عهد السلطان نور الدين زنكي (٥٥٢هـ)[٢٤٧].

وكان على أمراء الغرب درك بيروت وما حولها[٢٤٨].

---

(٢٤٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٩- ٢٢٠.

(٢٤١) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٢.

(٢٤٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٩، ج٧، ص٢٠٨.

(٢٤٣) المصري، تثقيف، ص٦٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٠٨.

(٢٤٤) العمري، مسالك الأبيصار' ج٤، ص١٦٥-١٦٦؛ القلقشــندي، صــبح الأعشــى، ج١، ص٣٨٣؛ قلائد الجمان، ص٦٨-٩٧؛ نهاية الأرب، ص٣٤٨، انظر خريسات، تــاريخ الأردن، ص٢٧-٣٢.

(٢٤٥) القلقشندي، قلائد الجمان، ص٥٠- ٥١.

(٢٤٦) سعيد عاشور، مصر والشام في عصر الأيــوبيين والمماليــك، دار النهضــة العربيــة، بيروت، د.ت، ص٣٣٥، وسيشار إليه تالياً: عاشور، مصر والشام.

(٢٤٧) يحيى، تاريخ بيروت، ص٤١- ٤٣.

(٢٤٨) المصدر نفسه، ص٧٢، ٨٦.

ذكرت المصادر أسماء أشهر أمرائهم وهم زين الدين صالح بن علي بن بحتر (ت ٦٩٥هـ)[٢٤٩]، وجمال الدين حجي بن نجم الدين بن حجي ويعرف بجمال الدين الكبير (ت٦٩٧هـ)[٢٥٠]، والأمير سعد الدين خضر بن محمد بن حجي[٢٥١]، والأمير ناهض الدين بحتر بن زين الدين صالح الذي أقيم له احتفال خاص تقديراً لجهوده في إيواء الجند المماليك المتجهين إلى مصر بعد وقعة الخازندار(٦٩٩هـ) حيث منح في دمشق أمرية طبلخانة* سنة (٧٠٠هـ) وهي السنة التي توفي فيها[٢٥٢]، إضافة إلى أمراء آخرين أوردتهم المصادر[٢٥٣].

وكان رسم المكاتبة لأمراء الغرب المجلس السامي وهو ما كتب الأمير ناصر الدين الحسين بن سعد الدين الحسين بن سعد الدين، وكوتب بمجلس الأمير للأمراء: عز الدين حسين بن شرف الدين، ومجلس الأمير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف بن زيد الدين صالح، وكانت المكاتبات تختص بمنحهم الاقطاعات[٢٥٤].

كلب وكلاب:

وكان عرب بني كلاب وكلب قد انتشروا على أطراف حلب، وقد عين السلطان المنصور قلاوون سنة (٦٨٧) أميراً على عرب بني كلاب كلب (قضاعة) المقيمين في الجهات القبلية من ثنية العقاب في حمص وشيزر وحلب، وهو الأمير بدر الدين طيمون بن ريشة الكلبي، واستثنى بقية القبيلة المتواجدة شمال ثنية العقاب في المنطقة المذكورة[٢٥٥]، ومن أبرز أمراء بني كلاب أحمد بن نصير المعروف بالتتري والذي ولاه السلطان الناصر محمد أمرة القبيلة، ثم ربطها لآل فضل حيث قلد

---

(٢٤٩) يحيى، تاريخ بيروت، ص٥٨، ٧٦.

(٢٥٠) المصدر نفسه، ص٥١، ٥٥.

(٢٥١) المصدر نفسه، ص٥٦- ٥٧.

(٢٥٢) المصدر نفسه، ص٧٦- ٧٧.

(٢٥٣) يحيى، تاريخ ،بيروت، ص٧٨، ٧٩.

(٢٥٤) المصدر نفسه، ص٨٧- ٨٨.

(٢٥٥) القلقشندي، قلائد الجمان، ص٤٦ - ٤٧.

أمرتها لسليمان بن مهنا وجعل على قبيلة بني كلاب حفظ جعبر ومـا حولهـا[٢٥٦]، وكانت كلب قد انتشرت في شيزر وبيدوم والمناظر[٢٥٧]، وكانت أخبارهم نادرة مما يعني أنصهارهم في المجتمع الشامي واستقرارهم في المدن والقرى[٢٥٨].

اشتهر عرب كلاب بالشجاعة والفروسية ووصفهم العمري بأنهم"**عرب غـز رجال حروب وأبطال جيوش**"[٢٥٩].

٤. عرب العشير:

وهم قبائل عربية قيسية ويمنية استقرت حول المدن وفي القـرى وامتهنـت الزراعة مع احتفاظها بالقيم والعادات والتقاليد القبلية وقد أطلقت علـيهم المصـادر العشير[٢٦٠]، والعشران[٢٦١]، والعشيرات[٢٦٢]، ومن عشير بلاد الشام الـواردة مـن المصادر عشير غزة[٢٦٣]، وعشير نابلس[٢٦٤]، وعشير بني أسد وبني هلال[٢٦٥]، وبني لبسة وناشئ في حوران[٢٦٦]، وعشير طرابلس وبعلبك والبقاع[٢٦٧]، وعشير عجلون ويعرفون بالمواسين [٢٦٨].

---

(٢٥٦) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج٨، ص٢٥- ٢٦.

(٢٥٧) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٦٠- ١٦١.

(٢٥٨) القلقشندي، قلائد الجمان، ص٤٧- ٤٨.

(٢٥٩) المصدر نفسه، ج٤، ص١٦٠.

(٢٦٠) المقريزي، السلوك،ج١، ق٣، ص٦٩٠؛ ابن الفرات، تاريخ، مـج٧، ص٢١٢، حاشـية ٢.

(٢٦١) المصدر نفسه، ج١، ق٣، ص٧٠٠.

(٢٦٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٣٣٠.

(٢٦٣) ابن الفرات، تـاريخ، مـج٧، ص٢١٢، حاشـية ٢؛ المقريـزي، السـلوك،ج١، ق٣، ص٦٩٠.

(٢٦٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٧٠٠.

(٢٦٥) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص٨٣.

(٢٦٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٣٠٢.

(٢٦٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٦٦٩.

(٢٦٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٣٣١.

وقد كانت السمة الغالبة على هؤلاء العشير كثرة فسادهم وتعرضهم للطرق [٢٦٩]، مما يدفع بالدولة إلى محاربتهم وأسر زعمائهم وفرض عقوبة التوسيط* على المجرمين منهم [٢٧٠]، ومن زعمائهم في حوران عمر المعروف بالدنيط [٢٧١]، وكان شيخ العشير يطلق عليه لقب مقدم*.

يتضح مما سبق أن القبائل العربية الشامية التي عاصرت دولة المماليك البحرية (٦٥٨- ٧٨٤هـ) كانت وبحكم ثقلها السكاني ومواقعها الحيوية قوة مؤثرة ومتأثرة في محيطها، وهو أمر لم يكن بالإمكان تجاهله، فهل أخذت دولة المماليك البحرية ذلك بنظر الاعتبار في سياستها تجاههم خلال حكمها لبلاد الشام أمداً استمر مائة وستة وعشرين سنة.

---

(٢٦٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٩٩؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ق١، ص١٨٤- ١٨٥، ١٨٨.

(٢٧٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٣٣٠.

(٢٧١) المصدر نفسه، ج١٤، ص٣٣١.

الفصل الثاني

السياسة المملوكية تجاه القبائل العربية في بلاد الشام منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس وحتى ابداية عصر السلطان الناصر قلاوون

٢. ١ السياسة المملوكية تجاه القبائل العربية في عهد الظاهر بيبرس

تمهيد:

لمعرفة سياسة الظاهر بيبرس تجاه القبائل العربية الشامية، لا بد من إعطاء صورة عن الكيفية التي كانت عليها العلاقة بين هذه القبائل وبين دولة المماليك البحرية* منذ تأسيسها سنة (٦٤٨هـ) وحتى سنة (٦٥٨هـ)؛ تاريخ تسلم الظاهر للسلطنة*.

قامت دولة المماليك البحرية في مصر بعد أن قضى المماليك على آخر السلاطين الأيوبيين؛ الملك المعظم تورانشاه* (٦٤٧-٦٤٨)[٢٧٢]، لذلك فقد كان طبيعياً أن يناهضها الأمراء الأيوبيون في بلاد الشام وبخاصة الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب[٢٧٣]، والملك المغيث عمر* صاحب الكرك والشوبك[٢٧٤]، ويعملوا على إسقاطها، واستعادة ملكهم في مصر[٢٧٥].

ومع أن كثيراً من القبائل العربية في بلاد الشام التزمت الصمت تجاه هذا الحدث، فإن بعضها - ونعني به قبيلة زبيد وزعيمها ناصر الدين نوفل الزبيدي*[٢٧٦]،

---

(٢٧٢) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦١.

(٢٧٣) المصدر نفسه، ج١، ق٢، ص٣٦١، ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢٧٤) المصدر نفسه، ج١، ق٢، ص٣٦٦، ٣٦٩.

(٢٧٥) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٣٦٦، ٣٧٠؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٧٢.

(٢٧٦) توفي في عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥هـ، أنظر المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٧٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٨؛ الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٩٨، ج٢، ص٦٣، وسيشار إليه تالياً: ابن تغري بردى، الدليل الشافي.

ساندت الملك الناصر يوسف في حملته ضد المماليك ٦٤٨هـ[٢٧٧]، كما أنها تولت حمايته، ووصوله إلى مأمنه عقب فشله في هذه الحملة[٢٧٨]، كما أن بعضاً من آل فضل - وهم أكثر عرب الشام نفوذاً - تعاونوا مع مجموعة كبيرة من الأمراء المماليك البحرية الخارجين عن طاعة دولة المماليك في مصر[٢٧٩] والذين التجأوا إلى الناصر يوسف في دمشق، واتخذوا من بلاد الشام منطلقاً لهم[٢٨٠] ضد السلطان المعز أيبك* في مصر بين سنتي (٦٥٢-٦٥٧هـ)[٢٨١]. وقد فعلت قبيلة جذام الشيء ذاته باستقبالها سنة (٦٥٣هـ) الأمير المملوكي عز الدين الأفرم الصالحي الذي ترك مصر هارباً من حكامها[٢٨٢].

ويبدو أن تخلي الناصر يوسف عن تصديه للمماليك بعيد توقيعه صلحاً معهم سنة ٦٥٤هـ[٢٨٣]. دفع بكثير من القبائل العربية الشامية إلى تغيير موقفها من دولة

---

(٢٧٧) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٢٧٦.

(٢٧٨) المصدر نفسه، ج١، ق٢، ص٣٧٦.

(٢٧٩) المصدر نفسه، ج١، ق٢، ص٣٩١- ٣٩٢.

(٢٨٠) جاء عند العمري "**ساقت تصاريف الدهر الملك الظاهر بيبرس إلى بيوتهم [آل فضل] وهو طريد فشرد... فأخذه عيسى [بن مهنا] وضمه إليه وأواه وأكرمه وقراه وخيره في رباط خيله، فاختار منها فرساً، فأعطاه ذلك الفرس، وزوده وبالغ في الإحسان إليه**"، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٩.

(٢٨١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٢- ٣٩٢، ٤٢٠.

(٢٨٢) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٣٦٩.

(٢٨٣) عقد في سنة ٦٥١هـ صلح بين الطرفين الأيوبي والمملوكي بسفارة نجم الدين البادرائي في القاهرة، وتم الاتفاق على أن يكون للمماليك مصر وفلسطين، [غزة والقدس، ونابلس، والساحل كله] وبقية الشام للأيوبيين، وان يطلق المعز أسرى الناصر يوسف، أما صلح ٦٥٤هـ فقد تم بوساطة الشيخ المشار إليه ذاته، نجم الدين عبدالله بن محمد البادرائي - رسول الخليفة العباس المستعصم بالله -، انظر: المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٨٥، ٣٩٧- ٣٩٨، وقد أرخ صالح بن يحيى الصلح سنة ٦٥٣هـ، والشروط أن يكون الشام حتى العريش للناصر يوسف ومصر للسلطان المعز أيبك صاحب مصر، انظر: يحيى، تاريخ بيروت، ص٥٩، انظر عن الصلح: أحمد مختار

المماليك البحرية، فقد وصل القاهرة في عهد المعز أيبك زعماء قبيلة ربيعة بفروعها الثلاثة، وهم الأمير فرج بن حية، والأمير زامل بن علي بن حديثة، وأخوه أبو بكر بن علي بن حديثة عن آل علي، وأحمد بن حجي أمير آل مــرا وأولاده وأخوتــه، وعيسى بن مهنا أمير آل فضل وأولاده وأخوه[٢٨٤] وهم الذين وصفهم ابن فضل الله العمري أنهم:"**رؤساء أكابر سادات العرب**"[٢٨٥]، وقد استقبلهم السلطان بحفاوة، وقدم لهم الهدايا العينية والنقدية[٢٨٦].

ومع أن المصادر لا تشير إلى الظروف التي سبقت وصول الوفد، إلا أن من الواضح أن الزيارة تعكس رغبة هذه القبائل في إقامة علاقة جيدة مع المماليك فــي مصر، وأن هؤلاء- أي المماليك البحرية- كانوا حريصين كذلك على كسبهم واغتنام الفرصة لإشعارهم بمدى احترامهم لهم، على الرغم من أن بلاد الشام لم تكن آنذاك تحت الحكم المملوكي[٢٨٧]، والواقع أن دولة المماليك البحرية، أظهرت في هذه الحقبة تطلعاً للإفادة من أية فرصة تمكنها من تعميق علاقتها مع القبائل العربية الشــامية،

العبادي، قيام دولة = المماليك الأولى في مصــر والشــام، دار النهضــة، بيــروت، ص١٢٧، وسيشار إليه تالياً: العبادي، قيام دولة المماليك.

(٢٨٤) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٥٧؛ القلقشندي، صبح الأعشــى، ج٤، ص٢١٠/ ٢١١؛ قلائد الجمان، ص٧٥.

(٢٨٥) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٥٧.

(٢٨٦) يذكر العمري عن المهمندار الحمداني (ت ٧٠٠هــ) أن مقدار ما قدم للأمير فرج بــن حية "**من عين وقماش وإقامة له ولمن معه ستة وثلاثين ألف دينار**" مسالك الأبصــار، ج٤، ص١٥٧؛ القلقشندي، صــبح الأعشــى، ج٤، ص٢١١؛نهايــة الأرب،ص١٠٢-١٠٣.

(٢٨٧) لم تكن سياسة المعز أيبك مع عرب مصر مماثلة لموقفه من عرب الشام وبخاصة بعــد ثورة كانوا قد قاموا بها ضد الدولة المملوكية، من ٦٥١هــ فقد مارس ضغوطاً علــيهم ومن ذلك زيادة مقدار القطيعة التي اعتادوا أن يقدموها للدولة سنويا، ويقصد بالقطيعــة ما كان يفرضه السلطان عليهم من أموال في السنة، كما تعنى الأموال غيــر العاديــة كالغرامة الحربية، انظر: المقريزي، الســلوك، ج١، ق٢، ص٣٨٨، وحاشــيته ١ فــي الصفحة ذاتها.

وهو ما يتضح في مشاركة السلطان المعز أيبك إلى إقامة جسور بينه وبين أمـراء الغرب التنوخيين، بل وإلى التصرف معهم كما لو أنهم تابعون لـه فأصـدر لهـم منشوراً* في ربيع الأول من سنة (٦٥٤هـ) يقرهم على اقطاعاتهم في بيروت وما حولها[٢٨٨]، مستفيداً من توتر علاقتهم بحاكم دمشق وحلب الأيوبي الناصر يوسـف الذي كان قد هاجمهم بقواته قبل أشهر من التاريخ المشار إليه[٢٨٩].

وقد وضح أثر هذه السياسة في النهج الذي سلكته قبيلة ربيعة؛ كبرى القبائل العربية الشامية، وغيرها من القبائل تجاه دولة المماليك البحرية عندما قدمت جيوشها إلى بلاد الشام متصدية للمغول[*] الذين كانوا قد تغلغلوا فيها سنة (٦٥٨هـ)، فقـد شكَّلَ عرب آل فضل وزعيمهم عيسى بن مهنا ومن وقف إلى جانبه من عرب الشام ميمنه الجيش المملوكي الذي واجه المغول في معركة عين جالوت[٢٩٠].

كان لمساهمة العرب هذه دورها الكبير في نجاح المماليك في طرد المغـول، وأبعادهم خارج حدود بلاد الشام، مما دفع بالسلطان المملوكي المظفر قطز إلى تكريم زعيمهم عيسى بن مهنا وإقطاعه مدينة سلمية* مكافأة له[٢٩١].

ولم يشذ عن هذا الموقف إلا أمراء الغرب التنوخيين الذي أظهـروا موقفـاً متردداً، وآثروا أن يرسلوا إلى ساحة المعركة أَميرَيْن من أمرائهم، يشارك أولهمـا، وهو الأمير زين الدين صالح بن علي مع المماليك، ويشارك الثاني وهو الأمير جمال

---

(٢٨٨) عن هذه الإقطاعات انظر: يحيى، تاريخ بيروت، ص٥٦.

(٢٨٩) المصدر نفسه، ص٥٦، ٥٨، ٥٩.

(*) انظر ملحق رقم (٩) أسماء الإيلخانات في الدولة الإيلخانية.

(٢٩٠) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٣٣؛ الخطط، ج، ص٢٣٨.

(٢٩١) المقريزي، السلوك، ج١، ص٥١٨ (دار الكتب العلمية)، ذكـرت مصـادر أخـرى أن سليمة منحت الأمير مهنا بن مانع بن حديثة والذي لم نقف على تاريخ وفاته، انظر: ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٣٥٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٣، ابن تغـري بردى، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمـد محمـد أمـين، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ج٢، ص٢٢٧.

الدين حجي* بن علي مع المغول في دمشق[٢٩٢]، ترتب على نجاح المماليك هذا امتداد حكم المماليك إلى بلاد الشام وهو أمر وضع دولتهم أمام تحديات كبيرة في الـداخل والخارج، فقد كان عليها أن تهيئ أوضاعها في بلاد الشام استعداداً لأية ردود فعـل مغولية محتملة عبر ضفاف نهر الفرات الذي أصبح يفصل بين الدولتين العـدوتين؛ دولة المماليك البحرية والدولة الايلخانية* المغولية، كما كان عليها أن تـؤمن ولاء شرائح المجتمع الشامي لها، في إطار جبهة داخلية موحدة.

ولم يكن تحقق هذين الهدفين ممكناً دون الأخذ بنظر الاعتبار كسب القبائـل العربية الشامية وبخاصة تلك التي تمتلك امتداداً في العمق العراقي، وعمـق بـلاد الروم، والعمق الحجازي[٢٩٣]، مما يجعل لمن يكسبها إلى جانبه، ثقلاً أكبر في مواجهة خصومه، وفي سيطرتهم على الموقف في بلاد الشام، فهل أخذ هذا الأمـر بنظـر الاعتبار في السياسة التي اعتمدها السلطان الظاهر بيبرس، وهو الذي حـل محـل السلطان المظفر قطز؛ سلطاناً على مصر وبلاد الشام في ذي القعدة (٦٥٨هـ)[٢٩٤] والذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية.

لم يكن الظاهر بيبرس بعيداً عن مجتمع بلاد الشام فقد اختلط بتكويناته المختلفة إبان إقامته في هذه البلاد قرابة خمس سنوات (٦٥٢-٦٥٧هـ)، هارباً إليهـا، مـع مجموعة من أمراء المماليك البحرية المعارضين للسلطان المعز أيبك.

تعرف الظاهر بيبرس خلال هذه السنوات على القبائل العربية، وتقلب بـين منازلها، وعرف أهميتها[٢٩٥]، لذا فقد كان متوقعاً أن تؤثر معرفته هذه فـي تحديـد وتوجيه سياسته تجاهها عندما أصبح سلطاناً لدولة المماليك البحرية، فهل كان الأمر كذلك؟

---

(٢٩٢) يحيى، تاريخ بيروت، ص٦٠.

(٢٩٣) انظر أعلاه ص ٣١، ٤١- ٤٤.

(٢٩٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٣٦.

(٢٩٥) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٥٧، تنقل بيبرس خلال إقامته هذه فـي: الكـرك وعجلون ونابلس وجنين وغيرها، المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٥١.

ارتكزت سياسة الظاهر بيبرس تجاه القبائل العربية الشامية على ثلاثة أسس، وهي: تفعيل دور إمرة عرب الشام، ثم احتواء هذه القبائل بما يضمن ولاءها للدولة، ثم ربط موقف الدولة منها سلباً أو إيجاباً بمدى تنفيذها لما عليها من التزامات واتخاذ الإجراءات الرادعة تجاه من يخرج على ذلك، وهو ما ستوضحه الدراسة في الصفحات التالية:

أولاً: تفعيل دور إمرة عرب الشام:

كانت اتابكية دمشق السلجوقية أول من فكر في عهد أميرها طغتكين*(٤٩٧-٥٢٢هـ) باتخاذ أمير لعرب الشام[٢٩٦]، مما يبدو أن الهدف منه تنسيق العلاقة بين الاتابكية والقبائل العربية في بلاد الشام، وقد وقع اختيارها على الأمير ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل الطائي، الذي ترجع أصوله إلى بني طي، وقد كان آنذاك على رأس قبيلة كبيرة تعرف باسمه[٢٩٧].

احتفظت هذه القبيلة بمنصب الإمرة في بلاد الشام في العهدين الزنكي (٥٢١-٥٧٠هـ) والأيوبي (٥٧٠- ٦٥٨هـ) [٢٩٨].

وقد تميز بينها خلال ذلك ثلاثة فروع رئيسية هي: آل فضل، وآل علي، وآل مِرا[٢٩٩]، كما أشير إليه في المبحث الثالث من الفصل الأول.

في ضوء هذه الخلفية أرسى السلطان الظاهر بيبرس سياسته بصدد إمرة العرب والتي أصبح شاغلها مسؤولاً تجاهه بعد ارتباط بلاد الشام بدولة المماليك البحرية سنة (٦٥٨هـ).

---

(٢٩٦) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٦- ١٣٧، عن طغتكين واتابكية دمشق؛ انظر: عصام سخنيني، طغتكين اتابك دمشق (٤٨٨- ٥٢٢هـ)، د.ط، جامعة البتراء، عمان، الأردن ٢٠٠٣.

(٢٩٧) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٦- ١٣٧.

(٢٩٨) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٨، ١٣٩، ١٥٧؛ ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢٩٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٣٧٧؛ ج٤، ص٢١١؛ نهاية الأرب، ص١١١.

لم يحدث الظاهر بيبرس تغييراً في هذا المنصب، فقد أقره ولم يخرجه عن إطار قبيلة ربيعة كما كان عليه الأمر من قبل، ولكنه لم يكن مرتاحاً إلى إشغاله من قبل الأمير أبي بكر بن علي بن حديثة أمير آل علي الذين لم يكونوا الفرع الأقوى بين فروع قبيلة ربيعة، لذا فقد قام بعزل الأمير المشار إليه سنة (٦٥٩هـ)، وأحل محله الأمير عيسى بن مهنا، أمير آل فضل[٣٠٠]، مما يبدو أن السبب فيه كونهم الأكثر قوة في إطار قبيلتهم بل وفي إطار القبائل الأخرى[٣٠١].

ومع أن هذا الإجراء ربما جاء انعكاساً لعلاقة سلبية كانت قائمة بين الظاهر بيبرس - قبل وصوله للسلطنة - وبين الأمير المعزول[٣٠٢]، فقد كان كذلك منسجماً مع خطة واسعة تبناها الظاهر بيبرس اعتمدت تشكيل قاعدة صلبة قادرة على مواجهة المغول إذا ما فكروا ثانية بغزو بلاد الشام بعد الخسارة التي تكبدوها في معركة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ)[٣٠٣] وعليه فليس من الصحة بمكان النظر إلى هذا التغيير على أنه مجرد رد فعل شخصي، ليس إلا.

ومع أن الظاهر بيبرس أعطى منصب أمرة العرب اهتماماً كبيراً، وتعامل مع شاغليه باحترام كبير، إلا أنه تحرى في الوقت ذاته ألا يحمل الأمرة أكثر من دور معنوي اعتباري. يؤيد هذا أنه لم يجعل لأمير عرب الشام أية سلطة إدارية على بقية

---

(٣٠٠) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٩، محمد كمال الدين عز الدين علي ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ط١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، وسيشار إليه تالياً: ابن دقماق، الجوهر الثمين.

(٣٠١) عن آل فضل ومكانتهم بين فروع قبيلة ربيعة.

(٣٠٢) رفض الأمير علي بن حديثة تقديم فرس (للأمير) الظاهر بيبرس عندما طلب منه ذلك أثناء تشرده في بلاد الشام في عهد السلطان المعز أيبك، فحفظ بيبرس ذلك لآل علي، فلما تولى السلطنة عزل آل علي عن الأمرة ونقلها لآل فضل، انظر: العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٨- ١٣٩.

(٣٠٣) عن هذه الخطة انظر: سالم المولى، العراق في السياسة المملوكية، ٦٥٩- ٧٨٤، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أحمد الحسو، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص٥٢.

أمراء القبائل الشامية، ولم يجعلها حتى لنواب السلطنة في الشام، بل احتفظ بها لنفسه، فهو من كان يعين الأمراء، وهو من يعزلهم(٣٠٤).

ومهما يكن من أمر، فإن لإعطاء آل فضل الدور القيادي بين عرب الشـــام، أهميته في تحقيق قدر من التماسك الداخلي، نظراً لما كان لهم من قدرات في التأثير على القبائل الأخرى وبخاصة أولئك الذين كان لهم أحلاف معهم، ويبدو هذا أمراً بالغ الأهمية إذا ما أخذ بنظر الاعتبار أن كسب القبائل الشامية يعني إبعاداً لها عن التأثر بتوجهات عرب مصر الذين سبق لهم أن ثاروا ضد المماليك في عهد المعز أيبـــك مطالبين بأن يحكم العرب أنفسهم بأنفسهم(٣٠٥).

ثانياً: احتواء القبائل العربية الشامية:

أدرك الظاهر بيبرس أن أمراء القبائل العربية ملزمون أمام أفراد قبائلهم بتوفر أسباب العيش وكل ما تقتضيه التقاليد العربية من كرم وغيره، فاتخذ من ذلك وسيلة لاحتوائهم وضمان كسب ولائهم، فمنحهم الإقطاعات وأغدق عليهم الأعطيـــات، وإن كان ذلك قد تباين بين قبيلة وأخرى من حيث ثقلها السكاني واتساع أراضيها ومـــدى حيوية مرابعها، وهو ما يمكن أن نلحظه في سياسته تجاه قبيلة ربيعة -كبرى القبائل العربية الشامية- من جهة، وغيرها من القبائل العربية الشامية من جهة أخرى.

الظاهر بيبرس وقبيلة ربيعة:

---

(٣٠٤) انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص١١٨، الحياري، الإمارة الطائية، ص٨٢.

(٣٠٥) تزعم ثورة عرب مصر هذه على رأس اثني عشر ألف فارس، الشريف حصـــن الـــدين ثعلب بن الأمير نجم الدين علي بن الأمير فخر الدين اسماعيل بن حصن الدولة، مجـــد العرب، ثعلب، وقد رفعت شعار "**نحن أصحاب البلاد**" وأن العرب "**أحـــق بالملـــك مـــن المماليك**"، قامت هذه الثورة في صعيد مصر والوجه البحري منها، وقد قطعت الطـــرق البرية والبحرية، وكاتب رجالها الناصر يوسف، صاحب دمشق، للقدوم إلى مصر، وقد تعاملت دولة المماليك البحرية مع الثائرين بشدة متناهية "**فتبدد شـــمل عـــرب مصـــر، وخمدت جمرتهم من حينئذ**" على حد قول المقريزي، كما ألقى القبض علـــى زعـــيمهم؛ الشريف حصن الدين ثعلب، فشنق مع ألف وستمائة فارس من أتباعـــه، انظـــر: ابـــن خلدون، تـــاريخ، ج٥، ص٣٦٧- ٣٦٨، المقريـــزي، الســـلوك، ج١، ق٢، ص٣٨٦- ٣٨٧، عن هذه الثورة انظر أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك، ص١٢٨- ١٣٢.

على الرغم من أن إمرة عرب الشام كانت في معظم الحالات إبان عهد الظاهر بيبرس، بيد أكبر فروع قبيلة ربيعة، وهم آل فضل، إلا أنه تحـرى دومـاً كسـبها بفروعها الثلاثة الرئيسة، آل فضل، وآل علي، وآل مرا، ويلاحظ هذا في موقفه معهم في الأشهر الأولى لتسلمه السلطنة، ففي شوال من سنة (٦٥٨هـ)، اجتمع في دمشق بأمراء آل ربيعة، "**وأعطاهم وأقطعهم الاقطاعات**"[٣٠٦] "**وفرض لهم الغلات**"[٣٠٧]، من حلب.

كما اجتمع ببعضهم في القاهرة سنة (٦٦٣هـ) وهم الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا (أمير آل فضل) وأحمد بن حجي (أمير آل مرا)، والأمير زامل بـن علـي (أمير آل علي)[٣٠٨]، ومنح الأخير إقطاعاً وأعاده إلى إمرته على قومه[٣٠٩]، كما منح أخاه الأمير أبا بكر بن علي إقطاعاً في السنة ذاتها[٣١٠]، وحين علم السلطان بالـدور الذي أبداه الأمير عيسى بن مهنا أمير عرب الشام وأمير آل فضل في محاربة المغول الذين هاجموا مدينتي البيرة وحران سنة (٦٦٤هـ)[٣١١]، وخروجه مـن المعركـة جريحاً، وكذلك خسارته كثيراً من خيوله، فعوضه وفرسانه عن كل "**رأس من الخيل برأسين من البقر**"[٣١٢].

ويلاحظ حرص السلطان بيبرس على استقبال أمراء ربيعة بحفاوة كبيرة كلما قدموا عليه، ومن ذلك ما فعله عند قدوم الأمير عيسى بن مهنا ومعه أكـابر عـرب الشام إلى القاهرة سنة (٦٧٠هـ)، حيث "**أكرمهم وأحسن إليهم**"[٣١٣]. وقـد اعتـاد

---

(٣٠٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٣؛ المقريزي، السلوك، ق٢، ص٤٦٥.

(٣٠٧) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٩٨.

(٣٠٨) بيبرس الدوادار، زبدة الفكـرة، ص١٠٠، المقريـزي، السـلوك، ج١، ق٢، ص٥٣٥، العيني، عقد الجمان، ج١، ص٤٠٩.

(٣٠٩) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٣٥.

(٣١٠) المصدر نفسه، ج١، ق٢، ص٥٣٦.

(٣١١) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٢٥٢.

(٣١٢) المصدر نفسه، ص٢٥٢.

(٣١٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٩٩.

السلطان الظاهر على التوسع في عطاءاته لآل ربيعة وغيرهم من العرب إلى الحد الذي دفع بمهمنداره* الخاص الحمداني إلى القول:"**وما يعلم ما صرف على يدي من بيوت الأموال والخزائن والغلال للعرب خاصة إلا الله تعالى**"[٣١٤].

الظاهر بيبرس وعرب الكرك:

كان لعرب الكرك -بقيسييهم ويمانينهم- إشكاليات مع دولة المماليك البحرية قبل ارتباط بلاد الشام بها (٦٤٨- ٦٥٨هـ)، بسبب ولائهم للملك المغيث عمر صاحب الكرك والشوبك، وهو رجل لم يكن الظاهر بيبرس يثق به، بل كان ينظر إليه بمنظار الريبة والشك بحكم معرفته به وعلمه بطموحاته لانتزاع الحكم من المماليك وإعادته إلى بني أيوب[٣١٥]، إضافة إلى أن بعضاً من عرب الكرك كانوا قد أساؤا إليه إبان إقامته بين ظهرانيهم (٦٥٥-٦٥٧هـ) قبل وصوله للسلطنة[٣١٦].

أمام هذه الإشكالية مع عرب الكرك تصرف الظاهر بيبرس تصرفاً حكيماً وفاعلاً بهدف احتوائهم وجلبهم إلى صفهِ، فخطط لزرع الثقة بينه وبينهم أولاً في سلسلة من الخطوات التي كان أولها إعلان العفو عن إساءاتهم له. جاء هذا ضمناً في قسم مدون مؤرخ في المحرم من سنة (٦٦٠هـ) موجه أساساً إلى الملك المغيث صاحب الكرك والشوبك[٣١٧].

حيث ورد فيه قوله:"**وأنني والله لا أقصده -يعني الملك المغيث عمر- بسوء في نفسه.. ولا في عربانه...**"[٣١٨]، وقوله:"**أنني والله لا أطالبه ولا أطالب أحداً من ... عربانه بسبب متقدم إلى تاريخ هذه اليمين المباركة..**"[٣١٩]، وقوله:"**وأنني**

---

(٣١٤) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٥٧؛ انظر: القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٠٣؛ قلائد الجمان، ص٧٦.

(٣١٥) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤١٤؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص٥٣؛ إمارة الكرك الأيوبية، ص٢٨٣.

(٣١٦) الحسو، الكرك، ص١١٣.

(٣١٧) المرجع نفسه، ص٢٢٤.

(٣١٨) المرجع نفسه، ص٢٢٤.

(٣١٩) المرجع نفسه، ص٢٢٤.

والله لا أستخدم أحداً من.. عربانه.. إلا من انفصل عنه بدستور، ومتى تسحب أحد من... عربانه.. وحضر إلى بلادي.. تقدمت بإعادته إليه"[٣٢٠].

ومع أن الأمور اتجهت نحو التعقيد، بعد أن تمكن الظاهر بيبرس في السنة التالية (ربيع الآخر ٦٦١) من إلقاء القبض على الملك المغيث عمر[٣٢١]، إلا أنه عمل بعيد ذلك على "**استجلاب قلوب أهل الكرك**"[٣٢٢] فلما تطورت الأمور لصالحه، وتمكن من دخوله الكرك في٢٤ جمادى الآخر من سنة (٦٦١هـ)، أعلن فور دخوله إليها عفو" "**عما مضى من ذنوب أهل الكرك وإساءتهم إليه وإلى المماليك البحرية في الأيام المغيثية**"[٣٢٣]، كما خاطبهم بقوله:"**اعلموا، أنكم أسأتم إليَّ في الأيام الماضية، وقد اغتفرت لكم ذلك... إلخ**"[٣٢٤].

لم يكتف الظاهر بإظهار نيته الحسنة تجاه عرب الكرك، بل خطا خطوات عملية نحو احتوائهم فأصدر خلال إقامته بينهم ثلاثمائة منشور بحقوق وإقطاعات لرجالهم ولغيرهم[٣٢٥].

الظاهر بيبرس وعرب بني عقبة:

كان لعرب بني عقبة ارتباط وثيق بصاحب الكرك والشوبك الملك المغيث عمر الأيوبي، مثلهم في ذلك مثل عرب الكرك[٣٢٦]، ولم يكن هذا ليرضي السلطان الظاهر بيبرس بسبب المخاطر التي كان صاحب الكرك المشار إليه يمثلها تجاه دولة المماليك

---

(٣٢٠) المرجع نفسه، ص٢٢٤.

(٣٢١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص١٤٨- ١٥١؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٢٧- ٣٢٨؛ غوانمة، إمارة الكرك، ص٣١٨، الحسو، الكرك، ص١٢٠، العيني، عقد الجمان، ص١٢٠.

(٣٢٢) الحسو، الكرك، ص١١٧؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٥٤، دار الكتب العلمية.

(٣٢٣) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص١٦٣؛ الحسو، الكرك، ص١٢٥.

(٣٢٤) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص١٦٣؛ الحسو، الكرك، ص١٢٥.

(٣٢٥) المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٥٦، دار الكتب العلمية؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص٦١، ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص١٦٤.

(٣٢٦) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص١٦٤.

البحرية، فإذا ما أخذ بنظر الاعتبار أنهم- أي عرب بني عقبة- كانوا ينتشرون في مناطق الكرك والشوبك وعبر طريق التجارة والحج التي تشكل بوابة مصر نحو بلاد الشام والحجاز، أمكن تصور مدى أهمية كسب هذه القبيلة. ولعل هذا ما يفسر مسارعة الظاهر بيبرس بعد سنة واحدة من وصوله للسلطنة، أي سنة (٦٥٩هـ)، إلى استدعاء زعماء بني عقبة إلى مصر، حيث التقى بهم و"**شملهم بعطفه وكرمه وأقطعهم الإقطاعات الكثيرة**"[٣٢٧].

ويبدو أن خطواته هذه أثمرت في كسبهم إلى جانبه، فقد ذكر العيني أنهم "عادوا وقد انتظموا في خدمته"[٣٢٨]، وقد كان مما ألزمهم به القيام بدرك البلاد من مدينة غزة وحتى المدينة المنورة سنة (٦٦١هـ)[٣٢٩].

وقد ظل الظاهر بيبرس يوثق علاقته بهذه القبيلة ويوليها اهتمامه، وقد كان أميرها وشيوخها من أوائل من حضروا إليه في الكرك عندما أنتزعها من أولاد المغيث عمر سنة (٦٦١هـ)[٣٣٠].

ويبدو أن مما التزمت به القبيلة هذه توفير الخيول الهجن للسلطان فقد أشارت المصادر أنهم قدموا له عند زيارته لقلعة الشوبك سنة (٦٧٤هـ)، خيولاً وهجناً وأنه أكرمهم وأحسن إليهم، وأقطعهم إقطاعات كثيرة[٣٣١].

---

(٣٢٧) قطب الدين موسى بن محمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ط١، حيدر إباد الدكن، ١٩٦١، ج٣، ص١٢٣؛ وسيشار إليه تالياً: اليونيني، ذيل مرآن الزمان؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٩٢؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص٢٣٠؛ غوانمة، إمارة الكرك، ص ٣١٣.

(٣٢٨) العيني، عقد الجمان، ج١، ص ٢٣٠؛ الحسو، الكرك، ص١١٤.

(٣٢٩) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٩٢؛ ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص١٦٤- ١٦٥.

(٣٣٠) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص١٦٤- ١٦٥؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٩٢؛ المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالدس ريتشارد، الطبعة الأولى، بيروت، الشركة المتحدة، ١٩٩٨، ص٨١، وسيشار إليه تالياً: المنصوري، زبدة الفكرة.

[٣٣١] المقريزي، السلوك، ج٢، ص٩٥، دار الكتب العلمية؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمـــان، ج٣، ص١٢٣.

كما استقبل أميرهم في السنة التالية عند زيارته به في مدينة الكرك، فأكرمه ومنحه إقطاعات زيادة على ما كان بيده[٣٣٢].

الظاهر بيبرس وأمراء الغرب التنوخيين:

سبق القول أن أمراء الغرب التنوخيين الذين كانوا ينتشرون في بيروت وما حولها، كانوا قد اتخذوا موقفاً متردداً من مساندة المماليك في استنقاذ بلاد الشام من المغول، بل أنهم أرسلوا بأمير منهم ليشارك المغول في حربهم ضد المماليك، وأرسلوا بآخر ليشارك المماليك في حربهم ضد المغول، وهو موقف برره المؤرخ التنوخي صالح بن يحيى بقوله في لغة ركيكة:"**ليكون أي من انتصر من الفريقين كان أحداهما معه فَيَسُدَّ خلة رفيقه، وخلة البلاد، قصدا بذلك إصلاح الحال**"[٣٣٣].

ومهما يكن من أمر، فإن الدولة المملوكية لم تحاسب الأمراء التنوخيين على موقفهم هذا بعد انتصارها في معركة عين جالوت، بل آثرت أن تحتويهم، وتتغافل عن موقفهم المشار إليه، حيث أصدر السلطان الظاهر بيبرس في رجب من سنة (٦٥٩هـ) منشوراً يقر أمير الغرب جمال الدين حجي على إقطاعاته وإقطاعات أمراء الغرب ويشير إلى "... **ملازمته للخدمة الشريفة**"، أي خدمة السلطان[٣٣٤].

ويبدو أن السبب في موقف الدولة هذا هو حاجتها إلى أمراء الغرب في استطلاع تحركات وأخبار الفرنج الصليبيين المجاورين لهم في السواحل الشامية، وهو ما عبر عنه صراحةً نائب الشام جمال الدين آقوش الذي كتب إليهم في السنة ذاتها (٦٥٩ هـ) يحثهم على تزويد الدولة بأخبار الفرنج دوماً ومساعدة العساكر المملوكية المرابطة في المناطق المجاورة في صيدا وبيروت[٣٣٥].

الظاهر بيبرس والقبائل العربية الأخرى:

تشير المصادر إلى مجموعة من القبائل العربية الشامية التي ألزمها الظاهر بيبرس بمهام محددة حفاظاً على أمن الدولة، إلا أنها لم تعط معلومات عن الكيفية التي

---

(٣٣٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٩٥، دار الكتب العلمية.

(٣٣٣) يحيى، تاريخ بيروت، ص٦٠.

(٣٣٤) المصدر نفسه، ص٥١.

(٣٣٥) ابن سباط، صدق الأخبار، ج، ص٤٦٢؛ يحيى، تاريخ بيروت، ص٦٢- ٦٣.

تم بموجبها أحتواء هذه القبائل ونوع الامتيازات التي كانوا قد حصلوا عليها مقابل خدماتهم المشار إليها للدولة، باستثناء معلومات مقتضبة تفيد بأن السلطان بيبرس خلع على قبائل العايد وجرم وثعلبة سنة (٦٦١هـ)[٣٣٦]، وهي من القبائل التي تنتشر في الجهات الجنوبية من بلاد الشام والتي كانت تلتزم "**بالقيام بالعداد* وخدمة البريد وإحضاره ما تحتاجه [الدولة] من الخيول**"[٣٣٧].

أما القبائل الأخرى فلم يرد أية معلومات عن أسلوب الظاهر في احتوائها وكسبها، وهي تشمل: بني جوشن*، وكانوا ملتزمين بخفر الموجب، وبني بعجة وكانوا ملزمين بخفر الزويرة، وبني عجرمة* وكانوا ملزمين بخفر الرقطانة والحسة، وبني نمير وكانوا ملزمين بخفر الكفرين[٣٣٨]، كما ورد ذكر بني صخر* وبني لام* وأن الدولة ألزمتهم بدفع الزكاة عن الأغنام والإبل في أوقاتها، وأرسلت شادين* (مفردها: شاد) لأخذ الأموال المستحقة عليهما مما يعني أنهما لم يكونا قبل ذلك في إطار سيطرة الدولة[٣٣٩].

ثالثاً: ربط الامتيازات بالالتزامات:

اعتمد الظاهر بيبرس موازنة دقيقة في سياسته تجاه القبائل العربية الشامية، فقد ربط بين ما قدمه لأمرائها من امتيازات بشتى أشكالها، وواجب طاعة الدولة والحفاظ على أمنها وسلامتها في الداخل والخارج، ولم يتردد في اتخاذ إجراءات صارمة تجاهها في حالة خروجها عن أداء ما كان عليها من التزامات.

والواقع أن القبائل هذه، أظهرت التزاماً عالياً في تنفيذ ما كانت ملتزمة به في الحفاظ على أمن الدولة في الداخل ومواجهة أعدائها في الخارج إذا ما تعرضوا لها،

---

(٣٣٦) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٨١.

(٣٣٧) المصدر نفسه، ج١، ق٢، ص٤٨١؛ البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدين،١٩٦١، ص٣، وسيشار إليه تالياً: المقريزي، البيان والإعراب.

(٣٣٨) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٣، الدباغ، بلادنا فلسطين، ط٢، ١٩٨٥، ج١، ق٣، ص٤٠١.

(٣٣٩) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٦٣.

وهو ما يلاحظ طوال عهد الظاهر بيبرس، فقد شارك الأمير زامل بن علي بن حديثة؛ أمير آل علي سنة (٦٥٩هـ)، ومعه جمع من العرب في **معركة الرستن** التي خاضها المماليك لصد المغول الذين كانوا قد هاجموا مدينة حمص، وقد أشاد المقريزي بدورهم في هذه المعركة، وذكر أنهم لاحقوا المغول وقال أنهم "أفنوهم **قتلاً وأسراً**"[٣٤٠].

كما كان لآل فضل دور كبير في **تحقيق مشروع الظاهر بيبرس لإحياء الخلافة العباسية**، فقد كانوا هم من استضاف الأمير العباسي أبا القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر الذي استطاع الهرب من بغداد أو بعد سقوطها على يد المغول سنة (٦٥٦هـ) وهم أول من أوصله إلى السلطان الظاهر بيبرس في التاسع من رجب (٦٥٩هـ)[٣٤١]، كما أن أربعمائة من فرسانهم ساهموا في الحملة التي أعدها الظاهر

---

(٣٤٠) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٤٢.

(٣٤١) سبق الأيوبيون المماليك في فكرة إحياء الخلافة العباسية، إذ حاول تنفيذها ٦٥٧هـ الملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق الذي أرسل للأمير العباسي أبي العباس أحمد الهارب من المغول واللاجئ إلى أمير العرب عيسى بن مهنا - يستدعيه لإحياء الخلافة ونقل مقرها إلى دمشق أو حلب، فحال غزو المغول للشام دون ذلك انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء ص٤٧٨ - ٤٧٩، ابن أبي الفضائل، المفضل، النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، طبعة باريس، ١٩٢٨، ص٤٣٤، وسيشار إليه تالياً هي: ابن أبي الفضائل، النهج السديد، بثينة رشيد الدباغ، الخلافة العباسية في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٩٧١، ص٥٧، وسيشار إليه تالياً: الدباغ، الخلافة العباسية، وحاول السلطان (المظفر قطز) بعد انتصاره في معركة عين جالوت إحياء فكرة الخلافة فاستدعى الأمير العباسي الموجود في بلاد الشام وبايعه بالخلافة في دمشق وقال لأمير العرب عيسى بن مهنا "**إذا رجعنا إلى مصر انفذه إلينا لنعيده إن شاء الله**" انظر ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ج١، ص٤٣٤/ ٤٣٥، بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية، الدار المصرية للكتاب، ط١، نشره وقدم له ووضع فهارسه عبدالحميد صالح حمدان، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، ص٤٧، وسيشار إليه تالياً:

بيبرس لاستنقاذ العراق والتي كانت للأمير آنف الذكر بعد أن تم تنصيبه خليفة في القاهرة[٣٤٢].

وقد استمر عرب آل فضل، ومن التف حولهم من خلفائهم العرب في الحفاظ على أمن الدولة، فشاركوا العساكر المملوكية في محاربة الفرنج الصليبيين في حصن الأكراد سنة (٦٦٤هـ)، بأَلْفَيْ فارس كان على رأسهم الأمير عيسى بن مهنا الذي جرح في المعركة، وقد وصف ابن عبد الظاهر دور هؤلاء الفرسان في المعركة فقال: أنهم "**جاهدوا أتم جهاد**"[٣٤٣].

وكان للقبائل العربية الشامية ولآل فضل بشكل خاص دور كبير في صد الهجمات المغولية عن الدولة خلال السنوات الست الأخيرة من عهد الظاهر بيبرس

= المنصوري، التحفة المملوكية، مختار الأخبار، حققه وقدم له عبدالحميد صالح حمدان، ط١، الدار المصرية للكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، ص٤٧-٤٨؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢١٢، ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٩٩، ابن آيبك الدواداري، كنز الدرر، ج٨، ص٨٧، العبادي، قيام دولة المماليك، ص١٨١، علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ٩٦٧، ٢٤٤، المولى، العراق، ص٥٢، ٥٥.

(٣٤٢) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٩٩، ١٠٤، ١١١- ١٤١- ١٤٢؛ المنصوري، التحفة الملوكية، ص٤٧؛ مختار الأخبار، ص١٥؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢١٢؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٤٨، ٤٦٢؛ شمس الدين الذهبي، دول الإسلام، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤، ج٢، ص٣٦٦، وسيشار إليه تالياً: الذهبي، دول الإسلام، محمد بن أحمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢، ج١، ق١، ص٣١٢-٣١٣؛ ابن تغري، المنهل الصافي، ج٢، ص٧٩- ٨٠؛ المولى، العراق، ص٦٢، العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢٩٣.

(٣٤٣) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٢٥٢.

(٦٧٠- ٦٧٦هـ) فقد توجه أمير عرب الشام عيسى بن مهنا سنة (٦٧٠هـ) بعربه نحو منطقة حران ومرعش التي كان المغول قد تغلغلوا فيها، وتمكنوا من قتلهم[٣٤٤]، بل أن الأمير المشار إليه وقواته تغلغل سنة (٦٧٢هـ) في حدود العراق الغربية المتاخمة لبلاد الشام وهاجموا المغول في الأنبار[٣٤٥]، وقاتلوا جماعات من عرب خفاجة ممن كانوا متعاونين معهم مما اضطر الأيلخان أبغا (٦٦٣-٦٨٠هـ) **الذي كان آنذاك** متهيئاً للهجوم على بلاد الشام إلى أن يرحل ((**بعسكره ناكصاً على عقيبه، وانهزم على أسوأ حال**)) كما يقول ابن الفرات[٣٤٦].

ولم تقتصر مساهمة القبائل العربية الشامية على التصدي للمغول انفراداً أو مشاركة مع العساكر المملوكية بل تجاوزوه إلى القيام بالمهام الاستطلاعية وتنفيذ بعض العمليات العسكرية الخاطفة، فقد تشكلت سنة (٦٧٣هـ) تجريده* منهم على صورة جاليش* للعسكر المملوكي يقودها الأمير عيسى بن مهنا وقد قام هؤلاء بمهاجمة البيرة، ورأس العين "**ونهبوا ما وجدوا**"[٣٤٧] كما شاركوا في تجريده أخرى سنة (٦٧٦هـ) كان هدفها حفظ معابر نهر الفرات وتأمينها لصد أية اعتداءات مغولية محتملة[٣٤٨].

وفي حين كان هذا الالتزام الإيجابي، السمة البارزة في موقف القبائل العربية الشامية تجاه دولة المماليك البحرية، فإن ثمة حالات خرج فيها بعض من أمراء العرب عن طاعتها، وهنا لم يتردد الظاهر بيبرس في أن يتخذ إجراءات ضدهم ويلاحظ هذا في موقف السلطان من حالة الفوضى التي تسبب بها سنة (٦٦٣هـ) أحد زعماء قبيلة ربيعة، الأميز زامل بن علي (أمير آل علي) والتي نجمت عن خلافات بينه وبين بقية زعماء القبيلة الآخرين، فقد أمر بإلقاء القبض عليه وعزله عن الأمرة

---

(٣٤٤) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر ص٢٥٢، ٣٥٨؛ المنصوري، زبدة الفكرة، ص١٣٣.

(٣٤٥) ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص٦؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٦١١.

(٣٤٦) تاريخ، مج٧، ص٦.

(٣٤٧) المنصوري، زبدة الفكرة، ص١٤٥- ١٤٦؛ ابن الفرات، تاريخ، مـج٧، ص٢٩، ٣٠؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص١٣٢- ١٣٤.

(٣٤٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٠٥.

ونزع إقطاعاته عنه، ثم نقله- وهو تحت الاعتقال- إلى القاهرة ليستقر في قلعة الجبل[٣٤٩].

ومع أن الظاهر بيبرس أطلق سراحه وجمعه في القاهرة مع الأطراف المتصارعة، ونجح في إقامة صلح بينهم (٦٦٣هـ)[٣٥٠]، فقد رجع عن قراره هذا بعد أشهر فأمر بإلقاء القبض عليه وعزله، وصادره اقطاعاته ثانية، بسبب عدم التزامه بمقتضيات صلح القاهرة عند عودته إلى بلاد الشام واتصاله بالمغول الايلخانية ومهاجمة بيوت عيسى بن مهنا[٣٥١].

وإذا كان الظاهر بيبرس قد استخدم الشدة في تعامله مع هذه الحالة، فإنه لم يتأخر عن اتباع سياسة لينة في حل مشكلات مماثلة، وهو ما فعله سنة (٦٧٠هـ)، عندما وصل إلى مسامعه أن أمير عرب الشام عيسى بن مهنا ينوي الخروج عن طاعة الدولة والالتحاق بالمغول الايلخانيين في العراق بسبب خلافات وقعت بينه وبين العربان[٣٥٢].

حلاً لهذا الإشكال اتجه السلطان سراً نحو بلاد الشام، فلما وصل[٣٥٣] إلى مدينة حماة، أرسل من يخبر الأمير عيسى بن مهنا بأنه يرغب حضوره إليه، فلما حضر استقبله استقبالاً حسناً، واجتمع به وأخبره بما وصل إلى علمه عنه وحدثه بما أزال عنه ما كان في نفسه من مخاوف فعدل عن تنفيذ ما كان يخطط له[٣٥٤].

---

(٣٤٩) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٣٥.

(٣٥٠) المصدر نفسه، ج١، ق٢، ص٥٣٥؛ المنصوري، زبدة الفكرة، ص١٠٠، العيني، عقد الجمان، ج١، ص٤٠٩.

(٣٥١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٣٥، قام الأمير زامل بالقبض على رسل السلطان المتوجهين من القاهرة إلى شيراز، وأخذ ما معهم من الكتب، وحملها إلى هولاكو خان المغول في العراق، ومرضه على غزو بلاد الشام فأعطاه هولاكو إقطاعاً بالعراق، انظر: المنصوري، زبدة الفكرة، ص١٠٠، ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٥٢٨؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٣٥- ٥٣٦؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص٤٠٩.

(٣٥٢) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٩٩- ٦٠٠؛ ج٢، ص٧٥، ٧٦، دار الكتب العلمية.

(٣٥٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٣٥٤) المصدر نفسه والصفحة.

ومع أن الظاهر بيبرس كان قد وضع ثقته منذ سنة (٦٥٩هـ) بأمير عرب الغرب التنوخيين، وأوكل إليه مهمة متابعة تحركات الفرنج الصليبيين ومساعدة العساكر المملوكية في مهامها، فإنه لم يتردد بعد عشر سنوات من التاريخ المشار إليه في إعطاء أوامر بإلقاء القبض على ثلاثة من زعماء بني تنوخ بعد أن نسب إليهم تعاونهم مع الفرنج الصليبيين وتخليهم عما كانوا ملزمين به من واجبات[٣٥٥]، وهم الأمير جمال الدين حجي والأمير سعدالدين خضر، والأمير زين الدين بن علي وقد سجن هؤلاء متفرقين في الكرك وعجلون ومصر، ثم أرسلوا بعدئذ إلى القاهرة ليسجنوا جميعاً في قلعتها أمداً طويلاً استغرق السنوات السبع الأخيرة من حكم الظاهر بيبرس (٦٦٩- ٦٧٦هـ)[٣٥٦].

ويلاحظ أن السلطان الظاهر الذي رفض وساطة أحد كبار رجاله لإطلاق سراحهم[٣٥٧]، ولم يقم باسترجاع إقطاعاتهم منهم، بل أبقاها بيدهم[٣٥٨]. ويبدو أن الظاهر بيبرس أراد بذلك تأمين بقاء بقية الأمراء التنوخيين ومن يتبعهم من رجالهم على ولائهم، ولكي لا تضطرهم ظروف العيش، إلى التعاون مع الفرنج الصليبيين في منطقة بالغة الأهمية للمماليك.

وقد تكرر الموقف ذاته مع قبيلة كلاب التي كانت تنتشر في منطقة حلب والجهات الشرقية من بلاد الروم (الأناضول) [٣٥٩] والتي تعاونت مع تحالف معاد للمماليك ضم كلاً من الحاكم الأرمني هيتوم* وسلطان الروم قلج ارسلان*، وقيامها

---

(٣٥٥) يحيى، تاريخ بيروت، ص٦١- ٦٤، ابن سباط، صدق الأخبار، ج١، ص٤٥٩، ٤٦١.

(٣٥٦) يحيى، تاريخ بيروت، ص٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ابن سباط، صدق الأخبار، ج١، ص٤٥٩، ٤٦١.

(٣٥٧) يحيى تاريخ بيروت، ص٦٤، هو الأمير بدر الدين بيليك الخازاندار، ت٦٧٦، المصدر نفسه ص٦٤، انظر حاشية ١.

(٣٥٨) المرجع نفسه، ص٦٧ وما بعدها.

(٣٥٩) عن هذه القبيلة، انظر: عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص١٩٢، المنصوري، زبدة الفكرة، ص٨٨.

بمهاجمة مدينة عينتاب* الواقعة إلى الشمال من مدينة حلب[٣٦٠]، مما شكل تهديداً لبقية بلاد الشام وبخاصة أن التحالف المذكور كان يدور في فلك المغول الإيلخانيين المعادي للمماليك.

علاجاً لموقف قبيلة كلاب هذا، أصدر الظاهر بيبرس أوامر إلى عساكر مدينتي حمص وحماة بالتوجه لمعالجة الموقف، وقد توجهت هذه العساكر فعلاً وتمكنت من إخضاع قبيلة كلاب واستعادت مدينة عينتاب[٣٦١].

ويلاحظ كذلك أن الظاهر بيبرس حين وجد أن عرب بني مهدي الذين كانت تربطه بهم صلات حسنة منذ بداية حكمه، استغلوا صلتهم وأصبحوا مصدر قلق لغيرهم من سكان البلاد، لم يسكت عن ذلك واستدعى أميرهم عُبية إلى قلعة الكرك التي كان قد وصل لها سنة ٦٦١هـ وخاطبه محذراً فقال:

"**أنا كنت بالأمس أحسن إليك وأسامحك بما جرى منك ومن غيرك لأهل الكرك.. والآن ما يروح لأحد خيط إلا آخذه منك، وأمسك برقبتك عليه..**"[٣٦٢].

يتضح مما سبق أن سياسة الظاهر بيبرس تجاه القبائل العربية الشامية عبرت عن فهم لمجرى الدور الذي كان من الممكن أن تؤديه سلباً أو إيجاباً في إطار وجودها البشري الواسع الذي تجاوز انتشاره حدود بلاد الشام إلى عمق البلاد المجاورة والتي لم تكن تخلو من منافسين لدولة المماليك البحرية.

في ضوء هذا الفهم نجح الظاهر بيبرس في إقامة علاقة إدارية مرنة مع القبائل العربية الشامية ظل هو من يمسك زمامها، إضافة إلى الدور الذي أداه أولئك الذين احتلوا منصب أمرة العرب في عهده، وغيرهم من أمراء وشيوخ القبائل العربية.

وقد نجحت سياسة الظاهر بيبرس في احتواء هذه القبائل بما أغدقته عليها من إقطاعات وأموال وغيرها، واستطاعت أن توظف طاقاتها في معظم الأحوال لمصلحة دولته في مواجهة المخاطر والتحديات المتمثلة بجيرانها من المغول الإيلخانيين في

---

(٣٦٠) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص١٩٢، المنصوري، زبدة الفكرة، ص٨٨.

(٣٦١) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧، دار الكتب العلمية.

(٣٦٢) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص١٦٤- ١٦٥؛ المنصوري، زبدة الفكرة، ص٨٢.

العراق، وبالفرنج الصليبيين الذين كانوا يحتلون مواقع عدة في السواحل الشامية، كما أن هذه السياسة حققت نجاحاً في تحويل رجال القبائل إلى حماة للطريق والمواصلات عبر حدودها المختلفة، وكذلك الحفاظ على الأمن داخل بلاد الشام، كما أن هذه السياسة أظهرت قدرتها على معالجة الحالات القليلة التي خرج بعض من أمراء هذه القبائل عن طاعتها باستخدام أسلوب متوازن شدة وليناً.

٢. ٢ السياسة المملوكية تجاه القبائل العربية في بلاد الشام عقب وفاة الظاهر بيبرس وحتى بداية عهد الناصر محمد (٦٧٦- ٦٩٨هـ).

كان الأمير قلاوون* قبل تولية السلطنة المملوكية، الشخص الأقوى بين الأمراء المماليك في مصر بعد وفاة الظاهر بيبرس، ومع أنه احترم اختيار السلطان الراحل لابنه الملك السعيد بركة* سلطاناً على البلاد، إلا أنه والأمراء المماليك الكبار الملتفين حوله، لم يرتضوا ذلك وعملوا خلال سنتين من حكمه[٣٦٣]، بما مكنهم من إجباره على التنازل عن السلطنة سنة (٦٧٨هـ) دون أن يتعرضوا لشخصه، بل أنهم وافقوا على طلبه في أن تقطع له مدينة الكرك وقلعتها في بلاد الشام، واشترطوا عليه أن "... **لا يتطرق إلى غير الكرك**"[٣٦٤].

كما منحوا أخاه الملك المسعود* خضر مدينة الشوبك وقلعتها ونصبوا أخاً ثالثاً لهما سلطاناً بعده[٣٦٥]، وهو الأمير سلامش* الذي كان له من العمر سبع سنوات، لم يبق الأمير الصغير سلطاناً أكثر من بضعة أشهر، فقد أزاحه الأمراء المماليك، وأحلوا محله الأمير قلاوون الرجل الأقوى بينهم والذي حكم قرابة أحد عشر عاماً (٦٧٨- ٦٨٩هـ)[٣٦٦]، وقد أعقبه في الحكم خلال التسع سنوات التالية

---

(٣٦٣) ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص١٤٤- ١٤٥؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٦٦٧- ٦٦٨؛ محمد كمال الدين عز الدين علي، ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ٢ج، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥، ج٢، ص٨٨- ٨٩، وسيشار إليه تالياً: ابن دقماق، الجوهر الثمين.

(٣٦٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص؛ ج٢، ص١١٩، دار الكتب العلمية.

(٣٦٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٤، دار الكتب العلمية.

(٣٦٦) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٠، ١٢٢، دار الكتب العلمية.

(٦٨٩- ٦٩٨هـ) أربعة سلاطين، وهم الأشرف خليل بن المنصور قلاوون(٦٨٩- ٦٩٣هـ) [٣٦٧]، والناصر محمد نفسه (٦٩٣- ٦٩٤هـ)[٣٦٨]، عندما كان طفلاً صغيراً لم يتجاوز التسع سنوات من العمر، وكان آنذاك تحت وصاية كبار أمراء المماليك[٣٦٩]، ثم السلطان العادل كتبغا (٦٩٤- ٦٩٦هـ)[٣٧٠]، ثم المنصور حسام الدين لاجين (٦٩٦- ٦٩٨هـ)[٣٧١].

واجه دولة المماليك البحرية في عهد السلطان المنصور قلاوون ثلاثة تحديات كبرى في بلاد الشام، وهي:

أولاً: ثورة السلطان المخلوع الملك السعيد بن الظاهر بيبرس في مدينة الكرك سنة (٦٧٨هـ)[٣٧٢]. ثم توليها بعد وفاته، من قبل الملك المسعود خضر[٣٧٣] بهدف استعادة السلطنة التي اعتبروا المنصور قلاوون مغتصباً لحقهما فيها.

---

(٣٦٧) انظر ترجمة الأشرف خليل لدى الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٣٩٩- ٤١٠.

(٣٦٨) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص١٧٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢، ج١، ق١، ص٤٠١- ٤٠٢، وسيشار إليه تالياً: ابن إياس، بدائع الزهور.

(٣٦٩) المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣١٤؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٨٣٢- ٨٣٣؛ يحيى، تاريخ بيروت، ص١٣٧.

(٣٧٠) أبو الفداء، المختصر، ج، ص؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٣٩؛ مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص٣٣؛ ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ج٢، ص٤٢١؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٨٠٦، دار الكتب العلمية؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤٩؛ يحيى، تاريخ بيروت، ص١٣٧؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٣٧.

(٣٧١) يحيى، تاريخ بيروت، ص١٣٧؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤٨؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٣٩.

(٣٧٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ص١١٩، دار الكتب العلمية.

(٣٧٣) تولى الملك المسعود خضر قيادة الثورة بعد وفاة أخيه المفاجئة أواخر سنة ٦٧٨هـ، وكان قد اتجه إليها من الشوبك في السنة نفسها بعد أن سيطرت قوات الملك المنصور قلاوون على هذه المدينة، أنظر: المصدر نفسه، ج١، ق٢، ق٣، ص٦٦٩، ٦٧٠.

ثانياً: خروج نائب السلطنة في الشام الأمير سنقر الأشقر* عن طاعة السلطان المنصور قلاوون سنة ٦٧٩هـ، وإعلان نفسه سلطاناً واتخاذه لقب الملك الكامل[٣٧٤].

ثالثاً: تجدد تحركات الدولة المغولية الإيلخانية في العراق وإيران لتنفيذ مشروعها القديم باحتلال بلاد الشام ثم مصر[٣٧٥]، مستفيدة من الأوضاع المضطربة فيهما بعد قيام ثورتي الملك السعيد والأمير سنقر الأشقر.

لقد حاولت هذه القوى الثلاث أن تتغلغل بين صفوف القبائل العربية الشامية في محاولة منها لكسبها إلى جانبها ضد السلطان قلاوون ودولته، فقد تمكن الملك السعيد من كسب بعض القبائل العربية لجانبه، بعد أن قام بإغداق الأموال عليها في الكرك[٣٧٦].

أما الملك المسعود نجم الدين خضر الذي حل محل أخيه الملك السعيد في الكرك بعد وفاة الأخير بشكل مفاجئ سنة (٦٧٨هـ)، فقد عول هو الآخر على كسب القبائل العربية في تحقيق مشاريعه فاتته "... **العربان وتقربوا إليه بالنصيحة وأخذوا مالاً كثيراً...**"[٣٧٧]، بل أنه أطلق يده في عطائه لهم حتى "**فنيت ذخائر الكرك**"[٣٧٨]، كما يقول المقريزي.

---

[٣٧٤] كان الأمير سنقر الأشقر من كبار المماليك في عهد الظاهر بيبرس، انظر: المنصوري، زبدة الفكرة، ص١٨١؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٤٥، ٣٤٦؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٢٧، دار الكتب العلمية؛ العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢٤١.

[٣٧٥] كان احتلال بلاد الشام ومصر هدفاً من أهداف حملة هولاكو التي هيمنت على إيران ثم العراق، واتجهت سنة ٦٥٧هـ نحو بلاد الشام ثم مصر إلا أن دولة المماليك البحرية تصدت للغزاة ودخلت معهم في معركة حاسمة في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، وأجبرتهم على التراجع انظر: المنصوري، التحفة الملوكية، ص ٤٣؛ المولى، العراق، ص١٣-١٤.

[٣٧٦] ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٨٨.

[٣٧٧] المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٦٦٩.

[٣٧٨] المصدر نفسه، ج١، ق٣، ص٦٦٩.

أما الأمير الثائر سنقر الأشقر فقد نجح في كسب فرعي قبيلة ربيعة الرئيسيين وهما: آل فضل، ممثلين بأميرهم عيسى بن مهنا وآل مرا، ممثلين بأميرهم أحمد بن حجي، فقد التحق الرجلان به وصارا سنداً له[٣٧٩].

أما الدولة الإيلخانية المغولية وزعيمها الإيلخان أبغا (٦٦٣- ٦٨٠هـ) فقد وجدت في الأطراف المتصارعة في بلاد الشام، ومنها القبائل العربية، عوامل مساعدة تمكنها من تحقيق أهدافها في الوصول إلى بلاد الشام التي ظلت حلمها منذ هزيمتها في معركة عين جالوت قبل عقدين من الزمن (٦٥٨هـ)[٣٨٠]. وهو ما سيشار إليه في الصفحات التالية.

أمام هذه المستجدات التي كانت تهدد باحتمال خروج بلاد الشام عن يد المماليك، أدرك المنصور قلاوون مدى خطورة بقاء القبائل العربية المشار إليها في صف أعدائه، سواء أولئك الذين التفوا حول الملك السعيد وأخيه الملك المسعود، أو أولئك الذين تحالفوا مع الأمير الثائر سنقر الأشقر، فاعتمد تجاههم سياسة جمعت بين الترهيب والترغيب، وهو ما يلاحظ في الأسلوب الذي تعامل به مع قبيلة ربيعة وعرب الكرك والقبائل الأخرى.

أ. المنصور قلاوون وقبيلة ربيعة:

اضطربت العلاقة بين المنصور قلاوون وكل من أميرال فضل عيسى بن مهنا وأمير آل مِرا شهاب الدين أحمد بن حجي لمساندتهما الثائر على الدولة نائب الشام سنقر الأشقر، وهما يمثلان أكبر قوتين ضمن قبيلة ربيعة، فقد سبق القول أن آل فضل كانوا أكثر القبائل نفوذاً وعدداً، وينطوي في إطارهما كثير من القبائل المتحالفة، كما

---

(٣٧٩) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور (٦٧٨- ٦٨٩هـ) تحقيق مراد كامل، ط١، ١٩٦١م، ص٦٥- ٦٦، وسيشار إليه تالياً: عبدالظاهر، تشريف، انظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مج٤، ص٣٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٣٩؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٤٥- ٣٤٦؛ ابن الفرات، تاريخ، كج٧ ١٦٩؛ العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢٤١.

(٣٨٠) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٤٥- ٣٤٦.

أن نفوذ أحمد بن حجي كان يتجاوز بلاد الشام إلى الحجاز حتـى وصـفته بعـض المصادر بملك العرب بالبلاد الحجازية[٣٨١].

واجه المنصور هذا التجمع بقوة وأرسل قوات عسكرية على رأسها الأمير علم الدين سنجر الحلبي الذي دخل مع أطرافه في معركة عرفت **بمعركة الجسورة** فـي صفر (٦٧٩هـ). وانتهت بانتصاره[٣٨٢]، واضطر سـنقر الأشـقر وحلفـاؤه إلـى الانسحاب "**ومعه الأمير عيسى بن مهنا أمير العربان ملازم لخدمته، ومر به على بيوته ونزل به وبمن معه إلى الرحبة**"[٣٨٣].

دفعت هذه المعركة، وما انتهت إليه من نتائج إلى أن يتجه عيسى بـن مهنـا تحت تأثير الأمير سنقر وحلفائه للاتصال بالدولة الإيلخانية وزعيمها آنذاك أبغـابن هولاكو، مما دفع بالموقف إلى التعقيد، وهنا اتبع المنصور قلاوون الخطوات الآتية:

أولاً: عزل الأمير عيسى بن مهنا، وعين عوضاً عنه الأمير فخر الدين عثمان[٣٨٤]، وقد هدف وراء خطواته هذه إلى عزل بقية قبيلة ربيعـة، ممـن لا يؤيـدون تحركات الأمير عيسى بن مهنا، بما يؤمن الاحتفاظ بولاء هذه الجماعات له.

---

(٣٨١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مج٤، ص٣٦، وصف ابن كثير أحمد بن حجي على أنـه ملك الأعراب بالحجاز، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٣٩، وجاء فيه أن الأتـاوة كانـت تؤدى لأحمد بن حجي من قبل صاحب المدينة المنورة، انظر: ابـن العمـاد الحنبلـي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٥، ص٣٧٦، وسيشار إليه تالياً: الحنبلي، شذرات الذهب.

(٣٨٢) لجأت القبائل العربية المشاركة في معركة الجسورة إلى استخدام الخطط الحربية التـي قامت على مهاجمة الجيش المصري من الخلف ونهب أثقـالهم ممـا يـدفع بالعسـاكر المصرية إلى ترك أثقالهم ثم هزيمتهم، أنظر: المنصوري، زبدة الفكرة، ص١٨١، ١٨٣ البونيني، ذيل مرآة الزمان، ص٤٠؛ ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص١٧٠.

(٣٨٣) عن لجوء الأمير قراسنقر إلى منازل الأمير عيسى بن مهنا، انظر: ابـن عبـدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص٦٦- ٦٧؛ اليونيني، ذيـل مـرآة الزمـان، ج٤، ص٤١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ث٣٤٠؛ ابن كثيـر، البدايـة والنهايـة، ج١٣، ص٣٤٠.

(٣٨٤) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص١٩٠، ١٩١، ١٩٢.

ثانياً: لم يحصر الإمرة برجل واحد ولا بمنطقة نفوذ واحدة، بل اختار ثلاثة شخصيات قسم بينهم مناطق نفوذ القبيلة بموجب الصيغة التالية:

أ. تقليد الأمير فخر الدين عثمان بن مانع بن هبة إمرة آل فضل، وتكون منطقة نفوذه من الرستن(٣٨٥) إلى منطقة الملوحة*(٣٨٦).

ب. تقليد الأمير شمس الدين محمد بن أبي بكر إمرة آل علي ومنطقة نفوذه تمتد من الملوحة إلى الفرات(٣٨٧).

ج. تقليد الأمير حسام الدين دراج بن الطاهر إمرة آل عامر، وقد جعلت منطقة نفوذه من الرستن إلى العقابيات(٣٨٨).

ومن الواضح أن السلطان المنصور أراد بخطته هذه ألا يدع شؤون قبيلة ربيعة بيد رجل واحد، مما يجعله أكثر قدرة على السيطرة على ما يحتمل من متغيرات.

ويبدو أن هذه الإجراءات فعلت فعلها لصالح السلطان قلاوون، فقد طلب الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي أمير آل مرا، الأمان في صفر ٦٧٩هـ(٣٨٩).

وقد أعقبه في طلبه الأمير عيسى بن مهنا في ذي الحجة من السنة نفسها، وهنا لم يتردد السلطان في الانتقال من سياسة التشدد واستخدام القوة العسكرية إلى الترحيب الكبير به، بل أنه ما أن علم بوصوله إلى الروحاء حتى ركب إليه ومعه كبار رجال

---

(٣٨٥) الرستن: بلدة قديمة تقع بين حماة وحمص، الحموي، معجم، ج٤، ص٤٠٢، عبدالرحمن أيوب، الرستن، ط١، دار طلاس، ١٩٩١، ص١٣٥، وسيشار إليه تالياً: أيوب، الرستن.

(٣٨٦) الملوحة: قرية كبيرة من قرى حلب، الحموي، معجم، ج٨، ص٣١٨، انظر: ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص١٧٧.

(٣٨٧) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص١٩١- ٢١٢؛ ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص١٧٧- ١٧٨.

(٣٨٨) ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص١٧٧- ١٧٨.

(٣٨٩) المصدر نفسه، مج٧، ص١٧١.

الدولة، وتلقاه وأكرمه وبالغ في إكرامه[٣٩٠]، ورفع منزلته وضاعف إقطاعه ومنحه مدينة تدمر بعقد البيع والشراء، وأورد عنه مالاً لبيت المال "**ليأمن غائله ذلك فيما بعد**"[٣٩١].

وكانت سياسة احتواء القبائل العربية التي اتبعها السلطان المنصور سنة (٦٧٩هـ) مع القبائل العربية وبخاصة آل ربيعة أثرها الإيجابي في تحقيق العساكر المملوكية الشامية والمصرية انتصاراً على الايلخانيين المغول سنة (٦٨٠هـ)، فقد كان لها السبق في مقاومة الجيش الإيلخاني المغولي في موقعة حمص (٦٨٠هـ)، حيث شاركت قبيلة ربيعة بفرعيها: آل فضل بزعامة أميرهم عيسى بن مهنا الذي كان "**له اليد الطولى في وقعة حمص**"[٣٩٢]، وآل مِرا بقيادة أميرهم أحمد بن حجي الذي حضر على رأس أربعة آلاف فارس من عربه بكامل أسلحتهم وجيادهم "**شاكين في السلاح على الخيل المسومة، والجياد المطهمة، وعليهم الكزغندات* الحمر، مقلدين بالسيوف، وبأيديهم الرماح...**"[٣٩٣].

وقد أدى وجود قبائل الشام آل فضل بقيادة أميرهم عيسى بن مهنا، وآل مرا بقيادة أحمد بن حجي وعربان البلاد الشامية ومن أنضم إليهم على رأس ميمنة الجيش المملوكي[٣٩٤]، إلى هزيمة ميسرة المغول، وقد ساعدت خطة أمير العرب عيسى بن مهنا على إنهاء المعركة لصالح الدولة المملوكية البحرية إذ "**جاءهم عيسى بن مهنا**

---

(٣٩٠) انظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص٥٤؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٣٤٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣؛ ص٣٤١؛ ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص٢٠٠.

(٣٩١) اليونيني، ذيل مرأة الزمان، ج٤، ص٢٣١.

(٣٩٢) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٤٧؛ العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢٣٦.

(٣٩٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٦٦؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، قسم٢، ص٥٠-٥١؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٢٩١؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٥٩.

(٣٩٤) المنصوري، زبدة الفكرة، ص١٩٦- ١٩٧؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص٩١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٤٤؛ المقريزي، السلوك، قسم٣، ص٦٩٣؛ العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢٧٣.

في أصحابه عرضاً فتمت هزيمتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة"[٣٩٥] ثم أخذت الفرسان العرب في ملاحقة فلول المغول بعد هزيمتهم[٣٩٦].

وقام الأمير عيسى بن مهنا سنة (٦٨٣هـ) بمهاجمة آمد ونصيبين انتقاماً من حكام هذه البلاد الذين قدموا مساعدات للمغول[٣٩٧].

وعندما توفي الأمير عيسى بن مهنا سنة (٦٨٣هـ)[٣٩٨]، قام المنصور بتولية ابنه حسام الدين مهنا محله وأقره على "**إمرته وإقطاعه وزاده وضاعف حرمته وبسطته**"[٣٩٩] و"**أطاعه العرب كافة وعظم شأنه عند الملوك وغيرهم**"[٤٠٠] ويذكر الصفدي أن مكانته ارتفعت لدى المنصور أكثر من مكانة أبيه[٤٠١]، وكانت مدينة سلمية من إقطاعه[٤٠٢].

---

(٣٩٥) انظر: المنصوري، زبدة الفكرة، ص١٩٧ - ١٩٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٤٥؛ ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص٢١٧؛ أيوب، الرستن، ص١٣٦؛ منير الخوري أسعد، تاريخ حمص، مطرانية حمص الأرثوذكسية، قسم٢، ص٢٥٠، وسيشار إليه تالياً: أسعد، تاريخ حمص.

(٣٩٦) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص٩٤؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٤٨.

(٣٩٧) المقريزي، السلوك، ج١، قسم٣، ص٨٨٥ - ٨٨٦؛ ابن سباط، تاريخ،ج٢، ص٥٧٩؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٤٨.

(٣٩٨) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص٢٩؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص٢٣١/٢٣٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٩، ص٢٨٤؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٥، ص٣٤٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٩٠؛ ابن الفرات، تاريخ، مج٨، ص٨، ١٢-١٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، [ذكر وفاته ٦٨٤هـ]، المقريزي، السلوك، ج١، قسم٣، ص٧٢٥ - ٧٢٦؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٨٣.

(٣٩٩) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص٢٣١ - ٢٣٢.

(٤٠٠) ابن الفرات، تاريخ، مج٨، ص٨.

(٤٠١) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٣.

(٤٠٢) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٠؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٣.

أما فرع آل مرا، فبعد وفاة أميرهم أحمد بن حجي سنة ٦٨٢هـ[٤٠٣]، انتقلت الإمرة مناصفة بين ولديه: سليمان بن أحمد بن حجي، ونجاد بن أحمد بن حجي[٤٠٤].

وتصف المصادر الأمير أحمد بن حجي بأنه كان منافساً للأمير عيسى بن مهنا وأنه حظي لدى السلطان المنصور بالمنزلة العالية[٤٠٥].

ب. المنصور قلاوون وعرب الكرك:

كان قرار كبار أمراء المماليك وعلى رأسهم الأمير قلاوون قبل سلطنته باشهر باقطاع مدينة الكرك وقلعتها للسلطان الملك السعيد الظاهر بيبرس أثر خلعه من السلطنة سنة ٦٧٨هـ، وبناء على طلبه، يحمل معه احتمالات قيامه باستغلال الموقع الحيوي لهذه المدينة وقلعتها وللقبائل العربية فيها. ولهذا فقد اشترطوا عليه للموافقة على منحه الكرك إقطاعاً أن "**لا يكاتب أحداً من النواب، ولا يستميل إليه أحداً من الجند ولا من الأعراب**"[٤٠٦].

لم يفِ الملك السعيد بما اشترطه الأمراء المماليك عليه. فقد اتصل بعرب الكرك، وقبائلها ممن يحيطون بها، وأخذ يتقرب إليهم فأزال عنهم المظالم والمكوس، كما ألغى جميع الضرائب التي كان والده الظاهر بيبرس قد أحدثها من قبل[٤٠٧]، فاستطاع بذلك كسب محبتهم، فقصدوه من كل ناحية، فكثر أتباعه وزاد جيشه[٤٠٨].

---

(٤٠٣) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص١٨٣؛ ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص٢٨٢؛ المقريزي، السلوك، ج١، قسم٣، ص٧٢١؛ ابن تغري، المنهل الصافي، ج١، ص٢٦٢-٢٦٣؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٧٦.

(٤٠٤) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٥٥- ١٥٦.

(٤٠٥) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص١٨٣.

(٤٠٦) ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص١٥٧؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص٨٦- ٨٩.

(٤٠٧) ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص١٦٥؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص٨٩.

(٤٠٨) غوانمة، التاريخ السياسي، ص٨٩؛ انظر: Poliak, feudalism in Egypt Syria Palestine and The Lebanon ١٢٥٠- ١٩٠٠, London, ١٩٣٤, p١٦.

لمواجهة هذا الموقف حاول السلطان المنصور قلاوون سحب عرب الكــرك والقبائل العربية الأخرى حولها عن مناصرة الملك السعيد والملك المسعود، وقد اتخذ مجموعة من الخطوات لتحقيق ذلك وهي:

١. بهدف إبعاد عرب الشوبك من بني عقبة وغيرهم عن مساندة الملكين المشار إليهما، وجه قواته العسكرية إلى مدينة الشوبك فهيمنت عليها سنة ٦٧٨هــ مما اضطر الملك المسعود الذي كان مقيماً فيها إلى مغادرتها نحو أخيــه الملــك السعيد في الكرك[٤٠٩].

٢. رغبة في إبعاد قبيلة بني مهدي ذات الانتشار الواسع في منطقة الكرك ومــا يجاورها عن أن تخضع لإغراءات الملك المسعود في الكرك، أرســل ســنة (٦٨٢هــ) إلى منازلها الأمير جمال الدين آقش الشريفي حاملاً معه توقيعــاً بتقليد الأمرة فيها مناصفة بين الأمير شرف الدين راشد بن بشير، والأميــر ناصر الدين بن حسن، كما أطلق لهم الحبوب وأصدر لهم توقيعاً بــذلك[٤١٠]، وكان ذلك بداية علاقة متسقة مع دولة المماليك، ولعل من أبرز مظاهر ذلك مشاركة عرب الكرك في استنقاذ عكا[٤١١].

٣. وجه المنصور قلاوون حملة عسكرية بقيادة الأمير حسام الدين طرنطاي بن عبدالله المنصوري فسيطر على المناطق المحيطة بالكرك وقام بمحاصرتها، وكان من أبرز ما ركز عليه إيصال صوته إلى العرب فيها، فخاطبهم بلسان الإحسان خطاباً "**خلط الترهيب بنوع من الترغيب**" وبذل لهم العطاء ومَنَّــاهم ووعدهم حتى نجح في استمالتهم في أيام قليلة، فتسلل أكثرهم إلــى مواقعــه المحيطة بالمدينة[٤١٢].

---

(٤٠٩) ابن الفرات، تاريخ، مج٨، ص٣٥؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٠٦.

(٤١٠) ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص٢٥٩- ٢٦٠.

(٤١١) غوانمة، التاريخ السياســي، ص١١٦، Setton (K) Ahistory of the Gruades ٢ vols, London ١٩٦٢, p٥٩٤.

(٤١٢) المصدر نفسه ص٢٥٤؛ الحسو الكرك، ص١٣٤.

٤. ما أن استسلمت المدينة حتى قام قائد الحملة الأمير طرنطاي بتقديم الخلع إلى رجال القلعة ومقدمي المدينة وأمراء العربان[٤١٣].

٥. لغرض إضفاء الاستقرار على منطقة الكرك واحتواء القبائل العربيـــة قـــام السلطان بالتوجه إليها في أواخر (٦٨٥هـــ). وشمل "**كل ذي خدمة، وكل ذي حرمة وكل ذي نعمة باهتمامه**"[٤١٤].

وقد ذكر المؤرخ بيبرس الدودار المنصوري الذي عينه السلطان قلاوون خلال زيارته هذه سنة (٦٨٢هـــ)، نائباً للسلطنة في الكرك، أن السلطان قام بترتيب أحوال القبائل، مما يعني أنه تعرف على أحوالهم واستمع إليهم وقرر ما يصلح لهم[٤١٥]، وأقرَّ الاقطاعات الممنوحة لهم كما كانت عليه قبله، وأصدر مناشير* لهم بذلك، كما أجرى عليهم صلاتهم، وأمر بحمل الغلال إلى الكرك[٤١٦].

ج. المنصور قلاوون وأمراء الغرب:

لم تكن أوضاع أمراء الغرب التنوخيين في منطقة بيروت وما حولها منذ عهد الظاهر بيبرس مستقرة فقد سبقت الإشارة إلى أنهم كانوا على خصومة مع غيرهم من العرب في المنطقة ذاتها ونعني بهم بني (أبي الجيش*) وأنهم اتهمـــوا فـــي عهـــده بالتعامل مع الفرنج الصليبيين مما أدى إلى سجن ثلاثة من أمـــرائهم قرابـــة ســـبع سنوات[٤١٧].

---

(٤١٣) المنصوري، زبدة الفكرة، ص٢٥٥؛ الحسو، الكرك، ص١٣٧؛ حاشـــية ٢٣، غوانمـــة، التاريخ السياسي، ص١٠٦.

(٤١٤) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص١٣٨.

(٤١٥) الحسو، الكرك، ص١٣٨؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص١١٢.

(٤١٦) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٧٣٢، يذكر أن المنصور جدد مناشـــير إقطاعـــاتهم، وأطلق لهم سنة ٦٨٢هـــ، انظر: ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص٢٥٦- ٢٥٧، الحســـو، الكرك، ص١٣٧؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص١١٢.

(٤١٧) انظر أعلاه، ص٦٦- ٦٧.

ومع أن أوضاعهم تغيرت بعد وفاة الظاهر بيبرس سنة (٦٧٦هـــ)، وقيــام السلطان الجديد الملك السعيد بإطلاق سراح أمرائهم[٤١٨]، فقد تجددت الاضطرابات، بل وتوسعت الخلافات والصدامات إلى حد اضطرار الملك السعيد إلى إرسال تجريده عسكرية بهدف فرض السيطرة على هذه الأوضاع[٤١٩].

وإذا كانت هذه الحملة قد استطاعت أن تسيطر على الأوضاع فــي منطقــة بيروت، إلا أن استعانة قائدها بعشران بعلبك والبقاع وصيدا وبيروت لضرب مــن أسهم بالاضطرابات من التنوخيين، وقيامهم والعساكر المملوكية، بنهــب أمــوالهم، ومواشيهم وممارسة أعمال القتل والحرق للبيوت، وسبى النساء والأطفــال، جعــل الوضع يزداد تأزماً، ودعا السلطان الملك السعيد إلى إصدار مرسوم بــالعفو عــن المشاركين في هذه الاضطرابات، واقتصار الاعتقال على من تثبت إدانتــه، وأمــر بإعادة ما صودر لأمراء الغرب من أموال لهم[٤٢٠].

كان هذا هو الوضع في غرب بيروت عندما تسلم السلطان المنصور قلاوون السلطنة (٦٧٨هـ).

ويبدو أن أمراء الغرب التنوخيين ظلوا ملتزمين بواجباتهم وخفــر منــاطقهم ومراقبة تحركات الفرنج طوال السنوات الأربع التالية (٦٧٨- ٦٨٢هـ) مما جعــل علاقتهم بالدولة متسقة خلال ذلك[٤٢١].

ومع أن العلاقة كانت متسقة خلال هذه السنوات إلا أن السلطان ظل حذراً في التعامل معهم، وبخاصة فيما يتعلق بمدى التزامهم بمراقبة الفرنج الصليبيين وإعلام الدولة بتحركاتهم[٤٢٢]، غير أنه في ذات الوقت لم يتعجل في اتخاذ إجراءات ضدهم

---

(٤١٨) يحيى، تاريخ بيروت، ص٦٩.

(٤١٩) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٤٢٠) المصدر نفسه، ص٦٨- ٦٩؛ ابن سباط، صدق الأخبار، ج، ص٤٦٤- ٤٦٥.

(٤٢١) يحيى، تاريخ بيروت، ص٦٧.

(٤٢٢) المصدر نفسه، ص٦٧.

عندما وصله أواخر هذه الحقبة (محرم ٦٨٢هـ) كتب مثبتة بتواقيع أناس من مدينتي صيدا وعكا تؤكد علاقتهم بالفرنج الصليبيين[٤٢٣].

ويبدو أن شكوك السلطان بدأت تتأكد بعد أن رفض أمراء الغرب طلبه منهم الحضور لمقابلته سنة (٦٨٧هـ)[٤٢٤]، فأمر بمصادرة إقطاعاتهم وأموالهم ومع أنهم حاولوا إثبات حسن نيتهم، وعدم وجود أية علاقة تربطهم بالفرنج الصليبيين فإن السلطان أمر في ربيع الآخر (٦٨٨هـ) بإعطاء إقطاعاتهم لصالح الحلقة* الطرابلسية[٤٢٥].

د. المنصور قلاوون والعشير:

لم يكن للعشير بروز واضح قبل عصر المنصور قلاوون إلا أنه واجه في جمادى الآخرة سنة (٦٨٠هـ) ثورات العشير في بلاد الشام، مستغلين اضطراب الأوضاع في البلاد وتعرضها لخطر المغول الإيلخانيين والفرنج من الخارج، وحركة سنقر الأشقر في الداخل، فقد ثار العشير في هذه السنة ونهبوا مدينة غزة وقتلوا كثيراً من الناس، فاتبع السلطان سياسة متشددة تجاههم، فأرسل الأمير علاء الدين إيدكين الفخري من دمشق وشمس الدين سنقر البدوي من القاهرة للخروج بعساكرهما، للقضاء على حركة العشير وإخمادها[٤٢٦].

---

(٤٢٣) شبارو، عصام محمد، تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين، دار مصباح للفكر، ص٩٤، وسيشار إليه تالياً: شبارو، تاريخ بيروت، بشير صاحب تاريخ بيروت إلى أن ذلك تم بدسيسة من بني أبو الجيش المجاورين لأمراء الغرب وهم الذين قاموا بتزوير كتب ملفقة تثبت علاقتهم بالفرنج الصليبيين، تاريخ بيروت، ص٦٧.

(٤٢٤) يحيى، تاريخ بيروت، ص٧١.

(٤٢٥) المصدر نفسه، ص٧١.

(٤٢٦) المقريزي، السلوك، ج١، قسم٣، ص٦٧٤، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٩٩- ٧٠٠، رئيسة عبدالفتاح طالب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ٦٤٨- ٩٢٣هـ، ط١، دار الفاروق، نابلس، فلسطين، ١٩٩٩، ص٧٥، انظر: محمود عطا الله، نيابة غزة في العهد المملوكي، دار الآفاق الحديثة، بيروت، ص٢٠١، وسيشار إليه تالياً: عطاالله ، نيابة غزة.

وفي رجب من السنة نفسها (٦٨٠هـ) ثار العشير مرة أخرى ونهبوا مدينة نابلس "**وقتلوا مقتلة عظيمة**" فتوجه إليهم الأمير علاء الدين إيدكين الفخري بعسكر من غزة، فتمكن من القبض على جماعة منهم، وشنق اثنين وثلاثين من أكابرهم وسجن كثيراً منهم بصفد، كما أنه عين الأمير علاء الدين أيدغدي الصرخدي نائباً على البلاد الغزاوية والساحلية وجعل مهمته ردع العشران[٤٢٧].

أما عشير البقاع فقد وقفوا خلافاً لسابقيهم، إلى جانب الدولة فتمَّ استخدامهم مع العساكر في محاربة أمراء الغرب التنوخيين وإخماد فتنهم، وقد أخرجت سياسة السلطان المنصور قلاوون إلى الساحة جماعات أخرى في المنطقة مثل بني تغلب في مشغرا، فرغم قيامهم بالفتن في البقاع وسجنه لزعمائهم وإلزامهم بدفع مائة ألف درهم كإجراء تأديبي لهم "**لا أنه استمالهم لجانبه سنة ٦٨٨هـ**"[٤٢٨].

هـ. المنصور قلاوون وقبيلتي كلب وكلاب:

التفت المنصور إلى قبيلتي كلب وكلاب، خاصة المقيمين منهم في المنطقة الممتدة من ثنية العقاب إلى الجهات القبلية من بلاد الشام، فأصدر مرسوماً* بتقليد* أمرتهما- أي كلب وكلاب- لأمير واحد هو بدر الدين طيمون بن ريشة الكلبي سنة (٦٨٧هـ)[٤٢٩]. أما العرب من هاتين القبيلتين المقيمتين شمال ثنية العُقاب تقع بالثغور الشامية قرب المصيصة في حمص وشيزر وحلب، فلم يحدد لهم إمرة في المرسوم الذي أصدره[٤٣٠].

ويبدو أن تنظيم المنصور لقبيلتي كلب وكلاب بتعيين أمير عليهم بتوحيدهما تحت إمرة ابن ريشة الكلبي، لم يقتصر على هذا الإجراء فقط، بل نظم عملية تحصيل

---

(٤٢٧) ابن الفرات، تاريخ، مج٧، ص٢٢٥- ٢٢٦؛ المقريزي، السلوك، ج١، قسم٣، ص٦٨٩، ٦٩٩-٧٠٠؛ عطا الله، نيابة غزة، ص٢٠١- ٢٠٢؛ رئيسة، نابلس، ص٧٥.

(٤٢٨) يحيى تاريخ بيروت، ص٧١.

(٤٢٩) ابن الفرات، تاريخ، مج٨، ٢٥-٢٦.

(٤٣٠) المصدر نفسه، مج٨، ٢٥-٢٦.

عدادهم* للدولة بأن حدد قيمة الربع على عدادهم الثابت المستقر يدفع للدولة، ويزيد إلى قيمة النصف في حالة ارتفاع العداد عن المستقر والمعتاد[٤٣١].

تلك هي أبرز معالم السياسة التي اتبعها المنصور قلاوون تجاه القبائل العربية في بلاد الشام، وهي سياسة منسقة إلى حد كبير مع سياسة سلفه الظاهر بيبرس، فهل سارت دولة المماليك البحرية خلال السنوات التسع التي أعقبته على منواله؟

شهدت هذه الحقبة في إطارها العام اتساقاً مع سياسة المنصور قلاوون من حيث سعيها لاحتواء القبائل العربية وكسبها لصالح الدولة، كما أن هذه القبائل تصرفت بما يؤكد طاعتها للسلطان الجديد الأشرف خليل، وكان من أوائل من قدم إلى القاهرة لتهنئته بالسلطنة أمير عرب الشام وأمير آل فضل مهنا بن عيسى وقام بتقديم التقادم له في المحرم من سنة (٦٩٠هـ)[٤٣٢]، وقد كان للأمير نفسه ومن يرتبط به من عرب الشام، دور كبير في مساندة السلطان في المعارك التي خاضها سنة (٦٩٠هـ)، سواء مع الفرنج الصليبيين[٤٣٣]، أو خلال حملته على سلاجقة الروم[٤٣٤].

تأكدت هذه العلاقة الإيجابية خلال السنتين التاليتين، فقد زار الأمير مهنا السلطان عند وصوله إلى مدينة حماة في السنة التالية (٦٩١هـ) وقدم عدداً من الخيول والجمال هدية له[٤٣٥]، وقد قابل السلطان الأشرف خليل تصرف أمير عرب الشام بالمثل فأرسل له خِاماً ثمينة، كما أنه حين علم بزواج حفيدة له سنة(٦٩٢هـ)، قام بإرسال مجموعة ثمينة من الهدايا لأسرته[٤٣٦].

---

(٤٣١) ابن الفرات، تاريخ، مج٨، ص٢٦.

(٤٣٢) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٧٦٢.

(٤٣٣) انظر: مارينو سانوتو، كتاب الأسرار، إعداد ومراجعة باليغريتو رنكاليا، وسمير الخادم، نقله إلى العربية سليم رزق الله، ط١، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩، وانظر: مقدمة د.سمير الخادم، ص٨-١٠، الحسو، الكرك، ص١٤١.

(٤٣٤) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٣- ٤٦٥.

(٤٣٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٦٤؛ ابن أيبك، كنز الدرر، ص٢٢١.

(٤٣٦) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٤؛ ابن الفرات، تاريخ، مج٨، ص١٥٥؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٧٨٣.

ومع أن هذه المؤشرات توحي بأن الأشرف خليل كان مدركاً لأهمية الدور الذي كان يؤديه الأمير مهنا بن عيسى، أمير آل فضل وأمير عرب الشام، إلا أن ما تصرف به تجاهه سنة (٦٩٢هـ) كان على النقيض من ذلك، فقد غادر إلى الشام في السنة نفسها، واتجه إلى مدينة سامية حيث كان الأمير مهنا في استقباله، فإذا هو يأمر بإلقاء القبض عليه وعلى أخويه محمد بن عيسى، وفضل بن عيسى، كما قبض على ابنه موسى، وأرسلهم جميعاً إلى القاهرة حيث سجنوا في قلعة الجبل[٤٣٧].

وقد أمر السلطان الأشرف بعيد إجراءاته هذه بتحويل أمرة العرب من آل فضل إلى آل علي، وهم فرع آخر من فروع قبيلة ربيعة، وقام بتعيين أميرهم شمس الدين محمد بن علي حديثة في إمرة العرب ومنحه ما كان بيد الأمير مهنا من إقطاعات[٤٣٨].

لم تشر المصادر إلى الأسباب التي دفعت الأشرف خليل إلى تصرفه هذا، والواقع أن مثل هذا التصرف- أسلوباً ومضموناً- لم يكن مسبوقاً في سياسة دولة المماليك البحرية تجاه قبيلة ربيعة، وآل فضل بخاصة، ومهما قيل من مبررات قد تكون هي ما دفع السلطان إلى إجرائه هذا، فإنه جاء خارج السياق المعمول به من قبل، مما تسبب في خلق حالة من الفوضى والاضطراب في بلاد الشام، وأدى إلى

---

(٤٣٧) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص٢٧٣؛ المنصوري، زبدة الفكرة، ص٢٩٣ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٦٤؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٣٢؛ دار إحياء التراث؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص١٠٧- ١٠٨؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٧٨٤- ٧٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٧١.

(٤٣٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٩١، دار إحياء التراث؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص١١٠؛ القلشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٧؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٧٨٤- ٧٨٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٧١.

خروج آل فضل عن طاعة الدولة ونزوحهم نحو جهات موغلة في بادية الشام حيث بدأوا بشنون غارات على بعض المواقع المملوكية القريبة من أراضيهم[٤٣٩].

استمر وضع آل مهنا وآل فضل على هذه الشاكلة، حتى نهاية عهد السلطان الأشرف خليل وتولى السلطان العادل كتبغا الحكم سنة (٦٩٤هـ) الذي قام بإطلاق سراح الأمير مهنا ومن كان معه من المعتقلين وأعيدوا إلى ما كانوا عليه قبل اعتقالهم[٤٤٠]، بل إن مكانة آل فضل علت في عهد السلطان حسام الدين لاجين الذي تولى السلطنة سنة (٦٩٧هـ) فقد أكرم أميرهم مهنا عندما وفد عليه في القاهرة في السنة نفسها وأحسن إليه وخلع عليه "طرد وحش"[٤٤١]، كما سمح له بالسفر للحجاز "وأنعم عليه"[٤٤٢].

ليس ثمة معلومات واسعة عن الشكل الذي تعاملت به الدولة مع القبائل العربية الأخرى غير قبيلة ربيعة باستثناء الخطوة التي اتخذها السلطان الأشرف خليل تجاه زعماء الغرب التنوخيين، الذي كان والده المنصور قد أمر باعتقالهم، كما أشير إليه من قبل، فقد أمر بعد توليه السلطنة سنة ٦٨٩هـ، بإطلاق سراحهم وإعادة إقطاعاتهم

---

(٤٣٩) ذكر العيني أن الأمير مهنا كتب لأخيه هبة، ومهنا في طريقه للاعتقال في مصر كتاباً:"وأمره أن يرحل بأهله نحو الشرق إلى مكان سماه له، وأن يشن الغارة في المنازل القريبة منه ولكن ذكر ذلك كله باللغز، بحيث لا يفهم أحد ذلك إلا أخوه الذي كتب إليه، فلما وصل إليه الكتاب رحل هو بأهله من برية دمشق ثم شرع في التشويش على المنازل ونالوا بذلك مقاصدهم" عقد الجمان، ج٣، ص٤٠٨-٤٠٩.

(٤٤٠) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٧٠؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص ١٤١-١٤٢؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٤- ٤٦٥؛ وجاء في مصادر أخرى أن الناصر محمد هو الذي أطلق سراحهم سنة ٦٩٣هـ، انظر: ابن الفرات، تاريخ حوادث (٦٨٣-٦٩٦هـ)، ص١٨٥؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٥٦، دار الكتب العلمية، ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص١٧٨، وذكر الأخير ٦٩٤هـ.

(٤٤١) "وهو أول من لبس طرد وحش من آل مهنا، وكانت خلعته قبل ذلك كنجي أو مسمط" العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٤٠٨- ٤٠٩.

(٤٤٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٠٩.

لهم[٤٤٣]، ومع أن البحث لم يؤد إلى الأسباب الفعلية التي دفعت بالسلطان لاتخاذ قراره هذا، إلا أن من المرجح أن يكون قد أراد به كسب أمراء الغرب التنوخيين الذين كانت أراضيهم تجاوز مواقع الفرنج الصليبيين عند السواحل الشامية.

يؤيد ذلك قيامه في السنة التالية (٦٩٠هـ) بمهاجمة هؤلاء وتمكنه وقواته من إجلائهم كلياً عن البلاد[٤٤٤].

كما أن المصادر تشير إلى أن دولة المماليك البحرية احتفظت خلال هذه الحقبة وفي عهد الأشرف خليل على وجه التحديد، بعلاقات جيدة مع أمراء بني مهدي حيث كانوا يشاركونه رحلاته وتحركاته خلال زياراته لبلاد الشام[٤٤٥]، كما أن علاقته بقبيلة بني عقبة كانت على هذه الشاكلة أيضاً، فقد جاء في أحداث سنة (٦٩٠هـ) أن أميرهم سابق الدين بن عقبة كان من بني عدو من أمراء عرب الشام الذين قدموا إلى القاهرة حيث قدم التقادم للسلطان الأشرف خليل وأن الأخير أنعم عليه وأعاده مكرماً إلى بلاده[٤٤٦]، ويبدو أن علاقة بني عقبة مع السلطان نفسه كانت من القوة بمكان بحيث نجح زعيمهم سنة (٦٩٢هـ) في إقناعه بهدم قلعة الشوبك[٤٤٧] التي وصفها ابن كثير بأنها كانت شجىً في حلوق الأعراب الذين هنالك[٤٤٨]، وهو الأمر الذي جلب للأشرف خليل نقداً كبيراً من رجاله ومن جميع المؤرخين الذين تناولوا هذا

---

(٤٤٣) يحيى، تاريخ بيروت،ـــ ص٧١- ٧٢؛ ابن سباط، صدق الأخبار، ج١، ص٥٠٨.

(٤٤٤) يحيى، تاريخ بيروت، ص٧١-٧٢.

(٤٤٥) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٤؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص ١٤٠.

(٤٤٦) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٧٦٢.

(٤٤٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٣٢؛ محمد عدنان البخيت، مملكة الكرك في العهد المملوكي، ج١، ماحص ١٩٧٦، ص١١٢، وسيشار إليه تالياً: البخيت، مملكة الكرك.

(٤٤٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٣٢، دار إحياء التراث؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٣٠.

الحدث باستنكار شديد، نظراً لما تشكله هذه القلعة من أهمية دفاعية في الجهات الجنوبية من بلاد الشام[٤٤٩].

---

[٤٤٩] غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٣٠؛ الحسو، الكرك، ص١٤١.

الفصل الثالث

السياسة المملوكية تجاه القبائل العربية في بلاد الشام في عصر الناصر محمد وعصر أبنائه وأحفاده

٣. ١ السياسة المملوكية تجاه القبائل العربية الشامية خلال حقبتي حكم الناصر محمد الثانية والثالثة (٦٩٨- ٧٠٨هـ) (٧٠٩- ٧٤١هـ)

تولى السلطان الناصر محمد الحكم في سلطنته الثانية سنة ٦٩٨هـ في ظل تحديات خارجية وداخلية، وهي:

١. تفاقم الخطر المغولي بعد تولي السلطان محمود غازان الحكم على رأس الدولة المغولية الإيلخانية (٦٩٤- ٧٠٣هـ)، الذي كان غزو بلاد الشام من أبرز مرتكزات سياسته الخارجية(٤٥٠).

٢. استمرار هيمنة كبار أمراء المماليك الذين كانوا قد تحكموا في دولة المماليك البحرية بعد وفاة السلطان الأشرف خليل (ت ٦٩٣هـ)(٤٥١)، وظلوا قوة فاعلة تنصب أو تخلع من تشاء من السلاطين، وكان آخر من جاءوا به سلطاناً سنة (٦٩٨هـ) هو الناصر محمد(٤٥٢)، مما يعني أن دولة المماليك البحرية كانت آنذاك تعيش حالة من عدم الاستقرار بسبب الصراع على السلطة.

٣. بروز دورين متناقضين للقبائل العربية الشامية أولهما **إيجابي**، ويتمثل بوقوف معظم هذه القبائل جنباً إلى جنب مع الجيش المملوكي لصد الغزو المغولي

---

(٤٥٠) عن التهديدات المغولية في عهد السلطان محمود غازان، انظر: المقريزي، السلوك،ج١، ق٣، ص٩٣٢؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٣٠- ١٣١، ٢١٨، ٢٢٠- ٢٢٢، ٢٣٣؛ موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق ودراسة: أحمد حطيط، ط١، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٩٨٦، ص٢٠٩، وسيشار إليه تالياً: اليوسفي، نزهة الناظر.

(٤٥١) تفاقم نفوذ كبار الأمراء المماليك في مصر أواخر عهد الأشراف خليل وأدى إلى قتله سنة ٦٩٣هـ، وقد استمر هذا الصراع حتى سنة ٧٠٩هـ.

(٤٥٢) غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٤٥؛ الحسو، الكرك، ص١٤٢.

الإيلخاني الذي تعرضت له بلاد الشام في السنة الثانية من حكم الناصر محمد (٦٩٩هـ) [٤٥٣]، وثانيهما **سلبي** تمثل في قيام عشير غزة وطرابلس بمهاجمة فلول الجيش المملوكي أثناء عودته إلى مصر في السنة ذاتها[٤٥٤].

ولعل أبرز ما أفرزته هذه التحديات وبقدر تعلق الأمر بهذه الأطروحة هو أن أمن الدولة وسلامتها في المحيطين الداخلي والخارجي كان مرتبطاً إلى حد كبير بموقف القبائل العربية الشامية من الدولة سلباً أو إيجاباً، فهل أخذ الناصر محمد هذا الاعتبار؟ وما هي السياسة التي اعتمدها في تعامله مع هذه القبائل؟

بدراسة الأدبيات ذات علاقة بهذا التساؤل، يتضح أن سياسة تجاه القبائل العربية الشامية عكست وعياً كبيراً بأهمية احتوائها بعامة واحتواء قبيلة ربيعة بخاصة بحكم أن أمرة عرب الشام كانت منحصرة بها، وأنها كانت القبيلة الأكبر، كما أن هذه السياسة ربطت بين ما منحته لها من إقطاعات وامتيازات، وما كانت هي ملتزمة به من واجبات، وعلى رأسها خضوعها للدولة، وحفاظها على أمنها، وهو ما ستتناوله الدراسة في هذا المبحث.

الناصر محمد وسياسته في احتواء قبيلة ربيعة:

لم يحدث الناصر محمد تغييراً في إمرة عرب الشام التي كان يشغلها عند توليه السلطنة سنة ٦٩٨هـ الأمير مهنا بن عيسى، أمير آل فضل، أحد أهم فروع قبيلة ربيعة، وقد كان هذا يعني استمراراً لسياسة سلفية السلطان العادل زين الدين كتبغا* (٦٩٤- ٦٩٦هـ) والسلطان المنصور حسام الدين لاجين المنصوري (٦٩٦-٦٩٨هـ) اللذين ردا الاعتبار للأمير مهنا بن عيسى وأخيه محمد بن عيسى وولده: موسى بن مهنا بعد الذي تعرضوا له في عهد السلطان الأشرف خليل سنة

---

(٤٥٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٢٠، وانظر ص٣٢٥؛ Quatremere, History, p١٧٦

(٤٥٤) انظر المنصوري، مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، حققه وقدم له ووضع فهارسه: عبدالحميد صالح حمدان، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣، ص١١٢، وسيشار إليه تالياً: المنصوري، مختار الأخبار؛ المقريزي، السلوك، ص٣١٩- ٣٢١، دار الكتب العلمية.

(٦٩٢هـ) من سيطرة على إقطاعاتهم وزجهم في السجن، وبقائهم فيه حتى وفاته سنة ٦٩٣هـ[٤٥٥].

وقد ساعد على تجذير هذه السياسة في عهد الناصر محمد، التزام أمير عرب الشام المشار إليه ومن يتبعه من العرب بالدفاع عن الدولة عندما هاجمها المغول الإيلخانيون سنة (٦٩٩هـ)، فقد شكلوا ميمنة الجيش المملوكي، وكانوا هم من حمل على ميسرة جيش الغزاة، وتكبدوا خلال ذلك خسائر كبيرة[٤٥٦]، وقد فعلوا الشيء ذاته سنة (٧٠٠هـ) عندما علموا بأن قوات مغولية هاجمت البلاد، إذ قامت قوة استطلاعية من عرب آل فضل بقيادة الأمير يزيد بن ثابت بمتابعة تحركاتها عبر نهر الفرات والتصدي لها[٤٥٧].

وقد أشادت المصادر التاريخية بموقف أمير عرب الشام مهنا بن عيسى في معركة مرج الصفر* (شقحب) التي وقعت سنة ٧٠٢هـ بين المماليك بقيادة الناصر محمد، والمغول بقيادة السلطان محمود غازان، ذلك أنه وفرسان العرب معه شكلوا ميمنة الجيش المملوكي، وكانوا عاملاً مهماً في تحقيق النصر، كما كان لقائدهم الأمير مهنا "**اليد الطولى المجاهدة**" على حد تعبير المؤرخ العيني[٤٥٨].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن اندفاع القبائل العربية هذا في صد المغول، تأثر بالدعوة إلى الجهاد والتي وجهها الفقيه تقي الدين أحمد ت(٧٢٨هـ) وهو ابن تيمية؛ أحد كبار شيوخ بلاد الشام[٤٥٩].

ويلاحظ مدى اهتمام السلطان الناصر محمد بمشاركة الأمير مهنا في توجهه على رأس موكبه لاستقباله عندما قدم للمشاركة في المعركة المشار إليها[٤٦٠].

---

(٤٥٥) ابن الفرات، تاريخ، مج٨، ص١٥٦.

(٤٥٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٢٠، وانظر ص٣٢٥.

(٤٥٧) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٣٠- ١٣١.

(٤٥٨) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٩٣٢؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢٣٣، ٢٤١، ٢٤٢؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٠٩؛ أبي حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٢٤٩.

(٤٥٩) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٣٠؛ جابجي، تاريخ بيروت، ص٥٧، حاشية ٥.

(٤٦٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٤.

فقد تجلت العلاقة القوية هذه بين الرجلين بالموقف المساند للناصر محمد أبان سعيه لاستعادة ملكه ودحر خصومه سنة (٧٠٩هـ)، فقد كان الأمير مهنا وجماعة من عرب آل فضل وغيرهم من العرب من أوائل من قصده في غزة قبل دخوله مصر، مسانداً ومهنئاً بعودته إلى السلطنة، وقد سر الناصر محمد بذلك سروراً كبيراً، وخرج لاستقباله بنفسه[٤٦١]، كما قام الأمير مهنا في ربيع الآخر من السنة التالية بزيارته في القاهرة، ثم أعقبه إليها سنة (٧١١هـ) ابنه الأمير سليمان الذي زار السلطان الناصر، وقدم[٤٦٢] له عدداً من الأسرى المغول الذين كانوا قد أسروا من قبله في غارة لـه عليهم، فشكره السلطان وأنعم عليه بمائة ألف درهم[٤٦٣].

وإذا كانت الثقة المتبادلة بين السلطان الناصر وأمير عرب الشام مهنا بن عيسى هي السمة التي أفرزتها السياسة المملوكية تجاه القبائل العربية حتى هذا التاريخ، فإن ما أصابها من خلل سنة ٧١١هـ، كان سبباً في خلق إشكاليات بين الطرفين، ذلك أن الأمير مهنا أطلع خلال زيارة له نائب السلطنة في حلب الأمير قراسنقر على كتاب أرسله السلطان الناصر إليه بأمره منه بإلقاء القبض عليه[٤٦٤]، ثم دخل الرجلان في تحاور، فقال الأمير مهنا: فما أنت صانع؟ فأجاب الأمير قراسنقر مستنكراً تنفيذ هذا الأمر: "**أنا أطيعه فيك؟.. فمن يحميني منه إن قصدني، قال مهنا: تجيء إلينا" ثم تحالف على ذلك**[٤٦٥]".

انصرف الأمير مهنا نحو مرابعه، "... وقد اشتد غضبه[٤٦٦]، نظراً لما يعكسه مضمون الكتاب من تناقض مع ما كان يجمعه بالسلطان من علاقة طيبة، وبغض

---

(٤٦١) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٤٣، دار الكتب العلمية.

(٤٦٢) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٠٢؛ المنصوري، التحفة الملوكية، ص٢٣٢.

(٤٦٣) المقريزي، السلوك، ج٢- ١، ص١٠٥-١٠٦، انظر: المنصوري، التحفة الملوكية، ص٢٣٢.

(٤٦٤) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٦.

(٤٦٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٦٦.

(٤٦٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٠٨.

النظر عن مدى صحة صدور الكتاب المشار إليه عن الناصر محمد، فقد أدت نسبته إليه إلى خلق حالة من غياب الثقة بينهما.

وصلت أنباء زيارة الأمير إلى حلب، واجتماعه بنائب السلطنة فيها الأمير قراسنقر، وأنهما يدبران أمراً بينهما ضده(٤٦٧).

أمام هذه المتغيرات آثر الناصر محمد أن يتغافل عما يساوره من شكوك تجاه الأمير مهنا، وحاول استمالته إليه.

والواقع أن تصرف الناصر هذا كان منسجماً مع الحالة التي كانت تعيشها دولة المماليك البحرية في بلاد الشام آنذاك، فقد كانت ما تزال مهددة بغزو قد تقوم به الدولة الإيلخانية المغولية عبر حدود الفرات من جهة، كما أن بلاد الشام ذاتها كانت تضم مجموعة من الأمراء المماليك الخارجين عن طاعة الدولة، وعلى رأسهم الأمير قراسنقر نائب حلب، لقد فرض هذا الواقع على الناصر محمد اتباع سياسة تحرت إبعاد قبيلة ربيعة بفروعها الواسعة من آل فضل، وآل مِرا وآل علي وأحلامهم عن الانحياز إلى أعداء الدولة، وجعل هذه القوة العربية الكبيرة، قوة لها وليس عليها.

كانت أولى خطوات الناصر محمد لاحتواء هذه الأزمة، ارسال موفد عنه إلى الأمير مهنا، يحمل كتاباً يتضمن دعوته لزيارته في القاهرة، وقد تعمد الناصر أن يتصرف معه على غرار ما كان يفعله من قبل في طلب ما يحتاجه من الخيول، فسأله إرسال فرس عينه له إشعاراً له بعفوية العلاقة بينهما(٤٦٨).

اعتذر الأمير مهنا عن قبول دعوة السلطان مما يبدو أن سببه تخوفه من إلقاء القبض عليه انسجاماً مع مضمون الكتاب آنف الذكر غير أنه هيا الفرس الذي طلبه، وأرسله إلى مصر مما يعني حرصه على علاقة طبيعية مع السلطان(٤٦٩).

---

(٤٦٧) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٣؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٥، ص٤٦٦.

(٤٦٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٠٨.

(٤٦٩) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٠٨.

غير أن العلاقة بينهما أخذت أبعاداً أكثر تعقيداً في أواخر العام نفسه عندما قبلت زوجة الأمير مهنا؛ أم ولده سليمان[٤٧٠]، إجادة قراسنقر الأمير الخارج عن طاعة السلطان، إثر طلبه ذلك منها، مستفيداً من التقاليد العربية التي لا تسمح برد من يطلب حمايتها[٤٧١].

أدى لجوء قراسنقر إلى آل فضل إلى انقسام في صفوفهم فقد ذهب فريق منهم إلى معارضة وجوده في مضاربهم لأن في ذلك عداء للدولة وللسلطان الناصر محمد، وقال رجال هذا الفريق، وعلى رأسهم الأمير فضل بن عيسى:"كيف نحارب الملك الناصر ونحن في بلاده بالشام"[٤٧٢].

أما الفريق الثاني فقد رأى في وجوده بين ظهرانيهم مصلحة لهم يمكنهم استخدامها للحصول على انعامات وإقطاعات إذا هم سلموه ومن معه إلى السلطان وكان الأمير محمد بن عيسى؛ أخو الأمير مهنا، من أصحاب هذا الرأي[٤٧٣].

---

(٤٧٠) **"ورد لدى الصفدي القول ".... فقام إلى كاملة زوج مهنا... فقالت يا أبا محمد إن الله قد أجارك، وجاءت إلى مهنا، فقالت يتحدث عنك العربان؟! إن هؤلاء الملوك جاءوا إليك وأنك غدرت بهم.. فقال [مهنا]: إن الله قد أجارهم".**

(٤٧١) وردت أكثر من رواية حول الطريقة التي اتبعها الأمير قراسنقر للحصول على حق الجيرة، فقد قال الصفدي: وأما زوجة مهنا عائشة بنت عساف فإنها بالغت في خدمة قراسنقر، وكانت تقول لمهنا: " ذكر الدهر، لا تدعه" أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٦، وجاء في رواية لابن آيبك أن قراسنقر هجم بيوت مهنا.. واستجار جيرة العرب فالجأت مهنا ضرورة الجيرة حتى أجاره. وقال له [مهنا]: وتربة عيسى ما يصيبك إلا ما يفضل عن رأسي" كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة، ١٩٦٠، ج٩، ص٢٢٠، وسيشار إليه تالياً: ابن آيبك، كنز الدرر)، ص٢٢٠، وفي رواية لابن بطوطة أن قراسنقر قصد منزل أمير العرب مهنا بن عيسى.. وكان مهنا في قنص. فقصد بيته. ونزل عن فرسه، وألقى العمامة في عنق نفسه ونادى "الجوار يا أمير العرب" وكانت هنالك أم الفضل زوج مهنا وبنت عمه، فقالت له: قد اجرناك وأجرنا من معك"، تحفة النظار، ص٩٦.

(٤٧٢) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٩٦.

(٤٧٣) الصفدي، اعيان العصر، ج٥، ص٤٦٦، ٤٦٧.

أما الفريق الثالث فكان على رأسه أمير آل فضل، وأمير عرب الشام مهنا بن عيسى الذي وضع حداً لهذا الجدل بقوله:"**أما أنا فأفعل لهذا الرجل ما يريده**"[٤٧٤].

مما دفع بأخيه الأمير محمد إلى الرد عليه قائلاً "**الله بيننا وبينك، حرمتنا هواء الشام وطيبه**"[٤٧٥]، إشارة إلى ما كان يتوقعه من عواقب بسبب هذا الموقف.

لم يكن موقف الأمير مهنا هذا، ليعني أكثر من التزام بما يجب أن يتحلى به أي أمير عربي تحكمه وبخاصة أنه كان أمير لعرب الشام ولآل فضل على حد سواء، مما يضع عليه مسؤولية أكثر في ضرورة الالتزام بالقيم السائدة في مجتمعه، ولعل خير ما يعبر عن ذلك خطاب امرأته له مستنكرة موقف أولئك الذين كانوا يطلبون منه التخلي عن حق الجوار الذي أعطاه للأمير قراسنقر، حيث قالت: "**أيش يتحدث عنك العربان؟ أن هؤلاء الملوك [تقصد الأمير قراسنقر ومن معه] جاءوا إليك ونزلوا عليك وأنك غدرت بهم، فقال [مهنا]: إن الله قد أجارهم**"[٤٧٦]، ويفهم من جواب الأمير مهنا هذا، إنه لم يكن يهدف إلى تشكيل تحالف مع الأمير قراسنقر ضد السلطان الناصر، وأن مما يؤيد ذلك أمرين، أولهما قوله للأمير قراسنقر بعد أن منحه حمايته:"يا مير شمس الدين- وهو لقبه- أرميت روحك في النار الحمرا، وارميتنا معك"[٤٧٧]، ثم نصحه له بالرجوع إلى الطاعة والاعتبار بما حصل لأمراء سابقين خرجوا على السلطان الناصر، وكان ذلك سبباً في نكبتهم، واقتراحه عليه أن يعود إلى حلب طائعاً[٤٧٨]، وثانيهما أنه أرسل ابنه موسى موفداً إلى القاهرة وحمله كتاباً يشرح فيه له أن زوجته؛ أم سليمان منحت حق الجوار للأمير قراسنقر، وأنه يرجوه العفو عنه[٤٧٩]، وان يمنحه نيابة السلطنة في قلعة الروم بدلاً من مدينة حلب[٤٨٠]، كما حمَّل

---

(٤٧٤) ابن آيبك الدوادار، كنز الدرر، ص٢٢٠؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٩٦.

(٤٧٥) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٦، ٤٦٧.

(٤٧٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٤١.

(٤٧٧) ابن آيبك، كنز الدرر، ص٢٢٠.

(٤٧٨) المصدر نفسه، ص٢٢٠.

(٤٧٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٠٩.

(٤٨٠) ابن آيبك، كنز الدرر، ص٢٢٠.

ابنه هدية للسلطان ضمت حصاناً اشهباً -كان قد طلبه منه من قبل- وحجرة خضراء، وثلاثة مماليك[٤٨١].

امتثل الأمير قراسنقر لنصيحة الأمير مهنا بن عيسى، وتوجه إلى حلب، إلا أنه ما أن وصل إلى مشارفها حتى منعه حاكمها الأمير شهاب الدين قرطاي، مما اضطر الأمير مهنا إلى مساندته- باعتباره حامياً له حسب العرف العشائري-، حيث حضر على رأس خمسة وعشرين ألفاً من فرسانه إلى حلب ودخلها- على ما تقول الروايات على اختلاف بينها- بشكل قسري واستخلص أموال الأمير قراسنقر التي كان قد تركها فيها من قبل، كما اخذ أهل بيته الذين كانوا ما يزالون يقيمون فيها، ثم تحول عنها إلى مضاربه[٤٨٢].

تزامن مع هذا الحدث عودة الأمير موسى بن مهنا- موفد والده إلى السلطان- من مصر حاملاً عفوه عن الأمير قراسنقر وقبوله بتوليته أي البلاد شاء، إلا أن مهنا فوجئ بأن السلطان أرسل في ذات الوقت تجريدتين عسكريتين، وأنهما وصلتا إلى دمشق في طريقهما إلى مضاربه[٤٨٣].

شعر الأمير مهنا بالخطر على نفسه وعلى من هو في جواره، فتصرف بصيغة تؤمن له قدرة على التحرك في معالجة الموقف الجديد، فقام بإرسال ابنه

---

(٤٨١) ابن آيبك، كنز الدرر، ص٢٢٠.

(٤٨٢) ابن آيبك، كنز الدرر، ص٢٢١، ٢٢١؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٩٦؛ وقد أورد كل من المقريزي (السلوك ، ج٢، ق١، ص١٠٩)؛ وابن آيبك (كنز الدرر، ص٢٢١، ٢٢٢) روايتين أخرتين مختلفتين في بعض جوانبهما عما ذكر في المتن فقد ذكر المقريزي أن الأمير مهنا وجه تهديداً شديد اللهجة إلى الأمير قرطاي نائب حلب يأمره فيه بإخراج حواصل قراسنقر من حلب وإلا لجأ إلى استخدام القوة، فأذعن قرطاي، وأرسل كتاب مهنا طي كتابه إلى السلطان، وأطلق جزء من أموال قراسنقر، السلوك، ج٢، ق١، ص١٠٩، وذكر ابن آيبك أن الأمير مهنا لجأ إلى السياسة في تحصيل أموال قراسنقر بأن أرسل حاجبه محمد بن نصار بكتاب إلى صاحب حلب يأمره فيه بإطلاق جميع أموال قراسنقر وأهله لأن السلطان عينه نائباً له في مصر، كنز الدرر، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٤٨٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٩-١١٠.

موسى ثانية لمقابلة السلطان الناصر وإعلامه بعودة الأمير قراسنقر إلى الطاعة وأنه يرجوه الموافقة على تعيينه في نيابة صرخد، وأن يطلق له ما تبقى له من أموال في مدينة حلب[٤٨٤].

وافق السلطان الناصر على طلب الأمير مهنا، وأرسل تقليداً بنيابة صرخد للأمير قراسنقر حمله إليه الأمير أيتمش المحمدي[٤٨٥].

لم تؤتِ هذه المحاولة ثمارها، فقد برز وضع جديد نجم عن استقبال الأمير قراسنقر الموجود في مضارب الأمير مهنا، لعدد من أمراء المماليك، ممن كانوا على غراره يخشون بطش السلطان الناصر بهم، ثم اجتماعهم بموفده الأمير أيتمش المحمدي ومكاشفتهم له بحقيقة مشكلتهم مع السلطان والتي تتركز على تخوفهم من أن يبطش بهم ثم عددوا عليه من قتله السلطان من الأمراء، وأنهم قد خافوا على أنفسهم، وعزموا على الدخول إلى بلاد التتر (المغول) [٤٨٦].

معالجة للموقف الناجم عن هذا الاجتماع، قام الأمير مهنا بإرسال كتاب إلى السلطان حملة إليه أخوه الأمير فضل بن عيسى يستعطفه فيه العفو عن هؤلاء الأمراء وأن يعينهم في أماكن حددها له. وقد جاء في الكتاب قول الأمير مهنا:"**هؤلاء مماليكك، ومماليك أبيك، وكبار بيتكم، قد هربوا من الموت، ويسألوا أن تكف عنهم**"[٤٨٧]، مما يعني بوضوح تعاطفه الكبير معهم ونقده للسلطان فيما أشاعه بين أمراءه من هلع ودعر.

---

(٤٨٤) ابن آيبك، كنز الدرر، ص٢٢١-٢٢٢؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١١٠.

(٤٨٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١١٠.

(٤٨٦) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١١٠-١١١؛ انظر: ابن آيبك، كنز الدرر، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٤٨٧) المقصود بالأمراء: الأمير قراسنقر، والأمير الأفرم، والأمير الزردكاش، الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٦؛ وانظر حول مقترحات الأمير مهنا بصدد هؤلاء، المنصوري، التحفة الملوكية، ص٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٧؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٩٥؛ ج٥، ص٤٦٦؛ ابن آيبك، كنز الدرر، ص، ٢٢٥- ٢٢٧.

جاء جواب السلطان بالرفض، إلا فيما يخص الأمير قراسنقر، وأنه مستعد لتعيينه نائباً عنه في الشوبك[٤٨٨].

شكل هذا الرفض منعطفاً جديداً في العلاقات بين أمير عرب الشام الأمير مهنا وبين السلطان الناصر محمد، فقد شعر الأمير مهنا أنه والأمير قراسنقر الذي كان- كما هو معروف- تحت حمايته، وأولئك الأمراء الملتفين حوله والذين سبق أن تمت مكاتبته بصددهم، أصبحوا هدفاً لبطش السلطان، وقد دفعه هذا إلى أن يتجه في بحثه عن مأمن له ولهم، خارج إطار دولة الناصر محمد، فخاطب الإيلخان خدا بندا، حاكم الدولة المغولية الإيلخانية في كل من العراق وبلاد فارس، راجياً منه قبول لجوء الأمراء المشار إليهم إليه، وهو الأمر الذي رحب به الإيلخان[٤٨٩]، وعندها غادر الأمراء إلى بلاده ومعهم الأمير سليمان بن مهنا حاملاً معه الهدايا من الخيول الأصيلة، فقابلهم "بالإكرام والرعاية"، وخلع على الأمير سليمان[٤٩٠].

ومع أن الأمير مهنا ظل مقيماً في بلاد الشام، ينتقل بين مضاربه فيها، فقد اعتبره الصفدي أنه كان في هذا التاريخ (٧١٢هـ) داخلاً في طاعة الإيلخان خدانبدا وأن الأخير وعده بتوليته خفر الركب العراقي[٤٩١].

ويتفق هذا مع ما جاء في المصادر من أن الإيلخان خدابندا خصص أراضي الحلة والبصرة وسائر البلاد الفراتية لآل مهنا[٤٩٢].

---

[٤٨٨] المنصوري، التحفة الملوكية، ص٢٣٧؛ تضمنت مطالب الأمراء أن يعطي الأفرم الرحبة والزردكاش بهسنى، وقراسنقر قلعتي البيرة والروم رفض السلطان مطالبهم وأقر عنها أن تكون عجلون للأفرم والصلت للزردكاش، والصبيبة لقراسنقر؛ انظر: العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٣؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٩٥.

[٤٨٩] الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٦.

[٤٩٠] أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤١٤؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٣؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٦- ٤٦٧.

[٤٩١] الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٦.

[٤٩٢] أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤١٤؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٣؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٦- ٤٦٧.

بدأت علاقة الناصر محمد بأمير عرب الشام مهنا بن عيسى تتجه نحو التقاطع بعد الدور الذي أداه في حماية الأمير قراسنقر والأمراء الثائرين معه، وتدبير التجائهم إلى الدولة الإيلخانية؛ العدو التقليدي لدولة المماليك البحرية؛ إذ "اشتدت الوحشة بينه وبين السلطان.. وتظاهر [هو] بالمنافرة والمباينة والوحشة[٤٩٣]، على حد تعبير الصفدي.

لمواجهة هذا الموقف اتخذ السلطان الناصر الإجراءات التالية:

١. أصدر أمراً بعزل الأمير مهنا بن عيسى عن إمرة العرب، ومصادرة إقطاعاته وطرده من البلاد[٤٩٤].
٢. أصدر في جمادى الآخرة من سنة ٧١٢هـ تقليداً أعطى بموجبه إمرة عرب الشام إلى أخيه، الأمير فضل بن عيسى، في محاولة لعزله عن قبيلة ربيعة، وعن أولئك لم يكونوا على وفاق معه من آل فضل في إعطاء حق الجوار للأمير قراسنقر والذي كان على رأسهم الأمير الجديد[٤٩٥].

أمام هذه المتغيرات اقتنع الأمير مهنا بن عيسى بضرورة مغادرة بلاد الشام والانتقال إلى العراق تحت حماية الدولة الإيلخانية فاتجه إليها حيث استقبله الإيلخان خدابندا بترحاب كبير، وأنعم عليه[٤٩٦]، غير أنه أبقى الباب مفتوحاً بينه وبين السلطان الناصر بالإيعاز إلى ابنه موسى بالبقاء في بلاد الشام طائعاً للسلطان الناصر[٤٩٧].

لم تنجح خطة الناصر محمد في عزل الأمير مهنا عن آل فضل وغيرهم من عرب ربيعة، فقد شهدت بلاد الشام بعد رحيله قطعاً للطرق، وتعرضاً للقوافل التجارية من قبل أنصاره، مما أربك الوضع الداخلي ودفع بالناصر محمد إلى

---

(٤٩٣) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٦٧.

(٤٩٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٨١، دار الكتب العلمية.

(٤٩٥) الصفدي، أعيان، ج٥، ص٤٦٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٧٣- ٧٤.

(٤٩٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٨٢ (دار الكتب العلمية.

(٤٩٧) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤١٤.

التفاوض مع الأمير مهنا، فقد أرسل إليه موفداً عنه هو الشيخ صدر الدين ابن المرحل[٤٩٨].

التقى الشيخ المرحل بالأمير مهنا بن عيسى سنة (٧١٣هـ) على مقربة من حدود بلاد الشام مع العراق، وأخذ يرغبه بالعودة إلى البلاد وأن السلطان على استعداد لرد إقطاعه إليه إذا ما أذعن لذلك.

استجاب الأمير مهنا لذلك وبادر من جمادى الآخرة من السنة نفسها إلى إرسال ابنه الأمير موسى إلى القاهرة مصاحباً للأمير المرحل آنف الذكر، تأكيداً على استجابته لدعوة السلطان ودخوله في طاعته[٤٩٩].

استقبل الناصر محمد موسى بحفاوة، وأنزله القاعة الأشرفية في قلعة الجبل "**وأكرم إكراماً زائداً**"[٥٠٠].

وقد خطا الأمير مهنا خطوة أخرى نحو تأكيد رغبته بالعودة إلى بلاد الشام والدخول في طاعة السلطان، فأرسل إليه في ربيع الآخر من السنة نفسها، ابنه الآخر سليمان، محملاً بالقود[٥٠١].

رداً على استجابة الأمير مهنا هذه، أصدر السلطان الناصر أمراً بإعادة إمرة عرب الشام وإقطاعه إليه وزاده مائتي ألف دينار كما أرسل له بهدية مع ولديه المشار إليهما، وكلفهما أن يقنعا والدهما بالتوجه إلى القاهرة لزيارته.

لم ينجح الأميران عند عودتهما إلى بلاد الشام في إقناع والدهما الأمير مهنا بالتوجه إلى مصر، مما اضطر السلطان سنة ٧١٣هـ إلى إرسال موفد إليه هو

---

(٤٩٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٢٨ - ١٢؛ وانظر عن ابن المرحل (ت٧١٦ والمعروف أيضاً بابن الوكيل، النعيمي، عبدالقادر محمد بن عمر، الدارس في تاريخ المدارس، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ج١، ص٢١-٢٣، وسيشار إليه تالياً النعيمي، الدارس.

(٤٩٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٢٨، ١٢٩.

(٥٠٠) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٨، ١٢٩.

(٥٠١) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٢٩، ١٣٠.

الأمير بهاء الدين أرسلان لكي يحلفه على طاعة الدولة، ويدعوه إلى الحضور إلى القاهرة[٥٠٢].

جاء رد الأمير مهنا متناقضاً مع خطواته آنفة الذكر بصدد الدخول في طاعة السلطان، فقد رفض أن يؤدي اليمين بالطاعة، كما رفض الدعوة الموجهة إليه بالحضور إلى القاهرة "**فاشتد حنق السلطان منه**"[٥٠٣]، وقام باتخاذ عدد من الإجراءات لمعالجة الموقف الجديد، وهي

١. مصادرة إقطاعات الأمير مهنا، وعزله عن إمرة العرب وتعيين أخيه الأمير فضل بن عيسى محله[٥٠٤].
٢. أمر بطرد آل مهنا من بلاد الشام دون غيرهم من آل فضل؛ الفرع الذي ينتمون إليه، في محاولة من السلطان للتعامل معهم بشكل منفرد[٥٠٥].
٣. عمل على تحشيد عرب ربيعة ضدهم فكاتب آل فضل وآل مرا وآل علي، كما ألزم قبيلة بني كلاب لكي يقوموا مع العساكر المملوكية بمتابعة آل مهنا وإخراجهم من بلاد الشام[٥٠٦].
٤. خصص ألف فارس من مصر، ومثلهم معهم من بلاد الشام للقيام بمهمة ملاحقة آل مهنا وطردهم[٥٠٧].

قام نائب الشام الأمير تنكز بتنفيذ أوامر السلطان هذه، وتم تهجير آل مهنا قسراً سنة (٧١٤هـ)[٥٠٨]، وداهمت قوات النائب إقطاعاتهم في العنقاء والرحبة وسلمية

---

(٥٠٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٣١.

(٥٠٣) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٣١.

(٥٠٤) الصفدي، أعيان، ج٥، ص٤٦٧؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١١٨.

(٥٠٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٣٢.

(٥٠٦) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٣٢.

(٥٠٧) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٣٢.

(٥٠٨) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٣٨- ١٣٩.

وأخذت غلالها[٥٠٩]، بل أن هذه القوات ومن معها من عرب الشام المشار إليهم لاحقوا آل مهنا داخل الأراضي العراقية حتى مدينتي عانة والحديثة[٥١٠].

ومع أن إجراءات السلطان الناصر محمد هذه، كانت من الشدة بمكان، إلا أنه أبقى الباب مفتوحاً لأية خطوة قد تعيد آل مهنا إلى طاعة الدولة، لذا فقد استقبل في رجب من السنة التالية (٧١٥هـ) الأمير محمد بن عيسى، أخا الأمير مهنا الذي جاء متوسطاً في الحصول على عفو لأخيه[٥١١].

رحب السلطان الناصر بالأمير محمد وخلع عليه ووافق على السماح للأمير مهنا وآله بالعودة إلى بلاد الشام وأرسل له مع أخيه أثني عشر ألف دينار، كما منحه مائتي ألف درهم، وكتب له ضيعة خاصة باسمه[٥١٢].

من الواضح أن السلطان الناصر أراد بإجراءاته هذه أن يفتح الطريق أمام الأمير مهنا لتصحيح علاقته به ولكي يبعده عن الارتباط بالدولة المغولية الإيلخانية؛ العدو التقليدي لدولة المماليك البحرية.

ويبدو أن الأمير محمد قام بخطوته هذه دونما تنسيق مع أخيه الأمير مهنا، يدل على ذلك أمران، أولهما ما تزامن مع زيارته هذه من قيام الأمير سليمان بن مهنا بنهب القريتين في شعبان من سنة (٧١٥هـ)[٥١٣]، ثم قيامه في السنة التالية بمهاجمة منطقة تدمر وممارسة أعمال سلب فيها[٥١٤]، وثانيهما رفض الأمير مهنا ما عرضه عليه أخوه بعد عودته من مصر بشأن الوساطة بينه وبين السلطان[٥١٥].

يتضح من إصرار الأمير مهنا على عدم تلبية دعوة السلطان الناصر له بزيارة القاهرة، أنه كان مقتنعاً بأن الهدف وراءها الإيقاع به، لذا فقد رفض في السنة نفسها

---

(٥٠٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٣٩.

(٥١٠) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٣٩.

(٥١١) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٤٤.

(٥١٢) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٤٤.

(٥١٣) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٤٥.

(٥١٤) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٢٢.

(٥١٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٢٥.

الاستجابة للرسالة التي حملها موفد من السلطان إليه، وهو الأمير بهاء الدين أرسلان، والتي تركزت على إقناعه بالمثول بين يدي السلطان[٥١٦].

ويلاحظ هنا أن كلاً من السلطان الناصر محمد والأمير مهنا، كانـا يتبعـان أسلوب المناورة مهما اشتدت العلاقة بينهما سوءاً فلا يقفلان الأبواب بينهما، فهذا ما فعله الناصر في حالات عديدة مما أشير إليه في الصفحات السابقة[٥١٧]، هو ما يتضح هنا في موقف الأمير مهنا، فإنه مع موقفه المتشدد ورفضه للـدخول فـي طاعـة السلطان، ظل حريصاً على إبقاء ابنه موسى خارج إطار صراعه مع السلطان، وقد شجع هذا الأمير موسى على اتخاذ موقف مخالف لموقف ابنه من السـلطان ومـن المهمة التي جاء من أجلها الأمير بهاء الدين أرسلان، فقد التقى به قرب مدينة سلمية وأعلن طاعته للسلطان الناصر[٥١٨].

في ضوء هذه التطورات، استقبل السلطان في القاهرة في ربيع الآخر من سنة (٧١٦هـ) كلاً من الأمير فضل بن عيسى، وأقره في أمرة العرب بدلاً من أخيـه مهنا، كما استقبل الأمير موسى بن مهنا ومنح كلاً منهما اقطاعات في صيدا[٥١٩].

استمر الأمير مهنا بن عيسى على تأكيد علاقته بالدولة المغولية الإيلخانية، فقد التقى في جمادى الآخرة من سنة (٧١٦هـ) بالإيلخان المغولي خدابنده[٥٢٠]، غير أنه بدأ يغير من خططه بعد وفاة الإيلخان المفاجئة في السنة نفسها، ويحاول الاقتراب من السلطان الناصر محمد، لذا فقد شهدت السنوات (٧١٦- ٧٢٠هـ) محاولات عديدة في هذا الاتجاه بذلها آل مهنا من جهة، ورحب بها السلطان الناصر من جهة أخرى، وهي:

---

(٥١٦) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٢٣.

(٥١٧) انظر أعلاه ص ١٠٠-١٠٢.

(٥١٨) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٢٣، المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٦٠- ١٦٣.

(٥١٩) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٧٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٦.

(٥٢٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٦، دار إحياء التراث؛ أبو الفـداء، المختصـر، ج٢ص٤٢٥.

١. استقبل السلطان بارتياح قيام الأمير محمد بن عيسى، الذي كان ممن التجأ إلى الدولة الإيلخانية، بمهاجمة قوات مغولية كان الإيلخان خدابندا قد وجهها قبيل وفاته إلى الحجاز لنصرة الشريف حميضة الذي استجار به لإعادته إلى حكم مكة الذي كان قد عزل عنه، إذ لم يكن التدخل الإيلخاني مقبولاً من دولة المماليك البحرية التي تعتبر الحجاز تابعاً لها، لذا فقد قدر السلطان الدور الذي قام به الأمير محمد وبخاصة أنه كان يصيح باسمه، وهو يهاجم القوات المشار إليها، فاستدعاه إلى القاهرة وشمله بانعاماته[٥٢١].

٢. أوفد الأمير مهنا بن عيسى أواخر سنة (٧١٦هـ) أخاه الأمير محمد وابنه موسى بن مهنا إلى القاهرة للحصول على عفو السلطان عنه، فاهتم بهم السلطان وأنزلهم بالقصر الأبلق و"**شملهم بالإحسان**"، واعتب مهنا ورده على إمارته وإقطاعه"[٥٢٢]، وقد ترتب على هذا عودة مهنا إلى بلاد الشام وتوجهه مع أخيه محمد إلى الحج في السنة التالية (٧١٧هـ) على رأس قافلة كبيرة من حجاج آل فضل، تكونت من اثنتي عشر ألف راحلة[٥٢٣].

وقد تعززت العلاقة بين آل مهنا والناصر محمد سنة (٧١٩هـ) بعودة الأمير سليمان بن مهنا إلى بلاد الشام بعد سنوات طويلة قضاها مقيماً لدى المغول ثم توجهه

---

(٥٢١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٤٨؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٣٠٤-٣٠٥؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٢٦.

(٥٢٢) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٨، ويلاحظ أن رد الأمير مهنا بن عيسى إلى أمرة عرب الشام، أثار حفيظة أخيه الأمير فضل بن عيسى الذي كان يشغلها قبله، فخرج عن طاعة السلطان والتحق أوائل سنة ٧١٨هـ بالإيلخان بوسعيد ولقيه كما التقى نائبه الأمير جوبان، وكذلك الأمير المملوكي الثائر ضد الناصر محمد (قراسنقر)، مما شكل مؤشراً نحو معضلة جديدة واجهت الناصر محمد، انظر: أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٢٩.

(٥٢٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٩٥، دار إحياء التراث؛ وانظر ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٥٢٨؛ المقريزي، السلوك، ج٢ ق١، ص١٧٨.

إلى القاهرة ومقابلته السلطان الناصر الذي أكرمه وأنعم عليــه بــالأموال والهــدايا الثمينة[٥٢٤].

ويبدو أن السلطان الناصر محمد كان يتوقع أن يقوم الأمير مهنا بن عيســى بزيارته بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على عودة العلاقات الطبيعية بينهما، إلا أنه لم يفعل، ولم يغن عن ذلك حضور أبنائه: موسى وسليمان وفياض وأحمد وحيــار، مجلس السلطان سنة (٧٢٠هــ)[٥٢٥]، مما أدى كما يقول المؤرخ ابن كثير إلى غضب السلطان على آل مهنا.

والواقع أن الناصر محمد اتخذ إجراءات صارمة ضد الأمير مهنا وآله بــل وضد عرب آل فضل الذين يشكلون القوة الأساس بين فروع قبيلة ربيعة، وهي:

١. عزل الأمير مهنا عن أمرة العرب مع التحوط على إقطاعاته (خبــزه*)[٥٢٦]، وقطع الميرة عنه[٥٢٧].
٢. أعطى أوامره بطرد الأمير مهنا وآله وكل آل فضــل معــه خــارج بــلاد الشام[٥٢٨].
٣. نقل أمرة العرب مع آل فضل إلى آل علي واختار لها الأمير محمد بن أبــي بكر بن علي بن حديثة وسلمه كل إقطاعات الأمير مهنا[٥٢٩].
٤. وجه قوات عسكرية مصرية وشامية بقيادة الأمير سيف الدين قجليس لتنفيــذ مهمة طرد آل مهنا وآل فضل[٥٣٠].
٥. طلب من القبائل العربية الشامية الأخرى المشاركة في تنفيذ خطته هذه[٥٣١].

---

(٥٢٤) اليوسفي، نزهة الناظر، ص١٩٩ - ٢٠٠؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٩٤.

(٥٢٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٠١.

(٥٢٦) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٤٣٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١١٠، دار إحياء التراث.

(٥٢٧) ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٣٨٤.

(٥٢٨) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٤٣٥.

(٥٢٩) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٤.

(٥٣٠) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٣٥.

وقد تم تنفيذ هذه المهمة وكان من أوائل من تم طردهم أثنان وسبعون أميراً من أولاد الأمير مهنا وأتباعه الذين كانوا في سلمية، وقد لوحق هؤلاء وغيرهم من آل مهنا وآل فضل داخل الأراضي العراقية ثم تفرقوا في مناطق متعددة منه(٥٣٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تحولاً مفاجئاً كهذا الذي عبرت عنه هذه الخطوات، لم تكن معتاداً في سياسة الناصر محمد تجاه القبائل العربية وبخاصة مع آل فضل وآل مهنا، فقد حرص دوماً على إبقاء الخطوط مفتوحة معهم حتى في الحالات التي اكتنفها تقاطع في المصالح، ومن هنا فإن من الصعوبة بمكان قبول التبرير الذي ذكره ابن كثير والذي يرتبط بعدم قدوم الأمير مهنا بن عيسى لزيارته، أدى إلى غضبه عليهم جميعاً(٥٣٣)، كما أن من غير الممكن قبول التفسير الذي قدمه أبو الفداء والذي اعتبر فيه أن السبب في غضب الناصر على آل مهنا نجم عن "**سوء صنيعهم**"(٥٣٤)، ذلك أن علاقات الدولة معهم خلال السنوات الأربع التي سبقت هذه التطورات لم تعكس شيئاً من ذلك؟

كما أن ما علل به ابن خلدون هذا التغير في سياسة الناصر محمد تجاه آل مهنا والذي أرجعه إلى أن الأمير مهنا "**رجع إلى ديدنه في ممالأة المغول**"(٥٣٥)، وأن ذلك "**اتصل منه.. فنقم السلطان عليه**"(٥٣٦)، يصعب قبوله، ذلك أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أية اتصالات بين الأمير مهنا بن عيسى والمغول في حدود سنة (٧٢٠هـ) التي شهدت التغير المشار إليه في سياسة الناصر محمد.

ومهما يكن من أمر، فإن هذه التطورات أدخلت العلاقة بين المماليك وقبيلة ربيعة بعامة وآل فضل بخاصة في مرحلة حرجة.

---

(٥٣١) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٣٥.

(٥٣٢) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٣٥، ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٤٨٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص١٠٦ - ١٠٧؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٠٨.

(٥٣٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١١٠ دار إحياء التراث العربي.

(٥٣٤) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢١٤.

(٥٣٥) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٢٨.

(٥٣٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٢٨.

لم يأخذ قرار الناصر محمد بطرد آل مهنا وآل فضل من بلاد الشام طريقة إلى التنفيذ بشكل كلي، ذلك أن المصادر أشارت إلى أن كلاً من الأمير حديثة بن عيسى ومحمد بن عيسى، أخوتي الأمير مهنا ظلا في بلاد الشام ولم يغادراها[٥٣٧]، أما الأمير مهنا بن عيسى نفسه، فقد ظل في بلاد الشام، وظل عربه يقلقون الدولة المملوكية بهجماتهم على قوافل الحجاج والتجار[٥٣٨]، وبخاصة تلك التي قادها ابنه الأمير سليمان سنة (٧٢٠هـ)[٥٣٩]، وهو الأمير الذي أدى بالناصر محمد إلى استدعاء الأمير سيف بن فضل لكي يقنع والده، بالضغط على الأمير مهنا لكي يكف عن الهجمات المشار إليها[٥٤٠]، قام الأمير فضل بايصال صوت السلطان إلى الأمير مهنا الذي قام هو الآخر بإرسال ابنه الأمير موسى إلى القاهرة معرباً عن حسن نيته وأنه لم يتعرض إلى ركب الحجاج بسوء[٥٤١].

ويبدو أن مما ساعد آل مهنا وآل فضل على عدم الاكتراث بقرار الطرد الذي أصدره الناصر محمد بحقهم، هو انتشارهم الواسع عبر بلاد الشام وعبر البلاد المجاورة شرقاً وجنوباً.

وفي حين ساعد وضع الناصر محمد في أولى أولوياته لعقد صلح مع الدولة الإيلخانية المغولية سنة (٧٢٠هـ)، شرطاً "**لا يمكن عرب آل عيسى من الدخول إلى العراق**"[٥٤٢]، على تعويق قراره بطردهم من بلاد الشام، فإنه لم يؤد إلى التزام به من قبل الطرف الثاني، الدولة الإيلخانية، فقد رحبت بلجوء الأمير مهنا بن عيسى إليها سنة (٧٢١هـ)، بل إن الإيلخان بوسعيد سَيَّرَ إليه القراولية* لاستقباله، وكلف النواب

---

(٥٣٧) اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٠٠.

(٥٣٨) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٥٩.

(٥٣٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٠٩.

(٥٤٠) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص٢٠٩- ٢١٠.

(٥٤١) المصدر نفسه والصفحة.

(٥٤٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٠٩- ٢١٠.

بإكرامه واحترامه، فلما وصل الأمير إلى بلادهم "**ركب له الأمراء، ودخل بوسعيد وتلقاه وأكرمه ورحب به**"[٥٤٣].

لم تستطع خطوات الناصر محمد تجاه آل مهنا وآل فضل أن تحجم دورهم، كما أن الصلح الذي عقده مع الدولة الإيلخانية المغولية سنة (٧٢٠هـ)، لم يحقق ذلك رغم أنه كان من أبرز أهدافه، فقد ظلوا طوال أربعة عشر عاماً بعد التاريخ المشار إليه (٧٢٠- ٧٣٤هـ) يواصلون سياسة الاقتراب تارة والابتعاد أخرى وهم في حماية الدولة الإيلخانية، كما أن السلطان الناصر محمد لم يتخل -مع تشدده معهم- عن سياسته في احتوائهم، وهو ما يلاحظ في قيام الأمير مهنا بإرسال أخيه محمد بن عيسى، وابنه موسى إلى القاهرة سنة (٧٢٢هـ) يحملان (القود)* إليه[٥٤٤]، كما يلاحظ في قيام السلطان الناصر باستقبالهما بحفاوة إكراماً وانعاماً[٥٤٥]، كما قبل شفاعة الأدر السلطانية* في الأمير فضل بن عيسى في السنة ذاتها وأعاد الأمرة إليه بدلاً من محمد بن أبي بكر[٥٤٦]، يعني هذا أن الأمير مهنا وعلى الرغم من وجوده في حماية الدولة الإيلخانية كان يريد الاحتفاظ بعلاقة مزدوجة مع المغول الإيلخانيين من جهة، ودولة المماليك من جهة أخرى، وهو أمر لم يكن ليقبله السلطان الناصر رغم احتفائه بموفدي الأمير مهنا إليه. إن هذا ما يفسر عدم رضى السلطان عن عودة الأمير مهنا إلى بلاد الشام سنة (٧٢٤هـ)[٥٤٧]، وبقائه فيها حتى سنة(٧٢٧هـ)، دون أن يتمخض

---

(٥٤٣) اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٠١.

(٥٤٤) الذهبي، ذيول العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١١٦؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤١؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٥٨؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٦٦.

(٥٤٥) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤١؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٤٦.

(٥٤٦) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٣٨.

(٥٤٧) توفي في هذه السنة أخوه محمد بن عيسى، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١١٦، دار إحياء التراث العربي؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٣٨.

ذلك عن قدومه لزيارته، وأصداره أوامر إلى عساكره في مدينة حماة للتحرك نحوه ونحو عربه لطردهم من البلاد[٥٤٨].

شهدت السنوات التالية تقارباً بين الناصر محمد وعدد من أمراء آل مهنا وآل فضل، فقد دخل في طاعة السلطان سنة (٧٣٠هـ) الأمير سليمان بن مهنا بعد أن أمضى سبعة عشر عاماً بين المغول الإيلخانيين، فأمر له بإقطاع وأنعم عليه[٥٤٩]، كما شهدت القاهرة بعد سنتين من هذا التاريخ (٧٣٢هـ) قدوم أمراء آل فضل وآل مهنا إلى القاهرة يحملون (التقادم)* للسلطان الناصر الذي رحب بهم وأمر بأن يرافقه أحدهم وهوم الأمير موسى بن مهنا في رحلته إلى الحج[٥٥٠].

ليس من شك أن اختيار السلطان للأمير موسى، كان إشارة منه إلى استعداده لإعطاء آل مهنا دوراً ملحوظاً إذا هم دخلوا في طاعته.

استفاد الناصر محمد من هذا التوجه لدى بعض أمراء آل مهنا وآل فضل، بالعودة إلى طاعة الدولة، وبدأ بخطط لجر أميرهم مهنا بن عيسى للتخلي عن ارتباطه بالدولة الإيلخانية، ويبدو أنه استطاع الاستعانة في ذلك بشخصيتين إيلخانيتين، وهما الوزير الإيلخاني جوبان، والتاجر العراقي القريب من الدولة الإيلخانية مجد الدين السلامي، وقد ساعداه فعلاً في نقل أخبار الأمير مهنا إليه، غير أن أهم ما كشفه له أحدهما، وهو المجد السلامي، حوار تم بين الأمير مهنا وبين الإيلخان (السلطان) بوسعيد أظهر فيه الأمير حرصه على عدم مجاراته للإيلخان فيما كان يلمح إليه مدى رغبة في نقض الصلح مع دولة المماليك البحرية[٥٥١]، وقد نقل المؤرخ اليوسفي نص هذا الحوار الذي جاء فيه:

---

(٥٤٨) الذهبي، ذيول العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١١٦؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤١؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٥٨؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٦٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٤٣.

(٥٤٩) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٤٣١.

(٥٥٠) المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٥٨، دار الكتب العلمية.

(٥٥١) انظر: اليوسفي، نزهة الناظر، ص٨٨-٨٩، ٢٠٢-٢٠٣.

"سؤل الأمير مهنا بحضرة الخان أبي سعيد من أجل استشارته في دخول الشام قائلاً:"أيش رأي الأمير [مهنا] في عبوري بعسكر إلى الشام وأيش صفة بلادها، وأيش تشير علي هل أبقى على صلح الملك الناصر أولاً؟... ولم يبلغ أبو سعيد منه مقصوده وعند خروجه من الأردو كتب [مجد الدين السلامي إلى الناصر] صحبة مملوكية يعرف السلطان أن مهنا خرج من عند أبو سعيد وحكى كيفية خروجه.. ففرح السلطان بذلك"(٥٥٢).

كان لهذا الخبر وقعه الكبير على الناصر محمد فهو يؤكد ما اعتاد أن يردده الأمير مهنا من أنه بالتجائه إلى المغول الإيلخانيين، إنما كان من أجل الحصول على حمايتهم(٥٥٣)، وإن مما يؤكد موقف الأمير مهنا هذا، هو ظهوره المفاجئ في بلاد الشام سنة (٧٣٤هـ)، وتوجهه إلى الملك الأفضل صاحب حماة، الذي بادر على الفور بإعلام نائب السلطنة في الشام الأمير تنكز بوصوله وأنه عاد طائعاً وهو على نية السفر إلى القاهرة لزيارة السلطان(٥٥٤).

توجه الأمير تنكز إلى لقائه وأعد له استقبالاً حافلاً **"وأكرمه وأنزله بالقصر الأبلق في دمشق، ثم توجه منها بعد يومين إلى القاهرة"**(٥٥٥).

تعد عودة الأمير مهنا بن عيسى إلى بلاد الشام في ذي الحجة من سنة (٧٣٤هـ)، وزيارته للسلطان الناصر محمد في مصر في الشهر نفسه، انتصاراً لسياسة دؤوبة اتبعها الناصر محمد تجاهه طوال أربعة وعشرين سنة (٧١٥-٧٣٤هـ)، تركز فيها جهده على الإيفرط فيه وأن يبعده كلما استطاع إلى ذلك سبيلا عن أن يكون أداة بيد أعداء الدولة(٥٥٦)، والواقع أن الأمير مهنا، وعلى الرغم من أتهام

---

(٥٥٢) اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٠٣.

(٥٥٣) المصدر نفسه ، ص٢٠٤.

(٥٥٤) المصدر نفسه، ص٢٠٤.

(٥٥٥) المصدر نفسه، ص٢٠٤.

(٥٥٦) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص٢٤٨، ٢٦٤؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٠٤-٢٠٥، ٢٨٠/ ٢٨٢؛ ابن آيبك، كنز الدرر، ص٣٧٩؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٢١؛ ابن تغري، الدليل الشافي، ج٢،/ ص٧٤٧.

عدد من المؤرخين له بتحريض المغول على غزو بلاد الشام، لم يظهر منه ما يدل على ذلك، كما أنه في آخر لقاء له مع الإيلخان (السلطان) بوسعيد لم يتجاوب مع ما أوحى له به عن فكرة لغزو بلاد الشام[٥٥٧].

لم يبق الأمير مهنا في أمرة العرب أكثر من أحد عشر شهراً (ذي الحجة ٧٣٤- ١٨ ذي القعدة ٧٣٥هـ) في هذه الحقبة من إمرته، فقد توفي ١٨ ذي القعدة من سنة ٧٣٥هـ[٥٥٨]، وقد اختار الناصر محمد ابنه الأمير موسى خلفاً له في أمرة عرب الشام، وهو شخصية كانت تحتفظ بعلاقات متميزة مع الدولة حتى في الحالات التي كانت فيه العلاقات المملوكية مع آل مهنا غير طبيعية[٥٥٩]، ولم يخرج عن ذلك سوى قيام الناصر محمد بقطع إقطاعات آل مهنا وآل فضل عنهم سنة (٧٣٧هـ)، لاتهامهم بقطع الطرق التجارية والاستيلاء على أموال الناس، ثم تراجعه عن ذلك إثر مراسلات تمت بين الأمير موسى بن مهنا والسلطان الناصر، ثبت فيها أن الاتهام لم يكن يستند إلى أساس صحيح[٥٦٠].

ولعل الحدث الوحيد الذي شكل خروجاً على هذه الحالة من الاتساق، من جانب آل مهنا، هو قيام أخ للأمير موسى، وهو الأمير حيار بالتوجه سنة (٧٣٨هـ) إلى الدولة الجلائرية في العراق وبلاد فارس؛ وهي الدولة التي قامت على أنقاض الدولة الإيلخانية، له وقتاً من قبل هذا التاريخ[٥٦١]، ومع أن الشيخ حسن الكبير، حاكم ومؤسس هذه الدولة، استقبل الأمير حيار وأصدر له تقليداً بإمرة العرب، وخطط

---

(٥٥٧) اليوسفي، نزهة الناظر، ٢٠٣.

(٥٥٨) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص٢٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٩٦-١٩٧؛ ابن تغري، الدليل الشافي، ج٢، ص٧٤٧.

(٥٥٩) انظر: الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٩٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٢٥؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٣٥، ٦١٥؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٦٢، ٧٦؛ ابن حبيب، درة الاسلاك، ٣٣٨.

(٥٦٠) اليوسفي، نزهة الناظر، ص٣٣٨؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٤٠٧- ٤٠٨.

(٥٦١) انظر المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٢٤٢.

للاستفادة منه في حملاته العسكرية، إلا أن الأمر لم يأخذ أية أبعاد سياسية، نظراً لتحسن العلاقة بينه وبين المماليك في ذات السنة التي التجأ فيها الأمير حيار إليه، كما أن الأمير موسى بن مهنا، أمير عرب الشام.

لم يتأثر بتصرف أخيه فقد قام في السنة ذاتها بزيارة السلطان الناصر محمد وقدم له التقادم* الذي قدرت قيمته بخمسمائة ألف درهم، فأكرمه على ذلك وأنعم عليه بعشرين ألف درهم أخرى[٥٦٢]، كما نفذ سنة (٧٤٠هـ) أوامره بتعقب الأمير تنكز نائب الشام، الخارج عن طاعته، فأمر "**العربان بأخذ الطرقات عليه من كل جانب**"[٥٦٣].

يتضح مما سبق أن الناصر محمد ظل ملتزماً خلال حقبتي حكمه الثانية والثالثة سياسة احتواء قبيلة ربيعة وبخاصة فرعها الرئيس من آل فضل، كما أن القبيلة نفسها أظهرت تجاوباً مع سياسته هذه، وهو أمر ظلت تلتزم به حتى عندما كانت على غير وفاق معه، فهل كان الوضع كذلك مع القبائل العربية الشامية الأخرى؟ هذا ما تحاول الدراسة الإجابة عليه في الصفحات التالية.

الناصر محمد وسياسته في احتواء القبائل العربية الشامية الأخرى:

على الرغم من أن الناصر محمد ركز في سياسته تجاه القبائل العربية الشامية على قبيلة ربيعة، فإنه لم يغفل غيرها؛ ونعني بذلك عرب الكرك وعرب بني عقبة وبني مهدي وبني زهير وعرب حوران وعرب زبيد والتنوخيين، وعرب العشير.

وإذا كان الثقل السكاني والامتداد الجغرافي لقبيلة ربيعة وما ترتب عليه من تأثير سياسي هو ما دفع بالسلطان الناصر محمد للتركيز عليها، فإن انتشار القبائل العربية الشامية الأخرى في مواقع مترامية في بلاد الشام؛ شمالاً ووسطاً وجنوباً، أعطاها قدرة على التأثير في الساحة الشامية سلباً أو إيجاباً، وقد كان هذا مبرراً كافياً لكي يتنبه الناصر محمد إلى أهمية هذه القبائل ، فهل أخذ ذلك بنظر الاعتبار؟

---

(٥٦٢) الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٩٧؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٣٥.

(٥٦٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٨٥، دار الكتب العلمية.

الناصر محمد وسياسته في احتواء عرب الكرك:

ارتبط الناصر محمد بالقبائل العربية في جنوبي بلاد الشام منذ أن كان يافعاً في الخامسة عشرة من عمره عندما أرسل مع والدته للإقامة في قلعة الكرك الواقعة إلى الشرق من البحر الميت سنة (٦٩٧هـ)، فقد بقي في كنفها قرابة سنة قبل أن يستدعي من قبل كبار أمراء المماليك في مصر لتولي السلطنة سنة (٦٩٨هـ)[٥٦٤]، وقد تكررت إقامته في هذه القلعة عندما وصلها سنة (٧٠٨هـ) واتخذها مقراً يحكمه لعدة أشهر قبل أن يعزل عن السلطنة في السنة نفسها، كما أنه آثر البقاء فيها بعد عزله ليطلق منها ثورته ضد خصومه في مصر، وهي الثورة التي أعادته إلى السلطنة سنة (٧٠٩هـ)[٥٦٥].

وقد كان من أولى خطواته وثورته هذه سعيه لكسب عرب الكرك الذين استدعى شيوخهم وأوعز إلى أحد رجاله[٥٦٦]، أن يستحلفهم بالولاء له، فاستجابوا وساهموا في تحصين قلعة الكرك وجلب الحجارة اللازمة لذلك من الوادي المجاور[٥٦٧].

ظل عرب الكرك على ولائهم للناصر محمد طوال عهده، وقد شجعه هذا على إرسال أول أبنائه، الأمير أحمد، للإقامة بينهم، وليتربى معهم، وأعقب ذلك بإرسال أولاده الثلاثة، إبراهيم وأبو بكر ورمضان ليتدربوا على أعمال الفروسية والصيد بين ظهرانيهم[٥٦٨].

---

(٥٦٤) غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٤٥.

(٥٦٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٢٢، دار الكتب العلمية؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة، تحقيق ودراسة وتعليق نبيل محمد عبدالعزيز، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧، ص٥٨؛ وسيشار إليه تالياً: ابن تغري بردى، مورد اللطافة.

(٥٦٦) هو الأمير جمال الدين آقوش، نائب السلطنة في الكرك.
انظر المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٢٣.

(٥٦٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٤٢ - ٤٤٣؛ وجاء فيه قوله.

(٥٦٨) الحسو، الكرك..، ص١٤٥.

ولم يشذ عن صورة الولاء هذه سوى ما شهدته منطقة الكرك من قيام بني نمير وغيرهم من خروج على الدولة سنة (٧١٧هـ) فقد تحصنوا في قلعة سلع في وادي موسى وفي الجبال القريبة منها، وهنا لم يتأخر الناصر محمد عن مواجهتهم فقد سير إليهم عشرة آلاف فارس بقيادة الأمير سنجر الجاولي فحاصروهم مدة عشرين يوماً ثم اقتحموا عليهم القلعة وقتلوا منهم ستين رجلاً، مما سماهم المقريزي "**العرب المفسدين**"[٥٦٩].

الناصر محمد وسياسته في احتواء قبيلة بني عقبة:

أدرك الناصر محمد أهمية قبيلة بني عقبة ذات الانتشار الواسع بين الكرك والعقبة وعبر الطريق الممتدة إلى الحجاز، فعمل على احتوائها بما قدمه من إقطاعات وإنعامات إلى أمرائها وعلى رأسهم أميرها شطي بن عبيه الذي حظى هو وأولاده وأخوه عساف بإقطاعات قررها لهم السلطان عند زيارتهم له في موسم الحج سنة (٧٢٠هـ)[٥٧٠].

اتصل عطاء السلطان للأمير شطي ثانية وفي السنة نفسها عندما زاره في القاهرة، فقد ساواه في المكانة والإقطاعات مع أمراء آل فضل وآل مرا، وقد كان لهؤلاء المرتبة الأولى في العطاء بين قبائل العرب، كما أقطعه في لقائه هذا ضيعة خاصة به، و"**عمر له ولأهله البيت والخباء**"[٥٧١]، وكان يخلع عليه الأطلس الأحمر والطرز الزركش كلما قدم عليه لزيارته، مما جعله من المقربين إليه[٥٧٢].

---

(٥٦٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٠١-٢٠٢؛ انظر: غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٩٦- ١٩٧.

(٥٧٠) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٠١- ٢٠٢.

(٥٧١) العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ص١٣٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٣٣٥.

(٥٧٢) الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٥١٩، وجاء فيه قوله أن السلطان الناصر محمد "ادناه- أي الامير شطي- منه".

وقد وضع بنو عقبة أنفسهم في خدمة السلطان الناصر والتزموا بمـــا كـــانوا مكلفين من درك البلاد التي ينتشرون فيها[٥٧٣].

ولم يقتصر خفرهم لطرق البلاد على تأمين سلامة مواكب الحجاج والتجار، بل كانوا يقومون بما تقتضيه السياق السلطاني* باستقبال السلطان وكبار الأمراء كلما قدم إلى الحج أو عاد منه إظهاراً لولائهم له، بل أن ذلك شمل كبار رجال دولته ومنهم الأمير بشتاك، فقد خرج لاستقباله عند عودته من الحج سنة (٧٤٠هـ)، أربعمائـــة فارس من فرسان القبيلة كان على رأسهم الأمير شطي بن عبية الذي قـــام بواجـــب الضيافة له ولمن معه ثم رافقه في عودته حتى مدينة العقبة[٥٧٤]، كما أن مما التزم به بنو عقبة تنفيذ أوامر السلطان بمراقبة أعدائه أو أولئك الذين كان يشك في ولائهم له، وهو ما فعلوه عندما أمرهم سنة (٧١١هـ) بمراقبة الأمير قراسنقر ومتابعة تحركاته والأعلام بها أبان توجهه إلى الحج[٥٧٥].

الناصر محمد وسياسته في احتواء القبائل المتاخمة للحدود الشامية المصرية:

امتدت قبائل جذام وثعلبة والعايد في المناطق الجنوبية من بلاد الشام استمراراً حتى حدودها مع مصر، مما جعل لها أهمية بالغة فهي تسيطر على طـــرق حيويـــة تربط بني جناحي الدولة المملوكية؛ مصر والشام، إلى جانب مرور قوافل التجـــار والحجاج خلالها.

لم تقدم المصادر عن هذه القبائل في هذه الحقبة إلا معلومات مقتضبة، لذا لم ينته البحث إلى معرفة أسماء أمرائها أو شيوخها، إلا في حدود ما ذكره المؤرخ ابن آيبك المتوفى سنة (٧٣٦هـ) من أن العادة كانت جارية بقيام السلطان بتعيين أميـــر على كل منها ويخصص أخبار (إقطاعات) لهم[٥٧٦].

---

(٥٧٣) ابن آيبك، كنز الدرر، ص١١٤-١١٥.

(٥٧٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٦٣، دار الكتب العلمية.

(٥٧٥) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٠٦، ٤٠٧؛ المنصوري، التحفة الملوكيـــة، ص٢١٩-٢٢٠، ٢٣٥.

(٥٧٦) ابن آيبك، كنز الدرر، ج٩، ص١١٦.

ويبدو أن هذا ما كان سائداً زمن الناصر محمد، وأن هذه القبائل كانت قد أخلت بالتزاماتها تجاه الدولة قبل سنة (٧٠٢هـ) من حيث قيام جماعات منها بممارسة تزويرات تقدم إلى ديوان الإقطاع تؤمن لهم إقطاعات خارج السياق المعمول به، واستخدام الرشوة من الخيول والأغنام التي تقدم لبعض أمراء المماليك للوصول إلى ذلك.

وقد أدى هذا إلى التفريط بواجب خفر الطرق وحولها إلى معابر لتهريب السلع ولعبور المعادين للدولة والمتجسسين عليها[٥٧٧].

اطلع السلطان الناصر محمد على هذا الوضع سنة (٧٠٢هـ)، وحاول أن يتفهم الأسباب الكامنة وراء ذلك بعيداً عن أية إجراءات عقابية، وهو ما يفهم من طبيعة الإجراءات التي اتخذها حلاً لذلك وهي:

١. عين كاشفاً على القبائل الثلاث، جذام وثعلبة والعايد[٥٧٨].
٢. خفف الالتزامات التي كان على قبيلتي جذام وثعلبة القيام بها فاعفاهما من تحمل مسؤوليتي منزلتين من المنازل، وجعل دركهم- أي المناطق المسؤولين عن حمايتها- منحصراً بالمنطقة الممتدة من السعيدية حتى الخروبة*. مما خفض عدد المنازل التي كانوا مسؤولين عنها من سبع عشرة منزل إلى خمس عشرة[٥٧٩].
٣. ألزم القبيلتين بحفر الطرقات وبوضع عشرة خيول في كل منزلة من المنازل الخمس عشرة في خدمة بريد الدولة، كما ألزمهم بالسياق السلطاني؛ أي بالخدمات التي يجب أن تقدم عند مرور موكب السلطان في أراضيهم[٥٨٠].
٤. وضع ما كان عليهم من تقادم عن السنوات السابقة، والالتزام بذلك سنوياً مستقبلاً[٥٨١].

---

(٥٧٧) ابن آيبك، كنز الدرر، ص١١٦.

(٥٧٨) المصدر نفسه، ص١١٤.

(٥٧٩) المصدر نفسه، ص١١٤.

(٥٨٠) المصدر نفسه، ص١١٦.

(٥٨١) المصدر نفسه، ص١١٦.

أما إجراءات الناصر محمد تجاه عرب العايد فقد اقتصرت على تكليفهم بخفر الطريق البدرية وجعل دركهم يمتد حتى العقبة، إدراكاً منه لخطورة ما كان يجري من تجاوزات على الدولة في هذا الطريق(٥٨٢).

وقد امتدت خطة الناصر محمد هذه، لتشمل تنظيم خفر الطرق الأخرى التي لا تقع ضمن مسؤولية القبائل الثلاث، إذ ألزم بني جوشن بخفر الموجب، وبني بعجة بخفر الزويرة*، وبني عجرمة **(بطن من بني مهدي من جذام)** بخفر الرقطانة والحسة، وبني مرة بخفر القدس، وبني نمير بخفر الكفرين(٥٨٣).

ويبدو أن خطة الناصر محمد هذه أثمرت في تحسن وضع الأمن في الجهات الجنوبية من بلاد الشام، فهذا ما يفهم من وصول المواد الغذائية والأطعمة المرسلة سنة ٧٠٤هـ، إلى العقبة لتزويد الحجاج الواصلين إليها بسلام ودونما تعرض للنهب كما كان معتاداً قبل سنة (٧٠٢هـ)(٥٨٤).

إضافة إلى أن المصادر لم تشر إلى أية اضطرابات أو أعمال سلب في هذه المناطق خلال عصر الناصر محمد.

الناصر محمد وسياسته في احتواء أمراء الغرب التنوخيين:

لم يخرج الناصر محمد في سياسته تجاه أمراء الغرب التنوخيين عما قررته الدولة لهم إبان سلطنته الأولى (٦٩٣- ٦٩٤هـ) عندما كان طفلاً صغيراً في الحادية عشرة من عمره، فقد صدر آنذاك (٦٩٣هـ) منشور باقطاع أمير الغرب التنوخي زين الدين علي أراضي جديدة في المناطق المجاورة لبيروت، عدا ما كان بيده وبيد أولاده من إقطاعات، مقابل التزاماته بما كان عليه من قبل بتقديم تسعين فارساً يتناوب ثلاثون منهم على حماية درك بيروت كل شهر، وإضافة إلى التزامات جديدة بحفظ الموانى والثغور(٥٨٥).

---

(٥٨٢) ابن آيبك، كنز الدرر، ص١١٤- ١١٥.

(٥٨٣) العمري، مسالك الأبصار، ١٣٥، ١٥٧.

(٥٨٤) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٣٦٧.

(٥٨٥) يحيى، تاريخ بيروت، ص٣٧، ٧٣.

ولقد كان لهذه السياسة أثرها في تعميق علاقة أمراء الغرب بالدولة، فقد ذكر المؤرخ التنوخي يحيى بن صالح أن الأمير شرف الدين علي بن زين الدين صالح كان كثير التردد على الديار المصرية، لمقابلة السلطان[٥٨٦]، وأشار إلى أن نائب السلطنة في دمشق الأمير جمال الدين أقوش الأفرم قدر للأمير التنوخي ناهض الدين بن زين الدين صالح بن علي (ت ٧٠٠هـ)، موقفه في أعقاب معركة الخازندار التي خسر فيها العسكر المملوكي أمام الغزاة من المغول سنة (٦٩٩هـ) حيث احتضن العساكر المملوكية الهاربة من المعركة وهيأ لها ما تحتاجه[٥٨٧].

ظل التنوخيون على ولائهم للدولة طوال عهد الناصر محمد، وكان لهم مساهمتهم في معركة الصفر (شقحب) التي انتصر فيها المماليك على المغول وقائدهم السلطان محمود غازان سنة (٧٠٢هـ)، كما شاركوا سنة (٧٠٥هـ) ضد الكسروانيين الخارجين عن طاعة الدولة وأدى ذلك إلى مقتل الأمير نجم الدين محمد وأخيه شهاب الدين أحمد، ابني أمير الغرب جمال الدين حجي بن محمد في معركة نيبية قرب بيروت سنة (٧٠٥هـ)[٥٨٨].

الناصر محمد وعرب بني كلاب:

تأرجحت قبيلة كلاب في ولائها للدولة المملوكية البحرية لما عهد عنها من عصيان وخروج عن الطاعة، ويبدو ذلك من تعاونها مع المغول الإيلخانيين في عهد السلطان محمود غازان (٧٠٢هـ)[٥٨٩].

فقد عمل السلطان على احتواء هذه القبيلة، وكسبها لصالح الدولة رغم كثرة عصيانها، وقطعها الطرق[٥٩٠]، فقد رحب سنة (٧٠٤هـ) بعودة أميرها سيف الدين قطايا للطاعة وقبل شفاعة نائب حلب فيه كما استقبله في القاهرة وإكرَمَهُ ومنحه

---

(٥٨٦) يحيى، تاريخ بيروت، ص٧٣.

(٥٨٧) المصدر نفسه، ص٧٧- ٧٩.

(٥٨٨) ابن سباط، صدق الأخبار، ص٥٨٩- ٥٩٠؛ يحي، تاريخ بيروت، ص٩٥.

(٥٨٩) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٣٤٣- ٣٤٤.

(٥٩٠) العمري، مسالك الأبصار،ج٤، ص١٦١.

لإقطاعات، بل وأمر نائب حلب بإعادة إقطاعاته وإكرامـــه[٥٩١]، وظهـــر احترامـــه لأمرائهم ومع أن أحد أمراء بني كلاب وهو أحمد بن نصير المعـــروف بـــالتتري، "**عاث في البلاد والأطراف واشتد في قطع الطرق**" فقد أمنه السلطان الناصر وخلـــع عليه ومنحه الإقطاعات بهدف احتواء هذه القبيلة [٥٩٢].

ويبدو أن السلطان الناصر أراد أن يحكم سيطرته على هذه القبيلة التي سبق القول أنها كانت معروفة بكثرة خروجها عن طاعة الدولة، فجعل الأمر عليها مـــن خارجها، إذ عين الأمير سليمان بن مهنا من آل فضل أميراً عليها وألزمها خفر جعبر وما حولها.

الناصر محمد وسياسته في احتواء عرب العشير:

عاش العشير، خلافاً للقبائل العربية الشامية الأخرى المتنقلة أو شبه المتنقلة، حياة مستقرة في مناطق غزة وطرابلس والبقاع وحوران، مارسوا خلالها الفلاحة، إلا أنهم لم يتخلوا عن تقاليدهم وانتماءاتهم القبلية.

ومع أنهم كانوا ينتمون إلى قبائل عربية شامية إلا أن حياتهم المستقرة، ومـــا كان بينهم من تنافس وصراع جعلهم ينقسمون في إطار أوسع من حدود القبيلة التي ينتمون إليها، فصاروا قيسيين ويمانيين.

وإذا كانت سياسة الناصر محمد تجاه القبائل العربية الشامية قد حققت قـــدرة كبيرة في استقطابها واستيعاب مشكلاتها، بما أولته لها من اهتمام ورعاية لمصالحها، إلا أنها- أي الدولة- لم تول عرب العشير اهتماماً كافياً إلا في حدود ضيقة تزداد قوة وضعف بحسب العلاقة معها، ويبدو أن الدولة في إطار علاقتها العامة بالعشير لـــم تكترث بتأمين مصالحهم.

إن هذا ما يفهم من غياب أية معلومات في المصادر عن خطوات لكســـبهم وحل مشكلاتهم، مما يعطي انطباعاً أن أوضاعهم الاقتصادية كانت سيئة، ويبدو أن هذا ما دفعهم إلى:

---

[٥٩١] العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٣٤٣- ٣٤٤ المقريـــزي، الســـلوك، ج٢، ص٣٧٧، دار الكتب العلمية.

[٥٩٢] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨.

أ. قيام عشير غزة وطرابلس باستغلال تراجع الجيش المملوكي خاسراً في معركة الخازاندار سنة (٦٩٩هـ)، والتعرض إليه نهباً وسلباً[٥٩٣].

ب. قيام عشير بني أسد وبني هلال في منطقة حوران سنة (٧٠٩هـ) بأعمال شغب ونهب.

ج. قيام عشير البقاع بقبول حماية الأمير الأفرم نائب الشام الذي خرج عن طاعة السلطان.

٢. ٣ امتيازات والتزامات القبائل العربية الشامية في سياسة الناصر محمد

عبرت سياسة الناصر محمد تجاه القبائل العربية الشامية عن شكل من اشكال التعاقد بين طرفين، وفَّر اولهما – وهو الدولة- امتيازات للطرف الثاني وهو القبائل والتزم ثانيهما بتنفيذ التزامات حددها الطرف الاول وهي سياسة ارسى اصولها قبله كل من السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ) والسلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ) ويلاحظ هذا التأكيد على التوازن بين امتياز منح الأمرة والالتزامات التي تترتب عليها في عديد من النصوص الوارد في التقاليد والمراسيم التي اصدرها الناصر محمد بهذا الخصوص؛ ومن ذلك ما جاء من نص التقليد الذي اصدره بتعيين الامير فضل بن عيسى اميراً لآل فضل والذي اُلزم فيه بأن يكون "**لاخبار العدو مطالعاً ولنجوى حركاتهم وسكناتهم على البعد سامعاً، ولديارهم كل وقت مصبحاً حتى يظنوه من كل ثنية عليهم طالعاً، ولْيُدِمْ التأهب حتى لايفوته من العدو غارة ولا غرة ويلزم أصحابه بالتيقظ لإدامة الجهاد الذي جرب الأعداء من مواقع سيوفهم غير مرة؛ وقد خبرنا من شجاعته واقدامه وسياسته في نقض كل امر وابرامه ما يغني عن الوصايا التي ملاكها تقوى الله تعالى**"[٥٩٤].

وجاء في مرسوم شريف أعاد السلطان بموجبه الأمير مهنا بن عيسى إمرة العرب التي كان معزولاً عنها، قوله "**فليجر على عادته...آخذاً للجهاد اهبته، من جمع الكلمة واتحادها، واتخاذ القوة واعدادها.. والزام امراء العربان بتكميل**

---

[٥٩٣] المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٦٦٩؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص ٨١.

[٥٩٤] القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٢، ص١٢٠؛ انظر ملحق (ب).

اصحابهم، وحفظ مراكزهم.. والتيقظ لمكايد عدوهم، والتنبه لكشف أحـــوالهم فـــي رواحهم وغدوهم، وحفظ الأطراف التي هم سورها من ان تسوَّرها مكايـــد العـــدا وتخطف من يتطرق إلى الثغور من قبل ان يرفع افقها طرفاً أو يمد على البعد إلى جهتها المصونة يداً وليبث في الاعداء من مكايد مهابته ما يمنعهم القرار ،ويحسن لهم الفرار ويحول بينهم وبين الكرى"(٥٩٥).

وورد في منشور شريف آخر للسلطان، أعطيت بموجبه إمرة آل علي– وهم من قبيلة ربيعة – إلى الأمير عز الدين جماز(٥٩٦)، قوله:"**ونحن نأمرك بتقوى الله فبها صلاح كل فريق واصلاح كل رفيق ونجاح كل سالك في طريق. والحكم: فليكن بما يوافق الشرع الشريف والحقوق: فخلصها على وجه الحق من القوي والضـــعيف والرفق بمن وليته من هذا الجم الغفير والجمع الكبير والزام قومك بما يلزمهم من طاعتنا الشريفة التي هي من الفروض اللازمة عليهم، والقيام في مهماتنا الشريفة التي تبرز بها مراسمنا المطاعة إليك واليهم وحفظ اطراف البلاد والذب عن الرعايا من كل طارق يطرقهم إلا بخير والمسارعة إلى ما يرسم لهم به ما دامت الأسفار في عصاها سير، والافراج لعربك لا تسمح به إلا لمن له حقيقة وجود وله في الخدمة الشريفة اثر موجود، ومنعهم : فلا يكون إلا إذا توجه منعهم، أو توانت عـــزائمهم وقل نفعهم، والمهابة: فانشرها كسمعتك في لآفاق ودع بوارق سيوفها تشام بالشام وديمها تراق بالعراق وخيول التقادم: فارتد منها كل سابق وسابقة تقف دونهمـــا الرياح ويحسدهما الطير إذا طارا بغير جناح ولا تتخذ دوننا لك بطانة ولا وليجة ولا تقطع عنا اخبارك البهيجة وليعرف قومه له حقه ويوفوه من التعظيم مستحقه فأنه اميرهم وامره من امرنا المطاع"**(٥٩٧).

---

(٥٩٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢ ص١٣٢؛ انظر ملحق (ج).

(٥٩٦) هو الامير جماز بن محمد بن ابي بكر بن علي بن حديثة بن عصية بن فضل اميـــر آل علي، المصدر نفسه، ج١٢، ص١٢٤، وحاشية٥، العمـــري، مســـالك الابصـــار، ج٤، ص١٣٦.

(٥٩٧) القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٢، ص١٢٧-١٢٨.

كما ورد في منشور شريف خاص بمنح السلطان، الأمرة إلى أحد رجال بني مهدى قوله:" **فليرتب في ذلك، قائماً بما يجب عليه من وظائفها المعروفة المألوفة، وخدمها التي هي على ما تبرز به أوامرنا الجارية موقوفة، وليكن هو وعربه بصدد ما يؤمرون به من خدمة يبادرون إليه، وطاعة يثابرون عليها، وتأهب للجهاد حيث سرت الجيوش المنصورة لم يبق لهم عائق عن التوجه بين يديها وسياسة تأخذهم من الطرائق الحميدة بسلوك ما يجب ويعرف بها سلوك ما يسلك واجتناب ما يجتنب**"[٥٩٨].

يتضح من النصوص آنفة الذكر أن الالتزامات التي كان على أمراء القبائل العربية الشامية القيام بها تتركز على إظهار الولاء المطلق للسلطان والدولة، والحفاظ على سلامة البلاد في الداخل، وحمايتها من أي اعتداء خارجي إضافة إلى قيامهم بإدارة شؤون العرب التابعين لهم.

وقد حرص الناصر محمد على إلا يُبقي هذه الالتزامات في إطارها العام هذا بل اصدر أوامره إلى أمراء القبائل بتنفيذ واجبات حددها لهم، فقد أمرهم:

تولى مسؤولية حفظ البريد والدرك وخفر البلاد والبريد وحفظ طرق التجارة.

وهي مسؤولية أولاها الناصر محمد اهتمامه الكبير ذلك أن أي خلل فيها كان يشكل عبئاً كبيراً على الدولة، وعلى الحياة العامة بشكل عام[٥٩٩].

لذا فقد قام الناصر بوضع خطة أمنت حماية الطرق الحيوية في بلاد الشام شملت مناطق الحدود مع العراق والحجاز ومصر[٦٠٠]، بيد أن هذا الأمر كان متوقفاً

---

(٥٩٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص١٣٧-١٣٨.

(٥٩٩) العزاوي، العراق بين احتلالين، ج١، ص٤٦٦؛ الحياري، الامارة الطائية، ص١٢٨؛ انظر عن هذه الالتزامات:

Ziaden, Urban life in Syria Under the Early mamlukus (١٩٥٣), Peirut, p٤٥-٤٧; Lapidus, muslim cities in the Later middle Ages, combridge mass, (١٩٦٧).

(٦٠٠) ابن آيبك، كنز الدرر، ص١١٤-١١٥؛ العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١٣٤-١٣٥، ١٣٧؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٢٨٩-٢٩٠؛ قلائد الجمان، ص٦٥.

على مدى التزام القبائل التي أنيطت بها هذه المسؤوليات بطاعة الدولة حيث حصل مثل ذلك مع قبائل العايد قبل سنة (٧٠٢هـ) عندما تخلت عن واجباتها والتزاماتها، فاضطرب حبل الأمن على الحدود المصرية الشامية والحجازية[٦٠١].

وحصل مثل ذلك عندما طُرد آل مهنا إلى العراق، إذ قام عربه بالتعرض للطرق التجارية والحاج وتهديدها سنة (٧٢٠هـ)[٦٠٢]، مما اضطر الناصر محمد إلى إلزام الأمير مهنا وعربه بعدم القيام بذلك عن طريق أخيه فضل بن عيسى، فالتزم مهنا بذلك، وأرسل ابنه موسى إلى مصر تأكيداً على تنفيذ أوامر السلطان سنة (٧٢٠هـ)[٦٠٣].

ومما ألزم السلطان الناصر القبائل العربية به، تنفيذ أوامره بإرسال الفرسان العرب لمساندة القوات المملوكية في مواجهة أية اضطرابات قد تحدث داخل البلاد وفي صيد الأعداء عن البلاد.

وقد قامت القبائل تبأدية التزامات هذه تجاه الدولة كما حصل سنة (٧٠٠هـ). إذ تتبع الفرسان العرب بقيادة الأمير يزيد بن ثابت حركات الجيش الايلخاني الذي اجتاز الحدود العراقية الشامية[٦٠٤]، وشاركت القبائل العربية بشكل فعلي في معركة مرج الصُفَّر (شقحب) في رمضان (٧٠٢هـ). وكان على رأس ميمنة الجيش المملوكي أمير العرب مهنا بن عيسى وعرب آل فضل واحمد بن حجي وعربه آل

---

(٦٠١) ابن آيبك، كنز الدرر، ص١١٤؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص٦٤-٦٥.

(٦٠٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢١١؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، ج١، ص٤٦٦-٤٦٩، الحياري، الامارة الطائية، ص١٢٨.

(٦٠٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢١١-٢١٢.

(٦٠٤) انظر: المصدر نفسه، ج١، ق٣، ص٨٨٥-٢٨٦؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص ١٣٠-١٣١، ص٢١٨، ٢٢٠-٢٢١.

مِرا[٦٠٥] وعرب جنوب بلاد الشام وعربان جبل نابلس[٦٠٦]، وفي سنة (٧١١هـ) هاجم سليمان بن مهنا المغول الايلخانيين واسر عدد منهم[٦٠٧].

كما شاركت قبيلة ربيعة بفروعها من آل علي وآل مِرا وبقية آل فضل إلى جانب الجيش المملوكي سنة (٧١٣هـ) في تلبية نداء السلطان؛ باخراج آل مهنا من بلاد الشام ونهب أموالهم ومواشيهم وملاحقتهم حتى عانة والحديثة بالعراق[٦٠٨] وفي سنة (٧١٦هـ) تتصدى محمد بن عيسى للقوات المغولية الايلخانية المساندة لشريف مكة حميضة بقصد غزو الحجاز وتمكن من هزيمة الايلخانية منادياً باسم السلطان المملوكي[٦٠٩] الذي استدعاه للقاهرة فأكرمه وانعم عليه[٦١٠]، كما شاركت القبائل في الغارة على آمد مع عساكر نائب السلطنة[٦١١] في حلب سنة (٧١٧هـ)[٦١٢]، وشاركت في التجاريد الموجهة إلى توريز بقيادة الامير طشتمر[٦١٣].

لقد كان انتشار القبائل العربية الشامية في أرجاء عديدة وواسعة في بلاد الشام، وامتدادهم خارج حدودها، وقدرتهم على التنقل بينها، جعل السلطان يعول عليهم في متابعة أعدائه، ويلاحظ هذا في حالات عديدة، ومن ذلك ما أمر به السلطان قبيلتي بني

---

(٦٠٥) ابن حبيب تذكرة النبيه، ج١، ص٢٤٩؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٠٩؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٩٣٢.

(٦٠٦) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢٣٣.

(٦٠٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٤٨.

(٦٠٨) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٣٢، ١٣٩، ١٤٧– ١٤٨.

(٦٠٩) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٢٥- ٤٢٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ١٦٨/ ١٦٩: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٨؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٤٨.

(٦١٠) انظر: الصفدي، اعيان العصر، ج٥، ص٤٠٤-٤٠٥.

(٦١١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢١١-٢١٢.

(٦١٢) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٢٧.

(٦١٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٦٣، دار الكتب العلمية.

عقبة[٦١٤]، وبني مهدي بتتبع أخبار الأمير قراسنقر نائب حلب أثناء خروجه عن طاعة السلطان[٦١٥]، كما استجاب عرب العايد لطلبه عند وجوده في مدينة الكــرك ســنة (٧٠٨هــ) بالتجسس على أخبار بيبرس الجاشنكير[٦١٦]، الذي تقلد الســلطنة لفتــرة وجيزة.

وكما نفذ شيخ عشيرة البقاع اوامر السلطان الناصر بملاحقة الأمير عز الدين الافرم الذي كان خارجاً عن طاعته، فخصص خمسة آلاف فارس لسد المنافذ عليه في المناطق التي توجه إليها مختفيــاً، ومنعــه مــن الوصــول إلــى الســاحل ســنة (٧٠٨هــ)[٦١٧] .كما استجاب الأمير موسى بن مهنا وعربه لأمر السلطان الناصــر سنة (٧٤٠هــ) بأخذ الطريق على الأمير تنكز نائب الشام والتضييق عليــه، فأخــذ موسى بالترصد له على حمص[٦١٨].

ومما **الزم السلطان الناصر به أمراء القبائل العربية الشامية ما يعرف بالتقادم ويعني الهدايا من الخيول والهجن وغيرها مما جرت العادة بأن يقوم أمراء القبائل العربية الشامية وأمير عرب الشام بتقديمه كل سنة إلى السلطان**[٦١٩]، وقد حرص السلطان الناصر على الالتزام بهذا التقليد بل انه لم يتسامح مع بعض القبائل التي لم تقم بذلك وطلب منها أن تقدم ما كان عليها من التقادم عن سنوات سابقة[٦٢٠].

ويلاحظ أن الدولة كانت معنية بالحصول على ما كانت تحتاجه من الخيــول وكانت تحصل عليه من خلال ما يقدم من تقادم إلا أنها كانت تعتبر تقــديم الخيــول

---

(٦١٤) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٠٦-٤٠٧؛ المنصوري، التحفة الملوكيــة، ص٢٤٩-٢٢٠.

(٦١٥) غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٧٤؛ ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٠٦-٤٠٧؛ لــبن آيبك، كنز الدرر، ص٢١٩-٢٢٠.

(٦١٦) ابن آيبك، كنز الدرر، ص١٧٨، ١٨٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٩.

(٦١٧) غوانمة، التاريخ السياسي، ص١٧٩.

(٦١٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٨٥.

(٦١٩) القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٢، ص١٢٧.

(٦٢٠) انظر ابن آيبك، كنز الدرر، ص١١٥.

للسلطان من واجبات أمراء القبائل العربية وبخاصة قبيلة ربيعة، فقد جاء في تقليد إمرة آل فضل إلى الأمير عز الدين جماز وخيول التقادم: فارتد منها كل سابق وسابقة[٦٢١] كما ورد في تقليد آخر للأخير قناة بن نجاد سنة (٧٣٣هـ) قول السلطان: "**وليحصل من الخيل كل سابقة، تليق أن تقدم إلينا، وسابحة في كل مهمة حيث يقدم علينا**"[٦٢٢]، وقد كان على أمراء القبائل التقيد بالسياق السلطاني وهو حمل أثقال السلطنة على ألف جمل في حالة سير الركب من مصر إلى الشام[٦٢٣]، مما دفع إقامة أسواق خاصة بتجارة الخيل في كل من فيد*[٦٢٤]، وحلب ومصر[٦٢٥].

أما السلطان الناصر الذي شغف بالخيول العربية من آل مهنا وآل فضل وآل مِرا، فقد اشتراها بأغلى الأثمان وهذا مكن للعرب تتبع الخيول الأصيلة وشرائها من العربان بأثمان معتدلة، وجعلوا لهم عيونا بين العربان يدلونهم على هذه الخيول ينتقون منها السابق والأصيل ليقدموها إلى السلطان الناصر الذي كان يدفع في الفرس الواحد ما يتراوح من عشرة آلاف دينار إلى ثلاثين ألفاً[٦٢٦]، خمسمائة مثقال من الذهب، وبلغ ثمن الفرس المسماة بنت الكرتا والتي أحضرها الأمير محمد بن عيسى سنة (٧١٥هـ) للسلطان مائة ألف درهم، وأعطاه ضيعة بثمانين ألف درهم[٦٢٧]، وقد قدم موسى بن مهنا وعمه محمد بن عيسى بقود من الخيول سنة

---

(٦٢١) ابن آيبك، كنز الدرر، ج١٢، ص١٣٥، انظر ملحق رقم(٥)، ص ١٧٨.

(٦٢٢) القلقشندي، صبح، ج١٢، ص١٣٥؛ انظر ملحق رقم(٤)، ص ١٧٥.

(٦٢٣) ابن آيبك، كنز الدرر، ص١١٥.

(٦٢٤) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص١٨٨.

(٦٢٥) شهبة، تاريخ، مج٢، ج١، ص٤٥١، ٥٣٨.

(٦٢٦) اليوسفي، نزهة الناظر؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٢٦؛ انظر: Ayalon, The system of pagments in the mamluks military society, ١٩٥٨, V.I, p٢٦٣- ٢٦٤, ٢٦٥- ٢٧٠.

(٦٢٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٢٦.

(٧٢٢هـ)[٦٢٨]، وفي سنة (٧٣٨هـ) قدم موسى بن مهنا بقود تقادم قـــدرت بقيمـــة

(٦٢٨) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص٥٢٦.

خمسمائة ألف درهم[٦٢٩]، وكان معه عرب البحرين قومت خيولهم بخمسة وستون ألف درهم[٦٣٠]، وتبين هذه المبالغ الضخمة في أثمان الخيول المجلوبة من القبائل العربية حاجة الدولة الماسة إلى هذه الخيول لتغطية حاجاتها الأساسية، كما يعكس السياسة التي اتبعها السلطان الناصر مع القبائل العربية إذ انعكست تجارة الخيول إيجاباً على حياة العرب الاجتماعية، وحصولهم على امتيازات كبيرة من الدولة[٦٣١]، كما امتدت إلى مناطق أخرى[٦٣٢] غير بلاد الشام جعل من عرب ربيعة وسيطاً بين هذه القبائل والدولة بتزويد الدولة بحاجتها من الخيل التي كانت عصب الحياة آنذاك[٦٣٣]، يقول العمري:"**وبرز الأمر السلطاني إلى آل فضل بتسهيل الطريق لوفودهم وقصادهم وتأمينهم في الورد والصدر فانثالت عليه جماعتهم وأخلصت له طاعتهم وأتته بأجلاب الخيل والمهارى**"[٦٣٤]. وحافظ عرب بني عقبة على تقديم القود للسلطان كما هو معتاد[٦٣٥].

تلك هي الالتزامات التي كان على أمراء القبائل العربية الشامية أداؤها مقابل الثقة التي أولاها لهم السلطان الناصر بتعيينهم أمراء على قبائلهم، فهل حصل هؤلاء على ما يمكنهم من أداء مهامهم هذه.

الامتيازات الممنوحة لأمراء القبائل العربية الشامية:

اعتمد السلطان الناصر سياسة التوسع في منح امتيازات عديدة لأمراء القبائل العربية الشامية تمكيناً لهم لأداء التزاماتهم آنفة الذكر، وكان في مقدمة ذلك ما يطلق

---

(٦٢٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٤٦.

(٦٣٠) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٦، دار الكتب العلمية.

(٦٣١) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٦، دار الكتب العلمية.

(٦٣٢) المقريزي، الخطط، ص٣٣٥.

(٦٣٣) العمري، مسالك، ج٤، ص١٦٤.

(٦٣٤) كانت الخيول تجلب لمصر من الشام والبحرين والحجاز والحسا والقطيف والعراق وبرقة، انظر: العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٦٤؛ المقريزي، الخطط، ص٢٢٥؛ السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٢٦.

(٦٣٥) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٦٤؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٥١٨.

عليه (الأخباز*) وهي تعني الاقتطاعات التي قررها لهم، وأعطاهم حق استغلالها، دون تملكها، مما يعني أن بالإمكان استردادها متى شاء، فقد تكرر ذلك من أمير العرب مهنا بن عيسى الذي صادر السلطان إقطاعاته في السنوات (٧١٢هـ)[٦٣٦]، و(٧١٣هـ)[٦٣٧]، و(٧١٦هـ)[٦٣٨]، ومنحها لأخيه الأمير فضل بن عيسى وفي سنة (٧٢٠هـ)، كما صودرت إقطاعات مهنا لصالح أمير آل علي محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة وأولاده الذي ولاه السلطان أمرة العرب بدل مهنا[٦٣٩]، وأقام (الحاسب على ذلك مدة)[٦٤٠].

وفي سنة (٧٣٤هـ) أقطع السلطان الناصر الأمير مهنا على أثر عودته للطاعة قرى في كل من سلمية والرحبة[٦٤١]، كما كانت سرمين من إقطاعاته[٦٤٢]، وفي سنة (٧٣٧هـ) صادر السلطان الناصر إقطاعات أمراء آل مهنا وأعطاها لأمراء الشام في حلب[٦٤٣]، ثم استردها في العام التالي (٧٣٨هـ)[٦٤٤]، ومنح أحد

---

(٦٣٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٢٨- ١٢٩.

(٦٣٧) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٥٨- ٢٥٩؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٤٥، كان السلطان قد أمر بزيادة إقطاع مهنا مبلغ مائتي ألف دينار قبل أن يصادره سنة ٧١٣ وينقله للأمير فضل، المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٢٨- ١٢٩.

(٦٣٨) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٢٣؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٧٥؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٤٨.

(٦٣٩) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٣٥؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٠٩.

(٦٤٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٤.

(٦٤١) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٦٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٩٢؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٠٧؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مجد الدين إبراهيم، الجزري، حوادث الزمان، ص٣٤٨- ٣٤٩.

(٦٤٢) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٦٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٩٢، دار إحياء التراث العربي؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٠٧.

(٦٤٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢١١؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٣٣٨.

(٦٤٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٩٨، دار الكتب العلمية.

العرب موسى بن مهنا ضيعة بلغت قيمتها ألف ألف درهم[٦٤٥]، كما أقطعه قرية داريا بالفرعة في السنة ذاتها[٦٤٦]، كما أقطع شطي بن عبية أمير بني عقبة ضيعة كانت للأمير موسى بن مهنا.

غير أن السلطان الناصر منحهم إلى جانب ذلك، وفي حالات قليلة إقطاعات تمليك، فقد كتب لأمير العرب مهنا بن عيسى سنة (٧١٥هـ) ضيعة من الخاص ملكاً له[٦٤٧]، ومنحه قرية دومة (قرية بدمشق) إقطاع تمليك له ولأولاده من سنة (٧٣٤هـ)[٦٤٨]، وكانت مثل هذه الإقطاعات تضم المروج المزروعة والمدائن الآهلة بالسكان[٦٤٩].

كما أعطى السلطان الناصر رعاية لقبائل عرب جنوب بلاد الشام، إلا أنها قليلة مقارنة مع قبيلة ربيعة بفروعها، فقد شمل أمراء قبيلة بني عقبة بالكرك بالإقطاعات، وبخاصة أميرهم شطي بن عبية، إذ ألحقه بأمراء آل فضل آل مِرا وأقطعه الإقطاعات الجليلة "وعمر له ولأهله البيت والخباء"[٦٥٠].

أما أمراء الغرب في بيروت فقد أعاد السلطان تجديد وتنظيم إقطاعاتهم، حيث أرجع بقية ما كان لهم من إقطاعات مصادرة[٦٥١].

---

(٦٤٥) ابن قاضي شهبه، تاريخ ابن قاضي شهبه، تحقيق عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، الجفان للطباعة والنشر، قبرص، ١٩٩٤، مج٢، ج١، ص٢٨٨، وسيشار إليه تالياً: شهبه، تاريخ.

(٦٤٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٣١، ٣١٠.

(٦٤٧) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٤٤.

(٦٤٨) ابن حبيب، درة الأسلاك في دولة الأتراك، مركز المخطوطات، الجامعة الأردنية، شريط رقم ١٨٤٧، ج٣، ص١٩٩، وسيشار إليه تالياً: بن حبيب، درة الأسلاك؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٠٧- ٢٠٨؛ الحرزي، حوادث الزمان، ص٣٤٨- ٣٤٩.

(٦٤٩) بولياك، الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين، نقاه عن الإنجليزية عاطف كرم، ط١، منشورات دار المكشوف، بيروت- لبنان، ١٩٤٨، ص٥٩، ٦٤، وسيشار إليه تالياً: بولياك، الاقطاعية؛ البيومي، النظم المالية، ص٣١٢.

(٦٥٠) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٣٥.

(٦٥١) انظر: يحيى، تاريخ بيروت، ص٨٠، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٨.

ولم يقتصر منح الإقطاعات على أمير القبيلة فحسب، بل تعداه أحياناً إلى أبناءه وأخوته، فقد أقطع السلمية السلطان الناصر محمد بن عيسى أخي مهنا قرية المعـــرة تقديراً لجهوده في التصدي لمغول سنة (٧١٦هــ)[٦٥٢]. كما أمر لسليمان بـــن مهنـــا بإقطاع يعمل بمبلغ أربعمائة ألف درهم[٦٥٣] من دمشق (٧١٩هــ)[٦٥٤]، وأقطع موسى بن مهنا مع عمه فضل بن عيسى إقطاعاً في صيدا سنة (٧١٦هــ)[٦٥٥].

ومنح السلطان الناصر أحد أولاد موسى بن مهنا ضيعة طلبهـــا منـــه أثنـــاء اجتماعه بأمراء العرب سنة (٧٢٠هــ)[٦٥٦].

أما الامتيازات الأخرى التي حصل عليها أمراء القبائل العربية الشامية، فقـــد كانت هدايا عينية ونقدية، وهي التي ترد في المصادر باسم الخلع والانعامات (العطاء) [٦٥٧] والملطفات* التي كانت تقدم إليهم عند قدومهم لزيارة السلطان في القاهرة، أو عند لقائهم به خلال زياراته كما أنها كانت ترسل إليهم أحياناً صحبه رسل السلطان تأكيداً لرضاه عليهم، فقد أنعم السلطان الناصر على سليمان بن مهنا سنة ٧١١هـــــ مائة ألف درهم تقديراً لغاراته ضد المغول الإيلخان وإحضاره أســـرى مـــنهم إلـــى القاهرة[٦٥٨]، وفي سنة (٧١٣هــ) أرسل بهدية وملطف* إلـــى الأميـــر مهنـــا فـــي منازله[٦٥٩].

---

(٦٥٢) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٢٥؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٣٠٤- ٣٠٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٨، دار إحيـــاء التـــراث العربـــي؛ المقريـــزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٤٧- ١٤٨.

(٦٥٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٤٣١.

(٦٥٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢١١.

(٦٥٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٦.

(٦٥٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٠١- ٢٠٢.

(٦٥٧) إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، دار الدعوة، استانبول، تركيا، ١٩٨٩، ج٢، ص٩٣٥.

(٦٥٨) القلقشندي، قلائد الجمان، ص٧٨.

(٦٥٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٣١- ١٣٢.

وبعث لأمير العرب مهنا أيضاً سنة (٧١٥هـ)، أثني عشر ألف دينار، وأنعم عليه بمائتي ألف درهم في السنة ذاتها[٦٦٠]، وفي سنة (٧١٩هـ) أنعم السلطان على سليمان بن مهنا مائتي ألف درهم من دمشق، وأعطاه قماشاً بثلاثين ألف درهم[٦٦١]، وخلع على موسى بن مهنا سنة (٧٢٠هـ)[٦٦٢]، ثم خلع عليه وعلى عمه فضل بن عيسى وأكرمهما في القاهرة في السنة ذاتها (٧٢٠هـ)[٦٦٣].

واتحف السلطان الأمير مهنا بعد عودته لطاعته سنة (٧٣٤هـ) بالأموال والخلع، فقد رسم له بمال كثير من الذهب والفضة والقماش حتى قدر ما أنعم به عليه بمائة ألف دينار وخلع عليه وعلى أصحابه مائة وستين خلعة[٦٦٤].

وأنعم على حاجب الأمير مهنا مبلغ تسعة آلاف دينار[٦٦٥]، وأنعم على أمير العرب موسى بن مهنا سنة (٧٣٨هـ) بمائة وعشرين ألف دينار[٦٦٦].

وكان لهذه السياسة التي انتهجها السلطان الناصر مع أمراء القبائل العربية أثرها في زيادة ثراء العرب وبخاصة قبيلة ربيعة بجميع فروعها، وهذا أدى إلى ارتفاع شأن العرب لدى الناصر حيث وصفت بعض المصادر ذلك بالقول و"عزت العرب من آل مهنا وآل فضل وآل مِرا في أيامه وكثرت سعادتها، واتسعت أحوالها بالأموال والضياع"[٦٦٧]، كما "شمل الغنى عامتهم" فامتلكوا ثروة من الذهب والفضة والخيول والجمال والأغنام التي لا حصر لها، كما لبسوا في عهده الحرير الأطلس

---

(٦٦٠) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٤٤.

(٦٦١) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص١٩٤.

(٦٦٢) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص٢١١.

(٦٦٣) المصدر نفسه، ج٢، ق١، ص٢٤٦.

(٦٦٤) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٦٨، وذكر ابن كثير مائة وسبعين خلعة، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٩٢؛ وذكر ابن حبيب مائة تشريف، أنظر: تذكرة النبيه، في أيام المنصور وبنيه، حققه ووضع حواشيه محمد محمد أمين، دار الكتب، ١٩٧٦، ج٢ (حوادث ٧٠٩- ٧٤١هـ) ص٢٤٨، وسيشار إليه تالياً: ابن حبيب، تذكرة النبيه.

(٦٦٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٧٩.

(٦٦٦) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٦؛ انظر:

(٦٦٧) المصدر نفسه، ج٢، ق٢، ص٥٢٧.

بدلاً من الطراطير الحمر، والعمائم القطنية وخلع المسمط* والكنجي*. وكذلك المرأة ارتدت الملابس المزركشة بالذهب، ولبست الأطواق والأساور الذهب والجوهر واللؤلؤ[٦٦٨]، كما أنعم على أمراء آل فضل الجواري والخيول بأنواعها والأموال الجمة فكان عيسى بن فضل في سنة (٧٣٧هـ) كثير الثراء، والاقطاعات والمواشي والجمال والعبيد والإماء فإذا وردت جمالة الفرات يظن الإنسان "أن الله تعالى قد ملأ الفضاء جمالاً"[٦٦٩]، وكان لسليمان بن مهنا نواب وشحاني يأخذون له الأموال في الجزيرة الفراتية إضافة إلى أملاكه وإقطاعاته في بلاد الشام[٦٧٠]، كما كانت بيوتهم ومنازلهم أنيقة، فبيوت الشعر مبطنة بالديباج مفروشة بالمفارش الرومية[٦٧١].

ولم تقتصر الامتيازات التي حصل عليها أمراء عرب الشام وأسرهم وأقرباؤهم على ما أشير إليه من إقطاعات وهدايا نقدية وعينية بل أن السلطان الناصر تعمد أن يعطيهم حق الشفاعة لديه في مواقف عديدة، وقد أوجز العمري ذلك بقوله وكانت لهم "الشفاعات المقبولة في استخدام الوظايف؟ والإطلاق من السجون والرعاية في الغيبة والحضور إلى غير ذلك من تجاوز أمثال الكفاية في الإنزال والمضيف ولاتباعهم منذ خروجهم من بيوتهم وإلى حين عودتهم إليها مع مواكلة السلطان مدة إقامتهم بحضرته غداءاً وعشاءً، والدخول عليه في المحافل والخلوات، وملازمته أكثر الأوقات.."[٦٧٢]، ففي سنة (٧٠٧هـ) وفد الأمير مهنا بن عيسى على الناصر محمد بالقاهرة فأكرمه

---

(٦٦٨) للمزيد انظر: العمري، مسالك الأبصار،ج٤، ص١٥٧- ١٥٨؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٢٧- ٥٢٨.

(٦٦٩) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٤٤، ٤٥؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٣٧٥؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٠٩.

(٦٧٠) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٤٣١.

(٦٧١) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٦؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٠٩؛ صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٠- ٢١١.

(٦٧٢) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٥٨.

وأخلع عليه، وقبل السلطان شفاعته في شيخ الإسلام أحمد بن تيمية*، إذ خرج الأمير مهنا بنفسه إلى سجن القلعة وأخرج ابن تيمية منه[٦٧٣].

وفي سنة (٧٠٩) ركب السلطان أثناء تواجده في غزة إلى استقبال أمير العرب مهنا بن عيسى وجماعة من عربه عندما قدم إليه مؤيداً ومناصراً في بداية سلطنته الثالثة[٦٧٤]، وفي سنة (٧١٠هـ) استقبل السلطان (ملك العرب) مهنا بن عيسى وأكرمه وخلع عليه واستجاب له في توليه حماة للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل علي[٦٧٥]، وفي هذه المقابلة قبل السلطان شفاعة مهنا في الأمير عز الدين آسندمر الشيخي بالعفو عنه وأخرجه السلطان من السجن[٦٧٦]، كما شفع في الأمير برلغي الأشرفي، الذي مات في سجنه في ٣/ رجب (٧١٠هـ)[٦٧٧].

وحظي الأمير موسى بن مهنا بعد وفاة والده سنة (٧٣٥هـ) بمكانة مرموقة لدى السلطان الناصر، فقد قبل السلطان وساطته في تولية الأمرة مناصفة بين أمير المدينة المنورة الأمير بدر الدين ودي بن جماز بن شيحة وبين ابن أخيه الأمير طفيل بن منصور بن جماز سنة (٧٣٦هـ)[٦٧٨]، وقبل شفاعته في خمسة وثلاثين من التجار المصادرين حيث أفرج السلطان عنهم سنة (٧٣٨هـ)[٦٧٩].

ومما يدل على حجم هذه الانعامات التي أنعم بها السلطان على آل فضل النقد الكبير الذي وجهه كبار آل فضل للسلطان الناصر وعدوا هذه الانعامات فساد لأحوال المسلمين وعثرة في طريقهم، وضغطاً في قدراتهم العسكرية، فقد وجه الأمير مهنا لوماً إلى الناصر سنة (٧٣٤هـ) وقال له: أن ما أجريته على نساء العرب وآل مهنا

---

(٦٧٣) ابن أيبك، كنز الدرر، ص١٥٠- ١٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٥٠-٥١، دار إحياء التراث العربي.

(٦٧٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٤٣.

(٦٧٥) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٠٢؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٨٧- ٨٨.

(٦٧٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٨٨.

(٦٧٧) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٢؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٨٨.

(٦٧٨) انظر: المقريز، السلوك، ج٣، ص١٩٨، دار الكتب العلمية.

(٦٧٩) المصدر نفسه، ج٣، ص١٩٨.

لم يكن له سابقة حتى اعتادت العرب على هذا التحول الـذي أحدثتـه فـي نمـط حياتهم[٦٨٠]، وقال له أيضاً "خفِ الله في المسلمين، وبيت المال، فإنك تفرقـه علـى العرب ونساءهم وصغارهم فكيف يحل لك هذا"[٦٨١]، فالمرأة البدوية لا تعرف سوى البرقع والثوب القطني وسوار الحديد[٦٨٢]، وقال له الأمير فضل بـن عيسـى مثـل ذلك[٦٨٣]، أما صفرة بن سليمان بن مهنا فقال له "**لقد أفسدت علينا نسواننا**"[٦٨٤].

٣. ٣ السياسة المملوكية تجاه القبائل العربية في بلاد الشام في عصر أبناء وأحفاد الناصر محمد (٢١ ذي الحجة ٧٤١- ٧٨٤هـ)

حكم خلال عصر أبناء وأحفاد الناصر محمد والذي يزيد قليلاً علـى أربعـة عقود (٢١ ذي الحجة ٧٤١هـ- ٧٨٤هـ) ثلاثة عشر سلطاناً، مـع ملاحظـة أن بعضهم قد تولى السلطنة أكثر من مرة[٦٨٥].

والواقع أن غياب السلطان الناصر محمد، بشخصيته القوية وتجربته الطويلة في حكم دام أكثر من اثنين وأربعين سنة، ترك فراغاً كبيراً، إذ لم يكن بين أبنائه من

---

(٦٨٠) قال مهنا له "يا مولانا السلطان، والله الذي عملته مع العرب أفسدت أحـوالهم وعثـرت المسلمين، وأضعفت جيشك متى كان مهنا وأولاده يعرفـوا يلبسـوا نسـاءهم الحريـر والزركش والعنابر والذهب والفضة، والله لقد رأينا شيء ما رأيناه أيام الظاهر بيبـرس ولا غيره من الملوك، ولا كانت العرب تعرفه ولا يروا من السعادة ما رأوا في أيامـك وكبرت نفوسهم وحمقتهم، ولو ردت أن تغير هذا الحال عنهم مـا قـدرت" اليوسـفي، نزهة الناظر، ص٢٠٧، وفي موضع آخر يقول "**يا ابن قلاوون والله لقد أفسدت العرب على الترك وأخرقت حرمتهم، وأفسدت حتى الناس في بيوتهم ويعاتبه إذا أخذ ضـيعة من أمير فيقول: يا سلطان... فخلي مال المسلمين ينفعك عند الحاجة، وكل ما يقولـوا أولادي لك كذب منهم ويعدوك بمواعيد غير صـحيحة**". اليوسـفي، نزهـة النـاظر، ص٢٨٠.

(٦٨١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٢٩.

(٦٨٢) المصدر نفسه، ج٢، ق٢، ص٥٢٩.

(٦٨٣) اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٨٠.

(٦٨٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٢٩.

(٦٨٥) انظر الملحق (ح).

كان قادراً على الإمساك بزمام الأمور، مما فسح المجال لعودة نفوذ كبار أمراء مصر من المماليك كما كان عليه الأمر بعد وفاة الأشرف خليل (٦٩٣هـ)[٦٨٦]، وخلال حقبة الحكم الأولى للناصر محمد (٦٩٣- ٦٩٤هـ)[٦٨٧]، ويمكن ملاحظة ذلك في أن ابنه الذي تولى السلطنة بعده وهو السلطان المنصور أبو بكر لم يستقر فيها سوى تسعة وخمسين يوماً (٢١ ذي الحجة ٧١٤-٢٠ صفر ٧٤٢هـ)[٦٨٨]، أما ابنه الثاني علاء الدين كجك الذي نصبه الأمراء سلطاناً وهو في الخامسة من العمر، فلم يبق في السلطنة إلا خمسة أشهر وأياماً (٢١ صفر ٧٤٢-١ شعبان ٧٤٢هـ)[٦٨٩]، قام خلالها أكبر أمراء المماليك نفوذاً؛ وهو الأمير قوصون، بنفي بقية أولاد الناصر محمد إلى مدينة قوص في جنوب مصر[٦٩٠].

أثار تصرف قوصون هذا حفيظة أكبر أولاد الناصر محمد، وهو الأمير أحمد الذي كان مقيماً في مدينة الكرك، فأعلن الثورة فيها مطالباً بحقه في السلطنة بعد تنصيب أخيه الصغير فيها سنة (٧٤٢هـ)[٦٩١].

استغرقت هذه الثورة بضعة أشهر وخلصت إلى وصول الأمير أحمد إلى السلطنة في السنة نفسها، إلا أنه هو الآخر دخل في دوامة الصراع مع الأمراء الكبار

---

(٦٨٦) انظر المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩٣- ٧٩٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤١.

(٦٨٧) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص١٧٥.

(٦٨٨) عن السلطان المنصور أبي بكر، انظر: المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٦٦-٥٥٧٠.

(٦٨٩) عن السلطان عن علاء الدين كجك، انظر: المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٧١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٢٤، ٢٩.

(٦٩٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٩٤- ١٩٥؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٧٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٢١- ٢٢.

(٦٩١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٨٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠،ص٣٣- ٣٤.

في مصر وانتهى به الأمر إلى خلعه من السلطنة في الحادي والعشرين من المحرم من سنة (٧٤٣هـ)[٦٩٢]، وتعيين أخيه الملك الصالح إسماعيل فيها[٦٩٣].

قاد السلطان أحمد بعد خلعه من السلطنة ثورة أخرى من مقره في مدينة الكرك دامت سنتين وشهراً وثلاثة أيام انتهت بالتمكن منه وقتله في الثاني والعشرين من صفر من سنة (٧٤٥هـ)[٦٩٤].

مع فشل ثورة الناصر أحمد، تفاقم نفوذ كبار أمراء المماليك في مصر، فكانوا هم من اختار أخاه الملك الصالح إسماعيل للسلطنة بدلاً عنه، بل صار قيامهم بخلع سلطان، وتعيين آخر، سمة بارزة في هذه الحقبة استمرت حتى سقوط دولة المماليك البحرية سنة (٧٨٤هـ)[٦٩٥]، إن هذا ما مكن هؤلاء الأمراء من إيصال مجموعة من السلاطين الضعاف أو الصغار من أبناء وأحفاد الناصر محمد إلى السلطنة.

في إطار هذا الصراع الذي شهدته القاهرة، أغفلت القوى المتنفذة شؤون البلاد في بقية أنحاء مصر وفي بلاد الشام، وهو ما شخصه المقريزي بقوله:"**فلما تغافل أهل الدولة بعد موت الناصر محمد قلاوون عن أهل النواحي قلت مهابة الكشاف والولاة عندهم فخرجوا عن الحد، وقطعوا الطرقات براً وبحراً، حتى تعذر سلوكها**"[٦٩٦]، وتعني رؤية المقريزي هذه غياباً لسياسة قوية قادرة على إدارة شؤون الأقاليم، مما أدى إلى قدر كبير من التسيب وعدم الالتزام بالقوانين فيها.

لقد كان طبيعياً أن تتأثر القبائل العربية الشامية بهذا الصراع، فتنحاز إلى هذه الجهة أو تلك من أطرافه، مما يتوقع معه أن يؤثر ذلك في سياسة الدولة تجاهها، فهل

---

(٦٩٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٩٣- ٥٩٤.

(٦٩٣) المصدر نفسه، ج٢، ق٣، ص٦١٧- ٦١٨؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ،مج٢، ج١، ص٢٦٩، ٢٩٧.

(٦٩٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٢٢؛ ابن سباط، تاريخ، ج٢، ص٦٨٠.

(٦٩٥) ابن قاضي شهبة، تاريخ، مج٢، ج١، ص٢٩٧- ٢٩٨، ٢٩٩؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦١٨.

(٦٩٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٩٠٨.

كان الأمر كذلك؟ وإلى أي مدى كانت هذه السياسة متسقة مع ما أرساه من قبل السلطان الظاهر بيبرس، والسلطان المنصور قلاوون والسلطان الناصر محمد.

بدراسة الأدبيات التي تضمنتها المصادر المعاصرة والتالية لهذه الحقبة والتي حكم فيها أبناء وأحفاد الناصر محمد، يتضح أن سياستهم تجاه القبائل العربية الشامية أخذت منحنىً غير الذي كانت عليه قبلهم، وهو ما يبدو واضحاً في الأسلوب الذي سلكته مع هذه القبائل بشكل عام وقبيلة ربيعة بشكل خاص.

تأثرت سياسة دولة المماليك البحرية في عهد أبناء وأحفاد الناصر محمد تجاه القبائل العربية الشامية وقبيلة ربيعة التي تمثل القوة القبائلية الأكبر بينها، بعاملين:

١. أن قوة آل مهنا- وهم جزء من آل فضل من قبيلة ربيعة- كانوا قد بلغوا أوجهم قوة ونفوذاً وثراء بسبب ما أغدقه عليهم الناصر محمد خلال عصره الذي دام اثنان وأربعين عاماً، وقد ذكر المقريزي أنه كان لهم عقب وفاة الناصر محمد من الأولاد والأحفاد نحو مائة وعشرة من الأمراء، ممن كان كل منهم بيده أمرة وإقطاع، ولقد مكنهم هذا على حد تعبيره من أن يشنوا الغارات ويقطعوا الطرقات على التجار، مما يعني أنهم كانوا في عصر أبناء وأحفاد الناصر محمد يشكلون القوة الأكبر داخل قبيلة ربيعة[٦٩٧].

٢. إن ما أشير إليه مطلع هذا المبحث من استشراء التنافس على السلطة بين كبار الأمراء في مصر، وفي القاهرة على وجه التحديد، جعل سلاطين مصر ومن يلتف حولهم من أمراء المماليك المتنفذين، يعولون في حل المشكلات التي كانت تواجههم في بلاد الشام- والقبائل العربية وقبيلة ربيعة جزء منها- على نواب السلطنة فيها إلى حد كبير.

ومع أن هذا يعني قدراً من الإهمال لشؤون الأقاليم خارج مدينة القاهرة، فإنه يعني كذلك ازدواجية التعامل، كما يعني أحياناً احتمالية التناقض بين نواب السلطنة في بلاد الشام والسلطان من جهة، وبينهم، بعضهم ببعض.

---

(٦٩٧) انظر المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٨٩٦.

في إطار هذين العاملين تشكلت سياسة دولة المماليك البحرية في هذه الحقبة، فما هي أبعادها؟

سياسة دولة المماليك البحرية تجاه قبيلة ربيعة في عهد أبناء وأحفاد الناصر محمد(٢١ ذي الحجة ٧٤١- ٧٨٤هـ):

بدأت العلاقة بين الدولة وقبيلة ربيعة طبيعية بعد وفاة الناصر محمد سنة (٧٤١هـ)، فقد حضر إلى القاهرة أمير آل فضل وأمير عرب الشام الأمير موسى بن مهنا سنة (٧٤٢هـ) واستقبل من قبل السلطان الجديد أبي بكر بن الناصر محمد (٢١ ذي الحجة ٧٤١- ٢٠ صفر ٧٤٢هـ)، الذي خلع عليه وأكرمه[٦٩٨]، غير أن هذه العلاقة اتخذت شكلاً مغايراً في عهد أمير عرب الشام الجديد سليمان بن مهنا الذي حل محل أخيه في الأمرة بعد وفاته سنة (٧٤٢هـ)[٦٩٩].

يرتبط هذا التغير بانحياز الأمير الجديد إلى الأمير أحمد بن الناصر بن محمد الذي قاد ثورة في مدينة الكرك في جنوبي بلاد الشام في السنة ذاتها معلناً أنه الأحق بالسلطنة باعتباره الابن الأكبر للناصر محمد، وحيث وضع الأمير سليمان بن مهنا نفسه وعربه في خدمة هذه الثورة مناهضاً لكبار أمراء المماليك المهيمنين على السلطة في مصر آنذاك، فقد تولى رجاله سد منافذ الطرق على رجالهم، مما كان له أثر كبير في نجاح هذه الثورة وإيصال الأمير أحمد إلى السلطنة.

قدر الناصر محمد للأمير سليمان دوره هذا وقلده الإمرة على عرب الشام[٧٠٠].

ويبدو أن هذا الموقف هو ما جعل الأمير سليمان وآل مهنا بشكل خاص هدفاً لأعداء السلطان الناصر أحمد، لذا ما أن نجح هؤلاء في خلعه عن السلطة سنة (٦٤٢هـ) حتى أصدر السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل إجراءات لا تتناسب مع حجم السبب الذي نشأت عنه، ونعني بذلك ورود شكوى بحق أخي الأمير

---

(٦٩٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦١٥؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٩٠.

(٦٩٩) الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ج١، ص٤٥٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، الصافي، ج٦، ص٥٥- ٥٦.

(٧٠٠) ابن قاضي شهبة، تاريخ، مج:٢، ص ٢٢٠، ٢٢١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٩٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ٤٣٢، أعيان العصر، ج٢، ص ٤٥٦.

سليمان وهو الأمير فياض من قبل أمير الحج[٧٠١]، أما هذه الإجراءات فقد شملت إلقاء القبض على الأمر فياض وإرساله سجيناً إلى القاهرة في صفر من سنة (٧٤٣هـ)، ومصادرة إقطاعات آل مهنا بما فيها تلك التي تخص الأمير سليمان أمير عرب الشام نفسه، إضافة إلى الأمر بتوزيعها على خصومهم من بني عمومتهم، وهم كل من الأمير سيف بن فضل وأخيه، كما وزع ما تبقى منها على الأجناد وأمراء الشام[٧٠٢].

من الواضح أن توزيع ثروة طائلة طالما كانت عند آل مهنا مما أشير إليه آنفاً، وأعطاءها إلى غرمائهم ومنافسيهم كان أمراً بالغ التأثير عليهم، وكان هذا الأثر كبيراً بشكل خاص على أولئك الذين كانوا يرتبطون بهم ويعيشون مما تدره هذه الاقطاعات، على أن أهم ما فيه أنه عمق جذور الخلاف داخل بيوت آل فضل وهيأ إلى صراع استمر سنوات طويلة كما سيتضح في الصفحات التالية.

قابل الأمير سليمان تصرف الدولة هذا بحزم وأرسل سنة (٧٤٣هـ) كتاباً إلى السلطان الصالح إسماعيل سأله فيه أن يفرج عن أخيه الأمير فياض وأن يرد الاقطاعات إلى آل مهنا وإلا سار بعربه إلى الشرق[٧٠٣]، ويعني بذلك العراق الذي كان آنذاك تحت هيمنة الدولة الجلائرية (٧٣٦-٨١٤هـ).

استجاب السلطان لطلب الأمير سليمان وأعاد الاقطاعات إلى إصحابها، كما أفرج عن الأمير فياض ضمن شروط أبرزها أن يلتزم بطاعة الدولة وألا يتعرض للتجار[٧٠٤]، وبناء على موقف السلطان هذا قام الأمير سليمان بزيارة القاهرة في السنة نفسها واستقبله السلطان ورحب به بما يشير إلى انتهاء الإشكالات التي استجدت قبل ذلك[٧٠٥]، غير أن السلطان ما أن علم بوفاة الأمير سليمان سنة (٧٤٤هـ) بعيد عودته من مصر حتى بادر إلى نقل الأمرة من آل مهنا إلى أبناء عمومتهم وخصومهم فقام

---

[٧٠١] المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٣٨٠(دار الكتب العلمية).

[٧٠٢] المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٨١.

[٧٠٣] المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٣٨٣(دار الكتب العلمية).

[٧٠٤] المصدر نفسه، ج٢، ق٣، ص ٦٢٨، ٦٢٩، ج٣، ص ٣٨٤ (دار الكتب العلمية).

[٧٠٥] توفي الأمير سليمان بن مهنا، ربيع الآخر من سنة ٧٤٤هـ، انظر عنه الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص ٤٥٤؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ٣٢١.

بتقليدها إلى الأمير عيسى بن فضل الذي لم يلبث أن توفي فقلدها أخاه سيف بن فضل[٧٠٦] ثم أعقب ذلك منع الأمير أحمد بن مهنا من التوجه للقاهرة، رغم أن السلطان كان قد وافق على توصية نائب السلطنة في الشام بالموافقة على قدومه.

كان قرار السلطان هذا محرجاً لنائب الشام المشار إليه كما كان سبباً في إثارة الأمير فياض مجدداً مدة ناحيتين، أولاهما أن الأمير أحمد بن مهنا كان قادماً بمهمة تخصه وتحمل رغبته في الحصول على رضا السلطان[٧٠٧]، وثانيهما أن أمرة العرب نقلت من آل مهنا إلى بيت منهم إلا أنه كان خارجاً عليهم ومعادياً لهم وهو آل فضل الذي يقف على رأسه الأمير سيف بن فضل* من آل فضل أمير عرب الشام.

لقد كان الأمير سيف بن فضل ومن معه من العرب هم الأضعف بين آل فضل مقارنة بالقوة التي كان يتمتع بها آل مهنا أبناء عمومتهم، وقد كان هذا يعني صراعاً بين فرع قوي أخذت منه السلطة، وآخر ضعيف أُعطيت إليه مما وضع بلاد الشام أمام سنوات عجاف من الصراع والحرب وعمليات السلب والنهب[٧٠٨].

وكان أول مظاهر ذلك قيام الأمير فياض بشن هجمات على قوافل التجار ومنها قافلة قادمة من بغداد نحو مدينة حلب، حيث استولى على أموال كبيرة منها، حتى قيل إنه سلب ما قيمته مائتا ألف دينار من تاجر واحد[٧٠٩]، كما قام بمهاجمة مضارب الأمير سيف بن فضل[٧١٠]، إضافة إلى تحالفه مع أمير التركمان أبن دلغادر، وقيامها بمهاجمة حلب[٧١١].

---

(٧٠٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٤٠٣، دار الكتب العلمية.

(٧٠٧) المصدر نفسه، ج٣، ص ٤١٧.

(٧٠٨) عقب المؤرخ أبو الفداء على تعيين الأمير سيف بن فضل في إمرة العرب فقال:

وهل يسمو لأهل الشام رمح ... إذا استولى على العربان سيف

انظر المختصر، ج٢، ص٥١٢.

(٧٠٩) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤٠٣، ٤١٥.

(٧١٠) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٥١.

(٧١١) المصدر نفسه، ج٣، ص٤١٤، دار الكتب العلمية.

كان لرد فعل الأمير فياض أثره الكبير عل نواب السلطنة في الشام وبخاصة نائبها في حلب لذا فقد بادرت إلى الاتصال به ونجح الأمير سيف الدين ارقطاي نائب حلب بالالتقاء به في مدينة حلب سنة (٧٤٦) واستطاع أن يقنعه بالعودة إلى الطاعة وحصلوا منه على عهد ومواثيق بالإقامة عليها[٧١٢].

في ضوء هذا اللقاء قام الأمير فياض بإرسال قَوَد كبير إلى السلطان يتكون من سبعين فرساً، قُوِّمَ ثمنها بألف ألف درهم، كما قدم له خمسين هجيناً، ثم أعقب ذلك قدومه إلى مصر حيث استقبله السلطان وأكرمه وأحسن إليه[٧١٣].

كانت عودة الأمير فياض إلى الطاعة تعني ضمناً عودة آل مهنا إلى ما كانوا عليه بما في ذلك أمرة عرب الشام. ولعل هذا ما يفسر قدوم اثنين من أمراء آل مهنا إلى القاهرة سنة (٧٤٧هـ) وهما أخوا الأمير فياض؛ الأمير حيار بن مهنا، والأمير أحمد ابن مهنا وقدما للسلطات القود فقبل منهما[٧١٤]، إلا أن أياً منهما لم يشعر أن للسلطان رغبة في أن تمنح إمرة العرب لأحدهما، وقد فوجئا بقدوم الأمير سيف بن فضل زعيم آل مهنا وعدوهما اللدود إلى القاهرة مع قود كبير إلى السلطان الذي قبله منه وخلع عليه بإمرة عرب الشام[٧١٥].

كان قرار السلطان هذا بمثابة إذكاء لمزيد من الصراع بين هاتين المجموعتين من آل فضل وبخاصة أنه أمر بزيادة في إقطاع الأمير سيف مقدارها ثلثمائة ألف دينار تؤخذ إقطاع الأمير أحمد بن مهنا[٧١٦].

أدى قرار السلطان هذا إلى انقسام في صفوف قبيلة ربيعة فقد وقف إلى جانب أمير العرب الجديد سيف بن فضل كل من آل مِرا وآل علي، بينما وقف إلى جانب آل مهنا قبيلة بني كلاب، وقد اصطدم الطرفان قرب سلمية، وهزموا سيفاً والمتحالفين

---

(٧١٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٤١٥، دار الكتب العلمية.

(٧١٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٩٢.

(٧١٤) المصدر نفسه، ج٢، ق٣، ص ٧٠٢، ٧٠٦.

(٧١٥) ابن شاهين، نيل الأمل، ق١، ص١٤٠.

(٧١٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٧٢١، ٧٢٢؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ق١، ص١٤٠.

معه ثم قاموا بمهاجمة بيوته ونهبوا ما فيها واستولوا على خمسة عشر ألـــف بعيـــر[٧١٧].

وقد استدعى هذا الوضع المضطرب قلق نائب السلطنة فـــي حلـــب الأميـــر ارغون شاه الذي أرسل (٧٤٨هـ) بكتاب يعلم السلطان فيه أن الأمير سيف لا قدرة له على مواجهة آل مهنا ويلمح له بأن إعطاء الأمرة لآل مهنا فيه مصلحة للبلاد[٧١٨].

في ضوء رسالة أرغون شاه استدعى السلطان الأمير أحمد بن مهنا، فـــولاّه أمرة عرب الشام التي استمر فيها حتى سنة (٧٤٩هـ)[٧١٩].

وقد كان للنهج الذي اقترحه نائب السلطنة في حلب أساساً للتعامل مع الوضع المعقد لقبيلة ربيعة أثره الإيجابي في خلق قدر من الاستقرار في وضع إمرة عـــرب الشام، إلا أن الدولة، مع ذلك، اتجهت اتجاهاً آخر فجعلت الأمرة مشتركة بين آل مهنا وآل فضل، مما يبدو أنه محاولة لإرضاء الطرفين حيث أعطت الأمرة لرجلين أولهما الأمير عمر بن موسى بن مهنا وثانيهما هو سيف بن فضل[٧٢٠].

وفي حين أن هذه التسوية بين طرفي الصراع كانت أمراً مقبولاً منهما مع ما شهدته من إشكالات[٧٢١]، فإنها مكنتهما من التفرد كقوة مهيمنة في بلاد الشام، عجز أمامها نواب السلطنة في هذه البلاد عن إيقافها عند حدودها، وهو الأمر الذي ظـــل كذلك حتى نهاية دولة المماليك البحرية سنة (٧٨٤هـــــ)، وقيـــام دولـــة المماليـــك الجراكسة التي واجهت الإشكالية الناجمة عن وضع القبائل الشامية هذا مما لا يقـــع الحديث عنه ضمن نطاق هذه الدراسة.

---

(٧١٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٣٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبيـــه، ج٣، ص٩٨؛ أبـــو الفداء، المختصر، ج٢، ص٥١٣.

(٧١٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٢٩.

(٧١٩) الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص٣٩٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص١٢٩؛ ابـــن شاهين، نيل الأمل، ق١، ص١٧٠.

(٧٢٠) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦١٧. وانظر أعلاه ص٤٠.

(٧٢١) الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٤٥٥؛ ابن شاهين، نيل الأمـــل، ق١، ص٣٠٨؛ ق٢، ص٣١٢.

تلك هي سياسة دولة المماليك البحرية من قبيلة ربيعة في عهد أبناء وأحفاد الناصر محمد، فكيف كان موقفها تجاه القبائل الأخرى؟

سياسة دولة المماليك البحرية تجاه القبائل العربية الأخرى في عهد أبناء وأحفاد لناصر محمد:

أدى انتقال الصراع على السلطة بين أمراء المماليك في مصر إلى بلاد الشام من بداية عصر أبناء وأحفاد الناصر محمد، عقب اتخاذ مدينة الكرك وقلعتها منطلقاً لثورة الناصر أحمد بعد خلعه عن السلطنة سنة (٦٤٢هـ)[٧٢٢]، إلى انقسام بين معظم القبائل العربية الشامية، بين مؤيد للدولة في مصر وللأمراء المتنفذين فيها، ومناهض لها ضمن من وقف إلى جانب الأمير الثائر الناصر أحمد.

ظهر ذلك واضحاً في صفوف القبائل العربية في جنوبي بلاد الشام بحكم قربها من مركز الصراع في مصر من جهة، ومن موقع ثورة الناصر محمد في الكرك وقلعتها من جهة أخرى، ففي حين التزمت قبيلة بني عقبة بالولاء للدولة وسخرت كل إمكانياتها لإفشال الثورة المشار إليها، كان عرب الكرك هم من ساندها وقاتل من أجلها، كما كان للقبائل العربية الأخرى مواقفها من ذلك سلباً وايجاباً.

في ضوء هذه المتغيرات أرست دولة المماليك البحرية في هذه الحقبة سياستها مع القبائل العربية الشامية، فما هي أبعادها.

جاء موقف قبيلة بني عقبة المناهض لثورة الناصر أحمد منسجماً مع السياسة التي اتبعتها دولة المماليك البحربة تجاهها طوال عهودها السابقة والتي استطاعت أن تكسبها إلى جانبها بما اغدقته عليها من إقطاعات وأموال[٧٢٣]، وقد استمرت السياسة ذاتها في هذه الحقبة، وكان من ثمارها سعي بني عقبة الحثيث لإفشال ثورة الناصر أحمد من أكثر من جانب، فقد تولت مهمة متابعة أخبار الأمير الثائر في الكرك،

---

(٧٢٢) المقريزي السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٦١؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، مج٢، ج١، ص٢٢١.

(٧٢٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٦١.

ونقلها أولاً بأول إلى مصر[٧٢٤]، كما شاركت بأميرها شطي بن عبية وعربها في التجاريد التي أرسلتها الدولة لمحاصرة الناصر أحمد في الكرك، حتى أن أميرهم المشار إليه أصيب بجروح أثناء مشاركته في القتال[٧٢٥].

أما سياسة الدولة تجاه مساندة عرب الكرك لثورة الناصر أحمد، فقد أخذت أكثر من بعد، إذ فرضت عليهم حصاراً استمر قرابة سنتين منعت عنهم خلاله أن تصلهم أية إمدادات بما في ذلك ما كانوا يحتاجونه من غذاء[٧٢٦]، كما جردوا لهم ولقائدهم الناصر أحمد عدة تجريدات عسكرية شارك فيها ما لا يقل عن ثمانية عشر ألف مقاتل في محاولة للضغط عليهم عسكرياً ونفسياً[٧٢٧]، كما أنها سخرت قبيلة بني عقبة لمتابعة أخبارهم، ومعرفة مدى استمرار قدرتهم على الصمود[٧٢٨]، فلما عرفت أن الحصار والعمليات العسكرية قد فعلت فعلها فيهم، وأنهم ربما يكونون مستعدين للتخلي عن الناصر أحمد والرجوع إلى صف الدولة، أوصلت إليهم من خلال رجال بني عقبة، استعدادها للترحيب بهم، وبدأت تغدق الأموال على من تتأمل فيه اقتراباً منها[٧٢٩].

نجحت خطة الدولة هذه، فقد استجاب لإغراءاتها عدد من شيوخ عرب الكرك كان على رأسهم رجل يعرف بالشيخ بالغ الذي تمكن من التسلل سراً من مدينة الكرك حتى مصر[٧٣٠].

ويبدو أن الشيخ بالغ الذي رجع إلى القاهرة ومعه بقية شيوخ عرب الكرك الذين تفاوضوا فيها ثم اتفقوا على التخلي عن الناصر أحمد وتقديم الطاعة للدولة مقابل

---

(٧٢٤) ابن قاضي شهبة، تاريخ، مج٢،ج١، ص٣١٣؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٢٩؛ الحسو، الكرك، ص ١٦٨.

(٧٢٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٤٤، ٣٤٦، ج٢، ق٣، ص٥٧٨، ٦٢٤.

(٧٢٦) انظر عن ذلك: الحسو، تاريخ الكرك، ص١٦٧- ١٧٤.

(٧٢٧) المرجع نفسه والصفحة.

(٧٢٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٢٠.

(٧٢٩) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٨١؛ غوانمة، التاريخ السياسي، ص٢٢٧.

(٧٣٠) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٥٤؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج١، ص٨٩.

تلبية مطالبيهم التي أجيبوا عليها حيث أكرموا وأنعم عليهم، وكتب لهم مناشير بما طلبوه من الأراضي والإقطاعات حتى بلغ مقدار وارد ما أقطع للشيخ بالغ وحده، أربعمائة وخمسون ألف درهم سنوياً، وقد عومل بقية شيوخ الكرك على هذه الشاكلة[٧٣١].

وقد استطاعت الدولة أن تكسب لصالحها أمراء الغرب من بني تنوخ وتدفع برجالهم للمساهمة في حربها ضد الناصر أحمد في الكرك، كما أنهم شاركوا في كثير من التجاريد العسكرية التي أرسلت لهذا الغرض، بل وشارك أمراؤها في الحملات، ومنهم أمير الغرب عز الدين الحسن بن سعد الدين خضر، الذي شارك في التجريدة الأولى وقتل[٧٣٢].

ومع أن مقتل الأمير التنوخي أثارت التنوخيين في مناطق بيروت وأخذ شعراؤهم يذكرون ذلك بحزن، فقد قام أمراء الغرب ثانية بإرسال فرسانهم للمشاركة إلى جانب جيش الدولة في هجماته على الكرك[٧٣٣].

أما عرب العشير فإن الدولة استطاعت أن تكسب بعضهم إلا أنها لم تستطع ذلك مع جماعات أخرى منهم، ففي حين أنضم إلى الناصر أحمد من ثورته، كثير من عرب عشير غزة، إضافة إلى إرسالهم ألف فارس منهم، توزعوا على الطرقات

---

(٧٣١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢١٢؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٦١، ج٣، ص٤١١، دار الكتب العلمية؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ق١، ص٩٤؛ غوانمة، تاريخ شرقي الأردن، ص٢٤٠.

(٧٣٢) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٢٤؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٨١؛ ابن سباط، تاريخ، ج٢، ص٦٧٦- ٦٧٧.

(٧٣٣) غوانمة، تاريخ شرق الأردن، ص٢٣٣، وجاء فيه أن الأمير التنوخي رمى بسهم مكفوت نصله بالذهب ووجد مكتوباً عليه:

ومن جودنا رمى العداة بأسهم ... من الذهب الأبريز صيغت نصولها

يداوي بها المجروح منها جراحه ... وبشرى بها الأكفان منها قتيلها

المؤدية إلى دمشق لحفظها[٧٣٤]، بل أن ابن صبح مقدم العشير كان يقوم بجمع العرب الجبلية من صفد وطرابلس تأييداً للناصر أحمد[٧٣٥].

يتضح مما ورد آنفاً أن السياسة المملوكية تجاه القبائل العربية في بلاد الشام خلال حقبة أبناء وأحفاد الناصر محمد اتجهت اتجاهاً متبايناً عن تلك السياسة التي اتبعتها الدولة قبلهم، فقد تخلوا عن سياسة احتواء القبائل إلا في حدود ضيقة اقتصرت على القبائل التي كان لها مصلحة مباشرة مع ما يخدم الصراع القائم على السلطة آنذاك، ويتضح هذا في موقفها من عرب الكرك الذين أغدقت عليهم الإقطاعات والأموال، وهذا ما لم تفعله مع بقية القبائل، كما أن سياستها تجاه أكبر القبائل العربية الشامية، ونعني بها قبيلة ربيعة، لم تنم عن وعي بأهميتها، فقد تخلت عن احتوائها وعملت على تجريدها من إقطاعاتها وضربت بعضها مما ترك آثاراً سلبية في الحياة العامة في بلاد الشام، وهو الأمر الذي ظل سائداً حتى سقوط دولة المماليك البحرية، وقيام دولة المماليك الجراكسة سنة (٧٨٤هـ) لتتسلم هذه الدولة أرثاً ثقيلاً كان عليها مواجهته.

الخاتمة:

كان للقبائل العربية وجود واسع في بلاد الشام عَبْرَ تاريخها الطويل ابتداءً بالألف الأول قبل الميلاد وعَقِبَهُ، ثم خلال العصور الإسلامية استمراراً حتى الحقبة التي خضعت فيها هذه البلاد لحكم دولة المماليك البحرية (٦٥٨- ٧٨٤هـ).

وقد تحرت هذه الدراسة الكشف عن سياسة هذه الدولة تجاه القبائل العربية في بلاد الشام، وخلصت إلى النتائج التالية:

١. احتلت القبائل العربية في بلاد الشام خلال عصر دولة المماليك البحرية أهمية كبيرة من حيث مواقعها وامتداد انتشارها داخل وخارج هذه البلاد مما أتاح لها أن تكون عاملاً مؤثراً ومتأثراً في أحداث هذا العصر.

---

(٧٣٤) ابن قاضي شهبة، تاريخ، م٣، ج١، ص٢٢٠، ٢٢١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٩٥؛ أعيان العصر، ج٢، ص٤٥٦.

(٧٣٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٠١- ٦٠٢.

٢. أظهرت الدراسة أن سياسة دولة المماليك البحرية تجاه القبائل العربية الشامية خلال الحقبة التي حكم فيها السلطان الظاهر بيبرس، والسلطان المنصور قلاوون والسلطان الناصر محمد والممتدة بين سنتي (٦٥٨- ٧٤١هـ) فهماً عميقاً لمدى الدور الذي كان من الممكن أن تؤديه هذه القبائل سلباً أو إيجاباً في إطار وجودها البشري الواسع الذي تجاوز انتشاره حدود بلاد الشام إلى عمق البلاد المجاورة والتي لم تكن تخلو من منافسين وأعداء الدولة لدولة المماليك البحرية، لذا فقد اعتمدت في سياستها تجاه القبائل شكلاً من أشكال التعاقد، حيث وفرت لهما من جهتها امتيازات عديدة، من إقطاعات واسعة وهدايا عينية ونقدية، في حين طالبتها مقابل ذلك بتقديم الطاعة لها والدفاع عنها في الداخل والخارج.

٣. على الرغم من أن عقبات كبيرة واجهت الدولة في سعيها لحمل القبائل العربية الشامية على الالتزام بما كان عليها القيام به، إلا أنها أظهرت سعة صدر كبيرة وازنت فيها بين التشدد الكبير وترك الأبواب مفتوحة لضمان حل الإشكالات وحالات الخروج عن طاعتها، مما خلص في النهاية لصالحها.

٤. وفي حين حققت هذه السياسة نجاحاً كبيراً في مسك زمام العلاقة مع القبائل العربية، بما حقق أهدافها، إلا أنها ساعدت في مرحلة من مراحلها، المتمثلة بحكم السلطان الناصر محمد، على تحويل أحد فروع قبيلة ربيعة من آل فضل، وهم آل مهنا إلى قوة ذات ثراء ونفوذ طاغيين، بفعل ما أغدقه السلطان المشار إليه من أموال طائلة وإقطاعات واسعة، وهو الأمر الذي أدى إلى إخلال في التوازن بين الدولة والقبائل العربية الشامية المرحلة التالية لعصر الناصر محمد والتي غطت العقود الأربعة الأخيرة من حكم دولة المماليك البحرية (٧٤١- ٧٨٤هـ) فقد طغت قوة القبائل على قوة الدولة، وأشاع ذلك أجواء من الفوضى والمداهمات لطرق التجارة والحج مما قام به أمراء آل مهنا وغيرهم من آل فضل دون أن تستطيع الدولة أو نواب السلطنة في بلاد الشام التحكم فيها.

٥. تحولت السياسة المملوكية في عهد أبناء وأحفـاد الناصـر محمـد (٧٤١-٧٨٤هـ) عن مرتكزاتها الأساسية المعتمدة على احتـواء القبائـل وتلبيـة احتياجاتها من الأموال والأرضين، إلى سياسة لم تعكس وعياً بخطـورة مـا ذهبت إليه فقد تخلى سلاطين هذه الحقبة عن سياسة الاحتواء ولـم يعـودوا يقدمون الاقطاعات والأموال إلا في حدود ضيقة، بل أنهم عمدوا إلى استحداث ديوان خصص لاسترجاع الاقطاعات والتي كانت في حوزة أمـراء القبائـل وبخاصة أمراء آل مهنا وآل فضل، كما أنهم لجأوا إلى زرع الفرقة بين هؤلاء بعضهم ببعض بهدف تفتيت قوتهم، إلا أنها لم تنجح في ذلك.

وظلت بلاد الشام تعاني من هذا الوضع المتردي الذي ظل ملازماً لها حتـى نهاية حكم دولة المماليك البحرية، ليظل أرثاً ثقيلاً كان على الدولة الجديـدة، دولـة المماليك الجراكسة أن تواجهه.

المراجع

أ. المراجع باللغة العربية:

أبو الفداء، اسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهين، (ت٧٢٣هـ/١٣٣١م)، (١٩٩٧م)، **تاريخ أبي الفداء، المسمى المختصر في أخبار البشر**، ٢ج، علق عليه ووضع حواشيه محمود ايوب منشورات محمد علي بيضون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو الفضائل، المفضل، (١٩٢٨م)، **المنهج السديد والدرر الفريد فيما بعد ابن العميد**، باريس.

أبو شامه، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، (١٩٥٦،١٩٦٢م)، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: محمد حلمي محمد، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

الأحمد، سامي سعيد، (١٩٨٨)، **تاريخ الشرق القديم**، د. ط، بغداد.

أسعد، منير الخوري، (١٩٨٤)، **تاريخ حمص**،ط١، مطرانية حمص الأرثوذكسية.

الأنطاكي، يحي بن سعيد، ت (٤٥٨هـ/١٠٦٧م)، (١٩٩٠)، **تاريخ الأنطاكي** المعروف **بصلة تاريخ أوتيخا**، حققه وصنع فهارسه عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس.

ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد، (١٩٨٦)، **الفتوح**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن إياس، محمد بن أحمد(ت٩٣٠هـ-١٥٢٣م)، (١٩٨٣)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ابن آيبك، عبدالله الدواداري، (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، (١٩٦٠)، **كنز الدرر وجامع الغرر**(الدر الفاخر في سيرة الملك الناصرج٩، تحقيق هانس روبرت رومير، القاهرة.

ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبدالكريم(ت ٦٣٠هـ-١٢٣٢م)، (١٩٩٨)، **الكامل في التاريخ**، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبدالكريم(ت ٦٣٠هـ-١٢٣٢م)، (١٩٦٣)، **الباهر في الدولة الأتابكية**، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب المصرية، القاهرة.

ابن الديبع، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، (١٩٩٢م)، **نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية**، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

ابن العديم، عمر بن أحمد، (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، (د.ت)، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، عني بنشره وتحقيقه سامي الرهان، المعهد الفرنسي، دمشق.

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت٨٠٧هـ/١٤٦٨م)، (١٩٤٦م)، **تاريخ ابن الفرات**، د.ط، منشورات كلية العلوم والآداب الجامعة الأميركية،بيروت، د.ت، مج ٩، حققه وضبط نصه قسطنطين زريق، بيروت، ١٩٣٨، مج٨.

ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلى، (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)، (١٩٠٨م)، **ذيل تاريخ دمشق**، بيروت.

ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلى، (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)، (١٩٨٣م)، **تاريخ دمشق**(٣٦٠-٥٥٥هـ)، تحقيق سهيل زكار، ط١، دار حسان، دمشق.

ابن الوردي، سراج الدين عمر، (ت٧٤٩هـ-١٣٤٨م)، (١٩٦٩م)، **تاريخ ابن الوردي المسمى تتمة المختصر في تاريخ البشر**، المطبعة الحيدرية، النجف.

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي، (ت ٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة المسماة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار**، شرحها وكتب هوامشها طلال حرب، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، (١٩٥٦م)، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**،ج٦، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤، دار الكتب المصرية.

ابن تغري بردى، جمال الدين أبــو المحاســن يوســف، (ت٨٧٤هـــ/١٤٧٠م)، (١٩٩٧م)، **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**، تحقيق ودراســة وتعليق، نبيل محمد عبد العزيز، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت٨٧٤هــ/١٤٧٠م)، (١٩٩٨) **الدليل الشامي على المنهل الصافي**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت٨٧٤هــ/١٤٧٠م)، (د. ت)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج٧، ط٢، دار الكتــب العلميــة، بيروت - لبنان.

ابن حبيب، حسن بن عمر الحنفي، (ت٧٧٩هــ-١٣٧٧م)، (١٩٧٦م)، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبينه**، تحقيق محمد محمود أمين، مطبعة دار الكتب، الهيئة المصرية.

ابن حبيب، حسن بن عمر الحنفي، (ت٧٧٩هــ-١٣٧٧م)، **درة الاسلاك في دولــة الأتراك**، مخطوط بمكتبة الجامعة الأردنية. شريط رقم ١٨٤٧.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢هــ)،(١٩٨٦م)، **أنباء الغمر بأبنـــاء العمر**، ط٢، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢هــ)، (د.ت)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، د.ط**، مطبعة القاهرة.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هــ-١٤٠٦م)، (١٩٩٩م)، **تاريخ ابن خلدون**، طبعة جديدة مصححة ومنقحه، أعتنى بتصحيح ألفاظها والتعليق عليها تركي فرحان المصطفى، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ابن دقماق، صارم الدين، إبراهيم بن محمد بن أيــدمر العلائــي، (ت٨٠٩هـــــ-١٤٠٦م)، (١٩٨٥م)، **الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين(جزءان)** تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، ط١، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

ابن سباط ، حمزة بن أحمد بن عمر، (ت بعيد ٩٢٠هـ-١٥٢٠م)، (١٩٩٣م)، **صدق الأخبار (تاريخ ابن سباط)**، عنى به وحققه عمر عبد السلام تدمري ط١، جروس برس، طرابلس، لبنان.

ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل، (ت٩٢٠هـ)، (٢٠٠٢م)، **نيل الأمل في ذيل الدول**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

ابن عبد الظاهر، محي الدين، (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، (١٩٦١م)، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك منصور(المنصور قلاوون)**، ٦٧٨هـ-٦٨٩هـ، تحقيق مراد كامل، ط١.

ابن عبد الظاهر، محي الدين، (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، (١٩٧٦م)، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، ط١، الرياض.

ابن كثير، إسماعيل، (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، (١٩٨٨م)، **البداية والنهاية**، دار إحياء التراث العربي، ودار الكتب العلمية، بيروت.

ابن نظيف الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي، (٦٣٧هـ-١٢٤٠م)، (١٩٨١م)، **التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان**. عنى بنشره وتحقيقه أبو العيد دودو مراجعة عدنان درويش، مطبعة الحجاز، دمشق.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، (١٩٥٣-١٩٦٠م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، (ج٢، ج٣)، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج٥، تحقيق: حسنين محمد ربيع، راجعه سعيد عاشور.

الاصفهاني، محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، (١٩٨٧)، **البرق الشامي**، ج٥، تحقيق وتقديم: فالح صالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن.

البخيت، محمد عدنان، (١٩٧٦م)، **مملكة الكرك في العهد المملوكي**، ط١، ماحص.

البلادي، عاتق بن غيث، (٢٠٠٢م)، **الإشراف على تاريخ الأشراف**، ط١، دار النفائس، د.م.

البلاذري، أحمد بن جابر، (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، (١٩٨٣م)، **فتوح البلدان**، تحقيق محمد رضوان، المكتبة التجارية، مصر.

البلاذري، أحمد بن جابر، (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، (١٩٣٦م)، **انساب الأشراف**، مؤسسة الدراسات الشرقية، الجامعة العبرية القدس، نشر مكتبة المثنى، بغداد.

البنداري، الفتح بن علي بن محمد، (٦٤٣هـ)، (١٩٧٠م)، سنا البرق الشامي(**مختصر البرق الشامي لعماد الدين الاصفهاني**)، تحقيق رمضان شيش، مطابع الأمان، بيروت.

بولياك، (١٩٤٨م)، **الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين**، نقله عن الانكليزية: عاطف كريم، ط١، منشورات دار المكشوف بيروت، لبنان.

البيطار، أمينة، (١٩٨٠م)، **موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري**، ط١، دار دمشق، دمشق.

بيغو، نينا فكتورفيا، (١٩٨٥)، **العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس**، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، أشرف على طبعه قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

البيومي، إسماعيل، (١٩٩٨)، **النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الصحافة.

جمعة، محمود كريم، (٢٠٠٤م)، **الكرك عبر العصور(العصور القديمة)**، صدر عن جامعة مؤته، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الاردن.

جوزيف، نسيم يوسف، (١٩٨١م)، **العدوان الصليبي على مصر**، ط٢، دار النهضة العربية بيروت.

الحسو، أحمد عبدالله، (٢٠٠٤)، **الكرك عبر العصور"تاريخ الكرك في العصور الإسلامية"**، (١-٩٢٢هـ/٦٢٢-١٥١٦م)، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن.

حمارنه، صالح، (١٩٩٢م)، **مواقع ومدن في بلاد الشام ودورها في العصر العباسي المؤتمر الدولي لبلاد الشام (بلاد الشام في العصر العباسي** (١٣٢-٤٥١هـ/٧٥٠-١٠٥٩م)، عمان- الأردن.

الحموي، ياقوت بن عبدالله، (ت٦٢٦هـ-١٢٢٨م)، (د.ت)، **معجم البلدان**، طبعة جديدة مصححة ومنقحة قدم لها: محمد عبد القادر المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الحنبلي، عبد الحي بن العماد، (ت١٠٨٩هـ)، (د.ت)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، طبعة جديدة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الحياري، مصطفى، (د.ت)، **الإمارة الطائية في بلاد الشام**، وزارة الثقافة والشباب، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية.

الخالدي، بهاء الدين محمد بن لطف الله، (د. ت)، **المقصد الرفيع المنشا الحاوي إلى صناعة الإنشا**، مخطوط بمكتبة الجامعة الأردنية، شريط رقم ٤٢٠٤٥.

خريسات، محمد عبد القادر، (١٩٩٢م)، **تاريخ الأردن منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، الأردن.

خريسات، محمد وآخرون، (٢٠٠٠م)، **محاضرات في تاريخ الأردن وحضارته،ط١، مؤسسة حمادة، اربد، الأردن.**

خماش، نجدت، (١٩٨٧م)، **الشام في صدر الإسلام**، ط١، دار طلاس دمشق.

الدباغ، مصطفى مراد، (١٩٨٦م)، **القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين** ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.م.

الدوري، عبد العزيز، (١٩٧٤م)، **العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، مؤتمر بلاد الشام (تاريخ بلاد الشام** من ق ٦هـ ق ٧هـ)، ط١، الدار المتحدة للنشر، بيروت.

الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله، (ت٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، (١٩٨٥م)، **ذيول العبر في خبر من عبر**، حققه وضبطه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله، (ت٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، (١٩٧٤م)، **كتاب دول الإسلام**، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

رشيد الدباغ، بثينة، (١٩٧١م)، **الخلافة العباسية في مصر**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد.

رنسيمان، ستيفن، (١٩٩٧م)، **تاريخ الحروب الصليبية**، نقله إلى العربية السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

الروسان، محمود محمد،(١٩٨٧)، **القبائل الثمودية والصفوية**، دراسة مقارنة، مطابع جامعة الملك سعود.

الرويضي، محمود، (٢٠٠٠م)، **إمارة الرها الصليبية**، ط١، وزارة الثقافة، عمان.

زامباور،(١٩٨٠)، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، أخرجه زكي محمد حسن بك، وحسن أحمد محمود، وشترك في ترجمة فصوله سيده اسماعيل كاشف، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

زيادة، نقولا، (١٩٩١م)، **التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب**، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، ط٢، عمان.

سانوتو مارينو، (١٩٩٩م)، **كتاب الأسرار**، إعداد ومراجعة بلليغريتو رنكاليا وسمير الخادم، نقله إلى العربية سليم رزق الله، ط١، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت.

سبط بن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قراوغلي، (ت ٦٥٤هـ-١٢٥٦م)، (١٩٦٨)، **مرأة الزمان في تاريخ الأعيان**، عنى بنشره وراجعه وقابله بأصوله وعلق عليه: علي سويلم، مطبعة الجمعية التاريخية التركية، انقره.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، (ت ٧٧١هـ-١٣٧٠م)، (١٩٨٤م)، **معيد النعم ومبيد النقم**، ط١، دار الحداثة، بيروت، لبنان.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ-١٤٩٦م)، (١٩٩٥م)، **وجيز الكلام في الذيل على دولة الإسلام**، تحقيق بشار عواد معروف وأحمد الخطيمي ط٦، الرسالة، بيروت، لبنان.

سخنيني، عصام، (٢٠٠٣م)، **طغتيكين أتابك دمشـــق (٤٨٨-٥٢٢هـــــ/١٠٩٥-١١٢٨م)**، صفحة من تاريخ الصراع مع الفرنج، منشورات جامعة البتـــراء الخاصة، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية.

سعدي، أبو حبيب، (د.ت)، **مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية**، د.ط، لسان العرب، لبنان.

سعيد، فرحان أحمد، (١٩٨٣م)، **آل ربيعة الطائيون**، ط١، الدار العربية للموسوعات بيروت لبنان.

شبارو، عصام محمد، (١٩٨٧)، **تاريخ بيروت منذ أقدم العصـــور حتـــى القـــرن العشرين**، دار مصباح للفكر، بيروت، لبنان.

شهبة، تقي الدين أبي بكر الأسدي الدمشقي ابن قاضي شهبة، (ت٨٥١هـــ/١٤٤٨م) (١٩٩٤م)، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، تحقيق عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ليماسول، قبرص.

شهبة، تقي الدين أبي بكر الأسدي الدمشقي ابن قاضي شهبة،(ت٨٥١هـــ/١٤٤٨م)، (١٩٧١م)، **الكواكب الدرية في السيرة النورية**، تحقيق محمود زايد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن آبيك، (ت ٧٦٤هـــ/ ١٣٦٢م)، (١٩٩٨م)، **أعيـــان العصير وأعوان النصر**، ٥ج، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، ط١، دار الفكر، دمشق، بيروت، سوريا، لبنان.

الصوري، وليم، (١٩٨٠م)، **تاريخ الحروب الصليبية، نقله للعربية سهيل زكار، دار الفكر.**

الصيرفي، علي بن داود، (ت٩٠٠هـــ/١٤٩٤م)، (١٩٧١م)، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، تحقيق وتعليق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب د.م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (٣١٠هـــ-١٩٢٢م)، (د.ت)، **تاريخ الطبـــري تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، لبنان، د.ط.

عاشور، سعيد عبد الفتاح، (١٩٦٣م)، **الحركـــة الصـــليبية**، ط١، مكتبـــة الأنجلـــو المصرية، القاهرة.

عاشور، سعيد عبد الفتاح، (١٩٩٤م)، **العصر المماليكي في مصر والشام**، ط٣، مزيدة ومنقحة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.م؛ ١٩٧٦، دار النهضة العربية، بيروت، القاهرة.

عاشور، سعيد عبد الفتاح، (د.ت)، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، دار النهضة الحديثة، بيروت.

عاقل نبيه، (١٩٧٢)، **تاريخ العرب القديم وعصر الرسول**، ط٢، دار الفكر، دمشق.

عاقل نبيه، (١٩٨٧م)، **موقف سكان بلاد الشام من الفتح**، المؤتمر الدولي لبلاد الشام، عمان.

العبادي، أحمد مختار، (١٩٨٦م)، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

عباس، إحسان، (١٩٨٧م)، **تاريخ دولة الأنباط**، بيروت، ابن عبد الظاهر، محي الدين (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م).

عباس، إحسان، (١٩٩٠م)، **تاريخ بلاد الشام من ماقبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي**،(**٦٠٠-٦٦١هـ**)، د.ط، الجامعة الأردنية.

عبودي، هنري س، (١٩٨٨م)، **معجم الحضارات السامية**، ط١.

العزة، رئيسة عبد الفتاح طالب، (١٩٩٩م)، **نابلس في العصر المملوكي**، ٦٤٨-٩٢٣هـ،ط١، دار الفاروق، نابلس، فلسطين.

العسقلاني، أحمد إبراهيم الحنبلي، (ت٨٧٦هـ-١٤٧١م)، (د.ت)، **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، تحقيق ناظم رشيد.

عطاالله، محمود، (د.ت)، **نيابة غزة في العهد المملوكي**، دار الأفاق الحديثة بيروت.

علي، احمد اسماعيل علي، (١٩٨٣م)، **تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي(١٣٢-٢٥٥هـ/ ٧٥٠-٨٧٠م)**، دار دمشق.

علي، جواد، (١٩٧٦م)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد.**

العمري، أحمد بن علي بن فضل الله، (٧٤٩هـ-١٣٤٧م)، (١٩٩٢م)، **التعريف بالمصطلح الشريف**، دراسة وتحقيق سمير الدروبي، ط١، منشورات جامعة مؤتة، الكرك.

العمري، أحمد بن علي بن فضل الله، (٧٤٩هـ-١٣٤٧م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، أصدره فؤاد سزكين، طبع بالتصوير عن مخطوطه رقم ٢/٢٧٩٧، أحمد الثالث، استانبول.

العيني، بدر الدين محمود، (ت ٨٥٥هـ-١٤٥١م)، (١٩٩٢م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

غوانمة، يوسف درويش، (١٩٨٢م)، **التاريخ السياسي لشرق الأردن في العصر المملوكي**، ط٢، دار الفكر، عمان.

غوانمة، يوسف درويش، (١٩٨٢م)، **امارة الكرك الايوبية، دار الفكر، عمان.**

الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي، (١٩٨٥م)، **شفاء الغرام باخبار البلد الحرام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي.

فهد، توفيق، (١٩٩١م)، **ماوية وضجعم أو العرب والرومان في أواخر القرن الرابع**، المؤتمر الدولي الربابع لبلاد الشام(بلاد الشام في العهد البيزنطي)، ط٢، عمان، الأردن.

فوزي، فاروق عمر، (١٩٩٨م)، **الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار**، ط١، دار الشروق، عمان.

فوزي، فاروق عمر، (١٩٩٩م)، **تاريخ فلسطين في العصر الاسلامي الوسيط (١٣-٩٢٣ ه)**، ط ١، دار الشروق، عمان، الاردن.

القلقشندي، أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، (١٩٨٢م)، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، حققه وقدم له ووضع فهارسه ابراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

القلقشندي، أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، (د.ت)، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية

القلقشندي، أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، (د.ت)، **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الكندي أبو محمد بن يوسف، (ت٣٥٠هـ/٩٦١م)، (١٩٠٨م)، **الـولاة والقضـاة**، بيروت.

ماجد، عبد المنعم، (١٩٩١)، **موقف الروم العرب من الإسلام**، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام(بلاد الشام في صدر الإسلام)، ط٢، عمان.

مجهول، (منسوب خطأً لأبن الفوطي)، (١٩٣٢م)، **الحوادث الجامعـة والتجـارب النافعة في المائة السابعة**، المكتبة العربية، بغداد.

المدني، زياد، (١٩٨٣م)، **مدينة حلب في العصر المملوكي الثاني من خلال كتـاب المنتخب في تكملة تاريخ حلب**، رسالة ماجستير غير منشـورة، الجامعـة الأردنية، عمان.

المسبحي، محمد بن عبيد الله بن أحمد، (د.ت)، **أخبار مصر**، تحقيق أيمن فؤاد السيد، القسم التاريخي، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، (١٩٧٣م)، **مـروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط٢، دار الأندلس، بيروت.

المصري، أحمد بن محمد بن سليمان، (٨١٦هـ)، **تثقيـف التعريـف بالمصـطلح الشريف**، مخطوط في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية، شريط رقم ١٠٧٠.

مصطفى شاكر، (١٩٨٣م)، **دخول الترك الغز إلى الشام(مؤتمر بلاد الشام)**، ط١. عمان.

مصطفى شاكر، (١٩٩٢م)، **جنوب بلاد الشام في العصر العباسي(١٣٢ - ٣٥٨هـ/ ٧٥٠ - ٩٦٩)**، عمان الأردن.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت٨٤٥هـ-١٤٤٤م)، (١٩٦١م)، **البيـان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب**، تحقيق عبد المجيد عابدين.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت٨٤٥هـ-١٤٤٤م)، (١٩٩٧م)، **السـلوك لمعرفة دول الملوك**، ج٤، قام بنشره محمد مصطفى زيـادة ج١،ج٢، ط٢، لجنة التأليف، مصر الجديدة القاهرة،١٩٤١م-١٩٥٨ (ج٣-ج٢) تحقيق سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب، مصر١٩٧١-١٩٧٢، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت٨٤٥هـ-١٤٤٤م)، (د.ت)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار صادر بيروت لبنان.

مكارم، سامي نسيب، (١٩٨٣م)، **بنو الجراح أمراء الرملة**، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)، عمان.

الملاح، هاشم يحي، (١٩٩٤م)، **الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام**، الموصل.

المنصوري، ركن الدين بيبرس، (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)، (١٩٩٣م)، **مختار الأخبار،(تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ)**، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد الحميد صالح حمدان، ط١، الدار المصرية اللبنانية، والقاهرة.

المنصوري، ركن الدين بيبرس، (ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، (١٩٨٧م)، **كتاب التحفة الملوكية في الدولة التركية(تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨-٧١١هـ)**، نشره وقدم له ووضع فهارسه دكتور عبد الحميد صالح حمدان، ط١، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان.

المنصوري، ركن الدين بيبرس، (ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، (١٩٩٨م)، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق دونالدس ريتشاردز، ط١، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت.

المولى، سالم، (١٩٨٩م)، **العراق في السياسة المملوكية**، ٦٥٦-٧٨٤، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أحمد الحسو، جامعة الموصل.

النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، (ت ٩٧٨هـ-١٥٠٩م)، (١٩٩٠م)، **الدارس في تاريخ المدارس**، أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين، ط٦. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٣هـ-١٣٢٢م)، (١٩٨٠-١٩٨٥م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الهمداني، (د.ت)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد علي الاكوع الحوالي، دار اليمامة، الرياض.

اليافعي، عبد الله بن أسعد بن سليمان، (ت٧٦٨هـ/١٤٦٣)، (١٩٩٧م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

يحيى صالح بن، (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، (١٩٦٧م)، **تاريخ بيروت وهو أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب ببيروت**، أشرف على تحقيقه فرنسيس هورس الشيوعي، وكمال سليمان الصليبي، دار المشرق، بيروت، لبنان.

اليعقوبي، أحمد بن علي أبي يعقوب بن حفص، (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، (١٨٩١م)، **البلدان**، ليدن.

اليعقوبي، أحمد بن علي أبي يعقوب بن حفص، (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، (١٩٩٢م)، **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، لبنان.

اليوسفي، موسى محمد بن حي، (ت٧٥٩هـ/١٣٥٧م)، (١٩٨٦م)، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، تحقيق: أحمد حطيط، ط١، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦)،(١٩٦١م)، **ذيل مرآة الزمان**، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الركن، الهند.

ب. المراجع باللغة الأجنبية:

Quatremere. ١٨٣٧**,** Histoire des sultans mamlouks, **vols. Paris.**

Roberts (David), , ١٨٥٥-١٨٥٨**.** the Holy land,syria,Idumeu, Arabia, Egypt**,** ٦ **vols, london.**

Ziaden, ١٩٥٣**,Urban Life In Syria under the Early mamluks(Publication of the Faculty of Arts and Sciences,** American University of Beirut**.**

Muir(w) ١٨٩٦ the mamluke or salve dynasty of **,Egypyt,London**.

Lane poole, ١٩٥٦**,** Ahistory of Egypt in the middle ages**, London,**.

Setton (k) ١٩٦٢**,**Ahistory of the Grusades**,** ٢ **voles, London.**

Ayalon,D (١٩٥٨**), the system of payments in the mamluk military society,** Journal of the Economic and Social History of the Orient**, vol.**١**.**

lapidus, ١٩٦٧, Muslim cities in the later Middle Ages **,cambridg,mass, Harvard University Press,.**

Poliak,١٣٣٩**,** Feudalism in Egypt Syria Palestine and the Lebanon,**١٢٥٠-١٩٠٠. London**

الملحق (أ)

نص تقليد أصدره السلطان الملك المنصور قلاوون بتسليم أمرة عرب الشام إلى الأمير فخر الدين عثمان سنة ٦٧٩هـ، وهو من أنشاء المؤرخ ابن عبدالظاهر

الملحق (أ)

نص تقليد أصدره السلطان الملك المنصور قلاوون بتسليم أمرة عرب الشام إلـــى الأمير فخر الدين عثمان سنة ٦٧٩هـــ، وهو من أنشاء المؤرخ ابن عبدالظاهر

الحمد لله الذي خص من والى هذه الدولة بالتقدمة والفخر، ورمى من عاداها بالمذلة والقهر، ومدّ في عمر أيامها حتى يستنفذ الدهر، وحتى توصف أيامهـــا وإن قصرت بالمسار بأن كل شهر يمر منها كالعام واليوم كالشهر.

نحمده على ما منحها من تأييد وظفر، وطوى دعوة من عاندها بعد النشـــر. ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، شهادة إن دخلت شواهدها تحت الإحصاء، فلا تدخل فوائدها تحت الحصر، وأن حمداً عبده ورسوله، الذي جعل به الهداية في المبدأ والشفاعة في المعاد يوم الحشر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد بعد الشقاء، وتجبر بعد الكسر.

وبعد فإن الله سبحانه وتعالى لما مكّن لنا في الأرض، وجعل بيـــدنا البســـط والقبض، وأرانا كيف نصنع الجميل ونجمل الصنع، وكيف نجبر قلب من جعل فـــي أيامنا جبره بعد الصدع، وكيف تصبح أنجم دوى الأقدار في ســـماء مملكتنـــا نيـــرة المطالع وكيف نلقي الخير في عراصها من رامهُ، إذا كان على الخير في غير أيامنا مانع، وكيف نحل التقدمة فيمن إذا دخل في حللها، قيل هذا أحق بها ممن كان، وهذا الذي مابرحت التقدمة في بيته في صدر الزمان. وهذا الذي إذا ذكر آل فضل، وآل على كانت له مرتبة الشرف، ولا غرو أن تكون مرتبة الشرف لعثمان، وأننا لا نمطي صهوة العز الا لأهلها، ولا ننسخ الآية لمن تقدم في التقدمة الا بخير منها أو مثلهـــا، ولا نتسلم رايتها الا لمن تعقد عليه الخناصر، ولا يتسنم ذروتها الا من هو أحق بها، وأهلها في الأول والآخر.

ولما كان المجلس السامي الأميري فخر الدين عثمان بن الأمير مانع بن هبة هو المراد بهذا القول الحسن، والممدوح بحشد هذا المدح الذي يسر الســـر والعلـــن والحقيقة من الاحسان بكلما....، والخصيص من سوالف الخدم بما، والمفضل علـــى سائر النظراء، ولو قيس بمن اقتضى حسن الرأي الشريف أن رسم بالأمر الشريف العالي، ولا زال ذو القدر في أيامه يرتفع، وذو الفضل في دولته ولا يعز عليه مطلب

ولا يمتنع، وذو الأصالة التي يجتمع له فيها من النعماء ما لا يلتئم له في غيرها، ولا يجتمع أن تفوض له التقدمة على العربان بالشام المحروس، وهم من يأتي ذكره على ما يستقر عليه الحال في ترتيبهم، وأن يكون منازله اللازم له حفظها بعدا أوقرباً، حضراً وبدواً، عامراً وغامراً رايحاً، من الرستن إلى الملوحة، والعرب آل فضل، وآل علي، حيث ساروا نزلوا بمنزلة المذكور، أو بمنزلة الأمير شمس الدين محمد بن أبي بكر، والخدمة واحدة، والكلمة على اتفاق المصالح متعاضدة. فليكن للتقوى جسد روحها، لا بل روح جسدها. ولجموع القبائل أوحد عددها، إذ صح الأول من عددها وقطب فلكها الذي على تدبيره مدارها، وعلى تقريره اقتصارها، وعلى تقدمته تعويلها، والى نسبه إمارته جملتها وتفصيلها، وليجمعهم على الطاعة، فإن الطاعة ملاك الأمر للآمر، وأس الخير للبادي والحاضر. وليعلم أن لكل منهم بيتاً به يعرف، أو علمية أصالة بها يعرف، ومنزلة يرثها الولد عن الوالد، ومشيخة ترجع من ذلك البيت إلى ذلك الواحد، فليحفظ لهم الأنساب، وليرع لهم الأسباب، وإذا أمروا بأمر من مهام الدولة يتلو عليهم: أدخلوا الباب. والإلزم له ولهم مخايض تحفظ، ومفاوز تلحظ، ومطارح لا تلفظ، ومشاتى ومصايف ومقانص ومصارف ومرابع ومراتع ودنو واقتراب، وتوطن واغتراب، وإغارة ونهيض وبرق ووميض، فيرتب ذلك أجمل ترتيب، وليسلك فيه خير مهذب وتهذيب، وليردع الصادي، ويلاحظ الرايح والغادي، وليؤمن ذلك تأميناً تطرب أنباؤه المحدو والحادي، وعليهم عداد مقرر وقانون محرر، فليكن على يد شاده شادا، ولسبب تأييدهم مادا، ويعلم أنه وإن كان قد أغمض من جفونه فيما مضى، وأعرض عنه في الزمن الأول من أنقضى، وقدم عليه من كان دونه، فقد رد الله له أبكار الأمر وعونه، فلا يجعل لقائل عليه طريقاً، ولا يدخل في أمر يقال عنه فيه: كان غيره به حقيقاً، بل يفوق من تقدم في الخدمة والهمة، والصرامة والعزمة، والله تعالى يوزعه شكر النعمة والخط الشريف[٧٣٦].

---

(٧٣٦) المصدر نفسه، مج٧، ص١٧٧- ١٧٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص١٢٨-١٣٠.

ملحق (ب)

نص تقليد أصدره الملك الناصر محمد بن قلاوون قلد بموجبه إمره آل فضل إلى الأمير شجاع الدين فضل بن عيسى وهو من انشاء شهاب الدين محمود الحلبي صدر هذا التقليد بعد عزل الأمير مهنا بن عيسى أمير آل فضل وأمير عرب الشام سنة ٧١٢هـ بسبب خروج الأخير عدة طاعة السلطان

ملحق (ب)

نص تقليد أصدره الملك الناصر محمد بن قلاوون قلد بموجبه إمره آل فضل إلى الأمير شجاع الدين فضل بن عيسى وهو من انشاء شهاب الدين محمود الحلبي صدر هذا التقليد بعد عزل الأمير مهنا بن عيسى أمير آل فضل وأمير عرب الشام سنة ٧١٢هـ بسبب خروج الأخير عدة طاعة السلطان

نص تقليد أصدره الملك الناصر محمد بن قلاوون قلد بموجبه إمره آل فضل إلى الأمير شجاع الدين فضل بن عيسى وهو من انشاء شهاب الدين محمود الحلبي صدر هذا التقليد بعد عزل الأمير مهنا بن عيسى أمير آل فضل وأمير عرب الشام سنة ٧١٢هـ بسبب خروج الأخير عدة طاعة السلطان(*).

الحمد لله الذي منح آل فضل في أيامنا الزاهرة بحسن الطاعة فضلاً وقدم عليهم بقديم الإخلاص في الولاء من أنفسهم شجاعاً يجمع لهم على الخدمة إلفة، وينظم لهم على المخالصة شملاً، وحفظ عليهم من إعزاز مكان بيتهم لدينا مكانة لا تنقض لها الأيام حكماً ولا تنقص لها الحوادث ظلاً.

نحمده على نعمه التي شملت ببرنا الحضر والبدو، وألهجت بشكرنا ألسنة العجم في الشدو والعرب في الحدو، وأعملت في الجهاد بين يدينا من اليعملات ما يباري بالنص والعنسق الصافنات في الجنب والعدو، ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة ندراً بها الأمور العظام، ونقلد بيمنها ما أهم من مصالح الاسلام لمن يجري بتدبير على أحسن نظام، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث من أعلى ذوائب العرب وأشرفها، المرجو شفاعة العظمى يوم طول عرض الأمم وهول موقفها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كرمت بالوفاء أنسابهم، وأضاءت بتقوى الله وجوهم وأحسابهم، صلاة لا تزال الألسن تقيم نداءها، والأقلام ترقم رداءها وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: فإن أول من أجنته الطاعة ثمرة إخلاصه، ورفعته المخالصة إلى أسنى رتب تقريبه واختصاصه، وألف بمبادرته إلى الخدمة الشريفة قلوب القبائل وجمع

(*) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص١١٨- ١٢٠.

شملها، وقلده حسن الوفاء من أمر قومه وإمرتهم ما يستشهد فيه بقول الله تعالى: (وَكَانُواْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) (**)، من ارتقى إلى أسنى رتب دنياه بحفظ دينه، ودل تمسكه بأيمانه على صحة إيمانه وقوة يقينه، ولاجظته عيون السعادة فكان في حزب الله الغالب، وهو حزبنا، وقابلته وجوه الاقبال فأرته أن المغبون من فاته تقريبنا وقربنا، ورأى احساننا إليه بعين لم يطرفها الجحود ولم يطرقها إعراض السعود، فسلك جادة الوفاء وهي من أيمن الطرق طريقاً، واقتدى في الطاعة والولاء بمن قال فيهم بمثل قوله: (وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً) سورة النساء آية٦٣.

ولما كان المجلس العالي... هو الذي حاز من سعادة الدنيا والآخرة بحسن الطاعة ما حاز، وفاز من برنا وشكرنا بجميل المبادرة إلى الخدمة بما فاز، وعلم مواقع إحساننا إليه فعمل على استدامة وبلها واستزاده فضلها، والارتواء من معروفها الذي باء بالحرمان منه من خرج عن ظلها، مع ما أضاف إلى ذلك: من شجاعة تبيت منها أعداء الدين على وجل، ومهابة تسري إلى قلوب من بعد من أهل الكفر سرى ما قرب من الأجل- اقتضت آراؤنا الشريفة أن نمد على أطراف الممالك المحروسة منه سوراً مصفحاً بصفاحة، مشرفاً باسنة رماحه.

فرسم بالأمر الشريف العالي- لا زال يقلد وليه فضلاً؛ ويملأ ممالكه إحساناً وعدلاً- أن يقدم إليه كيت وكيت: لما تقدم من أسباب تقديمه، وأومئ إليه من عنايتها بهذا البيت الذي هو سر حديثه وقديمه ولعلمنا بأولويته التي قطبها الشجاعة وفلكها الطاعة ومادتها الأمانه والتقى، وجادتها الأمانة التي لاتستزلها الأهواء ولا تستفزها الرقي.

وليكن لأخبار العدو مطالعاً ولنجوى حركاتهم وسكناتهم على البعد سامعاً ولديارهم كل وقت مصبحاً حتى يظنوه من كل ثنية عليهم طالعاً، وليدم التأهب حق لا تفوته من العدو غارة ولا غرة، ويلزم أصحابه بالتيقظ لإدامة الجهاد الذي جرب الأعداء منه مواقع سيوفهم غير مرة، وقد خبرنا من شجاعته وإقدامه وسياسته في نقض كل أمر وإبرامه ما يغني عن الوصايا التي ملاكها تقوى الله تعالى، وهي من

(**) سورة الفتح آية ٢٦.

سجاياه التي وصفت وخصائصه التي ألفت وعرفت، فليجعلها مرآة ذكره وفاتحة فكرة والله تعالى يؤيده في سره وجهره بيمنه وكرمه. إن شاء الله تعالى.

ملحق (ج)

نسخة مرسوم شريف بإمره آل فضل، كتب بها للأمير حسام الدين مهنا بن عيسى

ملحق (ج)

نسخة مرسوم شريف بإمره آل فضل، كتب بها للأمير حسام الدين مهنا بن عيسى(*)

" الحمد لله الذي أرهف حسام الدين في طاعتنا بيد من يمضي مضاربه بيديه، وأعاد أمر القبائل وإمرتهم إلى من لا يصلح أمر العرب إلا عليه، وحفظ رتبة آل عيسى باستقرارها لمن لا يزال الوفاء والشجاعة والطاعة في سائر الأحوال منسوبات إليه، وجعل حسن العقبى بعنايتنا لمن لم يتطرق العدو إلى أطراف البلاد المحروسة إلا ورده الله تعالى بنصرنا وشجاعته على عقبيه.

نحمده على نعمه التي ما زالت مستحقة لمن لم يزل المقدم في ضميرنا، المعول عليه في أمور الإسلام وأمورنا، المُعَيَّنَ فيما تنطوي عليه أَثْنَاءُ سَرَائِرنا ومَطَاوِي صُدُورِنا، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له شهادةً تُوجِبُ على قائلها حسن التمسك بأسبابها، وتقتضي للمخلص فيها بذل النفوس والنفائس في المحافظة على مصالح أربابها، وتكون للمحافظ عليها ذخيرة تتقدم النفوس بطاعتها وإيمانها وأنسابها، ونشهد أن محمداً عبدهُ ورسولُه المبعوث من أشرف ذوائب العرب أصلاً وفرعاً، المفروضة طاعته على سائر الأمم ديناً وشرعاً، المخصوص بالأئمة بثوا دعوته في الآفاق على سعتها ولم يضيقوا لجهاد أعداء الله وأعدائه ذرعاً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حازوا بصحبته الرتب الفاخرة، وحصلوا بطاعة الله وطاعته على سعادة الدنيا والآخرة، وعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف فلم يزحزحهم عن ظلها الركون إلى الدنيا الساخرة، صلاة تقطع الفلوات ركائبها، وتسري بسالكي طرق النجاة نجائبها، وتنتصر بإقامتها كتائب الإسلام ومواكبها، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن أولى من تلقته رتبته، التي توهم إعراضها بأيمن وجه الرضا، واستقبلته مكانته، التي تخيل صدودها بأحسن مواقع القبول التي تضمنت الاعتداد من الحسنات بكل ما سلف والإغضاء من الهفوات عما مضى، وآلت إليه إمرته التي التي خافت العطل منه وهي منه وهي به حاليه، وعادت منزلته إلى ما ألفته لدينا: من

(*) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص١٢١- ١٢٤.

مكانةٍ مكينةٍ وعرفته عندنا: من رتبةٍ عالية- من أمنت شمس سعادته في أيامنا مــن الغروب والزوال، ووثقت أسباب نعمه بأن لا يروع مريرها في دولتنا بالانتفاض ولا ظلالها بالانتقال، وأغنته سوابق طاعته المحفوظة لدينا عن توسط الوسائل، واحتجت له مواقع خدمة التي لا تجحد مواقفها في نكاية الأعداء ولا تنكر شهرتها في القبائل، وكفل له حسن رأينا فيه بما حقق مطالبه، وأحمد عواقبه، وحفظ له وعليــه مكانتــه ومراتبه؛ فما توهم الأعداء أن برقة، خبا حتى لمع، ولا ظنوا أن ودقة، أقلــع حتــى همى وهمع، ولا تخيلوا أن حسامه نبا، حتى أرهفته عنايتنا فحيثما حل من أوصالهم قطع؛ وكيف يصاغ مثله؟ وهو من أركان الإسلام التي لا تنزل الأهواء ولا ترتقــي الأطماع متونها، ولا {تستقل} الأعداء عند جهادها واجتهادها في مصــالح الإســلام حسبها ودينها.

ولما كان المجلس العالي... هو الذي لا يحول اعتقادنا في ولائه، ولا يــزول اعتمادنا على نفاذه في مصالحنا ومضائه، ولا يتغير وثوقنا به عما في خواطرنا من كمال دينه وصحة يقينه، وأنه ما رفعت بين يدينا راية جهاد إلا تلقاها عرابة عزمــه بيمنه؛ فهو الولي الذي حسنت عليه آثار نعمنا، والصفي الذي نشأ في خدمة أسلافنا ونشأ بنوه في خدمنا، والتقى الذي يأبى دينه إلا حفظ جانب الله في الجهاد بين يــدي عزيمتنا وأمام هممنا- اقتضت آراؤنا الشريفة أن نصرح له من الإحسان بما هو في مكنون سرائرنا، ومضمون ضمائرنا، ونعلن بأن رتبته عندنا بمكان لا تتطاول إليه يد الحوادث، ونبين أن أعظم أسباب التقدم ما كان عليه من عنايتنا وآمتناننا أكرم بواعث.

فلذلك رسم أن يعاد إلى الإمرة على أمراء آل فضل، ومشايخهم ومقــدميهم، وسائر عربانهم، ومن هو مضاف لهم ومنسوب اليهم، على عادته وقاعدته.

فليجر في ذلك على عادته التي لا مزيد على كمالها، ولا محيد عن مبدئها في مصالح الإسلام ومآلها، آخذاً للجهاد أهبته من جمع الكلمة واتحادها، واتخاذ القــوة وأعدادها، وتضافر الهمم التي ما زال الظفر من موادها والنصر من إمدادها وإلزام امراء العربان بتكميل أصحابهم وحفظ مراكزهم التي لا تسد أبوابها الا بهم، والتيقظ لمكايد عدوهم، والتنبه لكشف أحوالهم في رواحهم وغدوهم، وحفظ الأطراف التي هم سورها من أن تسورها مكايد العدا، وتخطف من يتطرق إلى الثغور من قبل أن يرفع

إلى أفقها طرفاً أو يمد على البعد إلى جهتها المصونة يداً، وليبث في الأعـــداء مـــن مكابد مهابته ما يمنعهم القرار ويحسن لهم الفرار، ويحول بينهم وبين الكرى لاشتراك اسم النوم وحد سيفه في مسمى الغرار.

وأما ما يتعلق لهذه الرتبة من وصايا قد ألفت من خلاله، وعرفت من كماله، فهو ابن بجدتها، وفارس نجدتها، وجهينه أخبارها، وحلبة غايتها ومضمارها، فيفعل في ذلك كله ما شكر من سيرته، وحمد من إعلانه وسريرته؛ وقد جعلنا فـــي ذلـــك وغيره من مصالح إمرته أمره من أمرنا: فيعتمد فيه ما يرضى الله تعالى ورســـوله، ويبلغ به من جهاد الأعداء أمله وسوله؛ والله الموفق بمنه وكرمه! والاعتماد...

ملحق (د)

نسخة مرسومٍ شريف بإمرة آل علي، كتب به للأمير عز الدين جماز بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر من إنشاء المقر الشهابي ابن فضل الله العمري

ملحق (د)

نسخة مرسومٍ شريف بإمرة آل علي، كتب به للأمير عز الدين جماز بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر من إنشاء المقر الشهابي ابن فضل الله العمري (*)

"الحمد لله الذي أنجح بنا كل وسيلة، وأحسن بنا الخلف عمن قضى في طاعتنا الشريفة سبيله، ومضى وخلى ولده وسيلة وأمسك به دمعة السيوف في خدودها الأسيلة، وأمضى به كل سيفٍ لا يزد مضاء مضاربه بخيله، وأرضى بتقليده كل عنق وجمل كل جميلة.

نحمده على كل نعمه جزيلة وموهبةٍ جميلة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً ترشدُ من اتخذ فيها نجوم الأسنة دليله، وتجعل أعداء الله بعز الدين دليله، وأن محمداً عبدهُ ورسولهُ الذي أكرم قبيله، وشرف به كل قبيلة، وأظهر به العرب على العجم وأخمد من نارهم كل فتيلة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة بكل خيرٍ كفيل، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فغن دولتنا الشريفة لما خفق على المشرق والمغرب جناحها، وشمل البدو والحضر سماحها، ودخل في طاعتها الشريفة كل راحل ومقيم في الأقطار، وكل ساكنٍ خيمةٍ وجدار - ترعى النعم بإبقائها في أهلها، وإلقائها في محلها، مع ما تقدم من رعاية توجب التقديم، وتودع بها الصنائع في بيتٍ قديمٍ، وتزين بها المواكب إذا تعارضت جحافلها، وتعارفت شعوبها وقبائلها، واستولت جيادها على الأمد وقد سبقت أصائلها، وتداعت فرسانها وقد أشتبهت مناسبها ومناصبها ومناصلها؛ وكانت قبائل العربان تعمهم دعوتنا الشريفة، وتضمهم طاعتنا التي هي لهم أكمل وظيفة، ولهم النجدة في كل باديةٍ وحَضر، وإقامة وسَفر، وشامٍ وحجاز، وإنجاد وإنجاز، ولم يزل (لآل عليّ) فيهم أعلى مكانة، وما منهم الا من توسد سيفه وافترش حصانه، وهم من دمشق المحروسة رديف أسوارها، وفريدُ سوارها، والنازلون من أرضها في أقرب مكان، والنازحون ولهم إلى الدار بها أقطار وأوطان؛ قد أحسنوا حول البلاد الشامية

(*) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص١٢٤- ١٢٨.

مقامهم، واستغنوا عن المقارعة على الضيفان لما نصبوا بقارعة الطريق خيـــامهم، وباهوا كل قبيلة بقوم كاثر النجوم عديدهم، وأوقدوا لهم في اليفاع ناراً إذا همى القطر شبتها عبيدهم؛ ومن آل فضل حيث ككان عليها، وحديثه في المسامع حليهـــا؛ فلمـــا انتهت الإمرة إلى أمير المرحوم شمس الدين، محمد ابن أبي بكر رحمه الله- جمعهم على دولتنا القاهرة، وأقام فيهم يبتغي بطاعتنا الشريف رضا الله والدار الآخرة؛ ثـــم أمده الله من ولده بمن ألقى إليه همه، وأمضى به عزمه، ونفذ حكمه، ونفل قسمه.

وكان الذي يتحمل دونه مشتقات أمورهم، ويتلقى شكاوى آمرهم ومأمورهم؛ ويرد إلى أبوابنا العالية مستمطراً لهم سحائب نعمنا التي أخصب بها مرادهم، وساروا في الآفاق ومن جدواها راحلتهم وزادهم، وتفرد بما جمعه من أبوته وإبائه، وركز في كل أرضٍ مناخ مطية ومرسى خبائه، وضاهى في المهاجرة إلى أبوابنـــا الشـــريفة النجوم في السرى، وحافظ على مراضينا الشريفة فما أنفك من نار الحرب غلا إلى نار القرى، وورد عليه مرسومنا الشريف فكان أسرع من السهم في مضائه. كم لـــه من مناقب لا يغطي عليها ذهب الأصيل تمويهاً!، وكم تنتقل من كور. إلى سرج ومن سرج إلى كورٍ فتمنى الهلال أن يكون لهما شبيهاً!؛ كم أجمل في قومه سيرة! وكـــم جمل سريرة!؛ كم أثمر لها أملاً!؛ كم أجمل في قومه سيره!، كم جمع فـــي مهماتنـــا الشريفة كل من أمتطى فرساً وركب جملاً!، كم صفوف به تقدمت وسيوفٍ أقدمت، وحتوف حمائم الحمام بها على الأعداء ترنمت!!.

وكان المجلس السامي الأميري، الأجلي، الكبيري، المجاهـــدي، المؤيـــدي، العضدي، النصيري، الأوحدي، المقدمي، الذخري، الظهيري، الأصيلين مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء في العالمين، همام الدولة، حسام الملة، ركن القبائل، ذخر العشائر، نصرة الأمراء والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين"جماز بن محمد"أدام الله نعمته: هو المراد بما تقدم، والأحق بأن يتقدم، والذي لو أن الصباح صوارم والظلام جحافل لتقدم؛ فلما مات والده رحمه الله نحا إلى أبوابنا العالية، ونور ولائه يسعى بين يديه، ووقف بها: وصدقاتنا الشريفة ترفرف عليه، فرأينا أنه بقية قومه الذين سلفوا، وخلف آبائه الذين عن زجر الخيل ما عزفوا، وكبيرهم الذي يعتـــرف لـــه والـــدهم

ووليدهم، وأميرهم،الذي به ترعى عهودهم، وشجرتهم التي تلتف عليه من أنســـابهم فروعاً، وفريدهم الذي تجتمع عليه من جحافلهم جموعاً.

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة آل عليّ: تامة عامة، كاملة شاملة، يتصرف في أمورهم، وآمرهم ومأمورهم، قرباً وبعداً، وغوراً ونجداً، وثغاء وصرير وصليل على أكمل عوائد أمراء كل قبيلة ، وفي كل أمورهم الكثيرة والقليلة.

ونحن نأمرك بتقوى الله فيها صلاح كل فريق، وإصلاح كل رفيق، ونجاح كل سالك في طريق والحكم: فليكن بما يوافق الشرع الشريف، والحقوق: فخلصها على وجه الحق من القوي والضعيف، والرفق بمن وليته من هذا الجم الغفير والجمع الكبير وإلزام قومك بما يلزمهم من طاعتنا الشريفة التي هي من الفروض اللازمة علـــيهم والقيام في مهاماتنا الشريفة التي تبرز بها مراسمنا المطاعة إليك وإلـــيهم، وحفـــظ أطراف البلاد والذب عن الرعايا من كل طارق يطرقهم إلا بخير والمسارعة إلى ما يرسم لهم ىبه ما دامت الأسفار في عصاها سير، والإفراج لعربك لا تسمح بـــه إلا لمن له حقيقة وجود، وله في الخدمة الشريفة أثر موجود، ومنعهم: فلا يكون إلا إذا توجه منعهم أو توانت عزائمهم وقل نفعهم والمهابة: فانشرها كسمعتك في الآفاق ودع بوارق سيوفها تشام بالشام وديمها تراق بالعراق وخيول التقادم: فارتد منها كل سابق وسابقة تقف دونهما الرياح، ويحسدهما الطير إذا طارا بغير جناح؛ ولا تتخذ دوننا لك بطانة ولا وليجة ولا تقطع عنا أخبارك البهيجة وليعرف قومه له حق ويوفـــوه مـــن التعظيم مستحقة، فإنه أميرهم وأمره من أمرنا المطاع، فمن نارع فقد خالف الـــنص والإجماع؛ والله تعالى يوفقه ما أستطاع ، بمنه وكرمة! والخط الشريف.

ملحق (هـ)

نسخة مرسوم شريف بنصف إمرة آل مراء، كتب به لقناة بن نجاد

ملحق (هـ)

نسخة مرسوم شريف بنصف إمرة آل مراء، كتب به لقناة بن نجاد سنة ٧٣٣هـ من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله العمري[*]

"الحمد لله الذي استخدم لنصرنا كل سيف وقناة وكل سرعة وأناة وكل مثقف تسلى وجناياته ويعذب جناه وكل ماضٍ لا يعوقه عن مقاصده الصالحة يعوق وهو عبد مناة".

نحمده حمد من أغناه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستمد من قبلها فلق الصباح سناه، ويفك منها من قبضة السيوف عناة. ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي (بوأه منازل الشرف) وبناه، وأحله من العرب في مكان يخضع له رأس كل جبار ويخشع بصره وتستمع لما يوحى أذناه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تخصهم من كل شرف بأسماه وأسناه وسلم تسليماً.

وبعد فإن لكل ثاكلة قراراً، ولكل هاجرةً مزارا، ولكل معصم سواراً لا يليق إلا بزنده ولكل عنق دراً لا يصلح إلا لعقده ولكل سيف طال هجوعه في غمده انسلالا ولكل قناة لم تعتقل مدة أعتقالا وكانت إمرة آل مراء قد ثبتت من البيت الأحمدي بأوثق أوتادها ووصلت منه في الرفعة إلى نجادها ولم تزل تنتقل في آفاقها بدورهم الطالعة وتضيئ عليها من سفاحهم بروقها اللامعة وتجول فيها من سوابقهم السحب الهامعة وتغني في حروبها عزائمها إذا و قعت الواقعة؛ وتقدمت للمجلس السامي الأميري الفلاني بركابنا الشريف صحبة حمد فيها السرى وخدمة أوقدت له نار القرى وهاجر إلينا في وقت دل على وفائه وسهر إلى قصدنا الليل وله النجم محيط المقل بإغفائه وانقطع إلينا بأمله ولازم من عهدنا الشريف صالح عمله، واستحق تعجيل نعمنا الشريفة وإن تأخرت لأجل موقوت وأمل نجاحه لا يفوت.

فلما آن أن تفاض عليه ثيابها ويضاف إليه ثوابها ويصرف في قومه أمره ويشرف بينهم قدره ويعرف من لم يعرف المسك أنه عندنا ذكره ومن جهل البر أنه على ما يحمد عليه شكره ومن أنكر أن شيئاً أصعب من الموت: أنه في مجال الموت

---

[*] القلقشندي، صبح الأعشى ج١٢، ص ١٣٢-١٣٦.

صبره ومن خالف فيما هو أمضى من القضاء: أنه في البيعة صدره ومن أدعى أنه لا تصيب البيض والسمر: أنها نثقفته وبتره، وزال من هذا البيت العريق الطود وهو ثابت، ونزع منه السنان لولا أنه في قناته نابت؛ و(لولاه) لهاجت هذه القبيلة إلى من يقبل على نباتها ويقيل بها: تارة ينجد في نجدها وأخرى يحول في جولاتها رسم بالأمر الشريف أن يقلد من إمرة آل مراء ما كان الأمير "ثابت بن عساف" رحمه الله يتقلده إلى آخر وقت، ويرفع فيها إلى كل مسامته وسمت ليكمل ما نقص من التمام وصفه، ويعلم أنه حلق إليه حتى أتى دون نصف البدر فاختطف النصف وذلك النصف هو نصفه؛ ليكون لهم إحدى اليدين، وأخرى تقع لسيف بحدين.

وتقوى الله أبرك ما اشتملت عليه عودها وانتخبت له زبيدها؛ فليتخذها له ذروة يهتدي بها أنى سلك من الفجاج واقتحم من حلك العجاج وعليه بحسن الصحبة لرفيقه، ويمن القبول على فريقه وإقامة الحدود على ما شرع الله من دينه القويم وإدامة التيقظ (للثأر) المنيم وإنزال عربه ومن ينزل عليه أو ينزل عليهم في منازلهم.

وليجمع قومه على طاعتنا الشريفة كل الجمع ويقابل ما ترد به مراسمنا المطاعة عليه بما أوجب الله لها من الطاعة والسمع وليأخذ للجهاد أهبته ويعجل إليه هبته وليقف من وراء البلاد الشامية المحروسه دريئة لأسوارها المنيعة، ونطاقاً على معاقلها الرفيعة وسداً من بين أيديها وخلفها لباب كل ذريعة وخندقاً يحوط بلادها الوسيعة وحجاباً يمنع فيها من تعدى الحق وخاض الشريعة، ولا يفارق البلاد حتى يعبس في وجوهها السحاب، ولا يعود حتى تؤذن زروعها المخيمة بذهاب؛ والكرم هو فيه سجايا والعزم ما برح لوشان أسنته بكل قناة لحايا، والحزم بيده المراوية من آل مراء يظهر له الخفايا والشجاعة هو في رباها المنيرة "ابن جلا وطلاع الثنايا"؛ وما وضع له المرمل كأفاويق الوفاق ولا وضع شيئاً في موضعه كمداراة الرفاق؛ فليكن لرفيقه أكثر مساعدة من الأخ لأخيه، وأكبر معاضدة من المصراع لقسيمة والجفن لجفنه والشيء لما يؤاخيه هذا يجب ويتعين وليس يجمعهما فرد طاعة، ولا يلزمهما لشيء واحد استطاعة فكيف وهو(و)رفيقه إلينا أعتزاؤهما ومنا إعزازهما، وهما فرعان معتنقان: لدينا إجناؤهما وبيدنا إهزازهما.

وليحصل من الخيل كل سابقة تليق أن تقدم إلينا وسابحة في كل مهمة حـــين يقدم علينا طول الشرع الشريف يكون إليه مآبك وعليه عفوك وعقابك وبمقتضاه عقد كل نكاح لا يصح إلا على وجهه المرضي وإلا فهو سفاح، والميراث على حكمة لمن جره إليه وإلا فهو ظلم صراح وبقية ما نوصيه كبه إذا أنتهى منه إلى هذه النبذة فما عليك في سواها جناح. وسبيل كل واقف على تقليدنا هذا أن ينيب إلـــى نصوصـــه ويؤوب إلى عمومه وخصوصه والحذر من الخروج عنه بقول أو عمل فالسيف أسبق من العذل؛ والله تعالى يمتعه بما وهبه من العز في النقل، والمحاسن التي هـــي يـــد المسامع والأفواه والمقل والخط الشريف أعلاه.

ملحق (و)

نسخة مرسوم شريف بربع إمرة بني مهدي

ملحق (و)

نسخة مرسوم شريف بربع إمرة بني مهدي [*]

"أما بعد حمد الله على نعمه التي حققت في كرمنا المآرب وأجزلت من آلائنا المواهب، وقربت لمن رجانا بإخلاص الطاعة على ما يأبى عليه من المطالب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من أشرف ذوائب لوي بن غالب المخصوص باللواء الذي لا يضحى من أوى إلى ظله والحوض الذي لا ظمأ بعد وروده لشارب وعلىآله وصحبه الذين فازوا من صحبته وطاعته بأسمى المراتب وأسنى المناقب فإن أولى من رفعت رعايتنا قدره، وأطلعت عنايتنا في أفق السعادة بدره، وحققت آلآونا سوله، وبلغته صدقاتنا مرامه ومأموله- من أحكم في طاعتنا أسباب ولائه، وأتقن في خدمتنا انتساب بعيده وأنتمائه وتقرب إلينا بإخلاصه في اجتهاده ومت بما يرضينا من احتفاله بأمور جهاده، مع ما تميز به من أسباب تتقاضى كرمنا في تقديمه، وتقتضي إجراء على ما الف أولياء الطاعة من حديث إحساننا وقديمه.

ولما كان فلان هو الذي أختص بهذه المقاصد، وعني بما ذكر من المصادر والموارد- رسم أن يرتب في ربع إمرة بني مهدي.

فليترتب فيما رسم له به من ذلك قائماً من وظائفها بما يجب، عالماً من مصالحها بما يأتي وما يجتنب، واقفاً لاعتماد ما يرد عليه من المراسم وقوف المنتظر المرتقب ملزماً عربه من الخدم بما يؤكد طاعتهم، ومن إعداد الآهبة بما يضاعف أستطاعتهم ومن المحافظة على أسباب الجهاد بما يجعل في رضا الله تعالى ورضانا قوتهم وشجاعتهم وليقدم تقوى الله تعالى بين يديه ويجعل توفيقه العمدة فيما أعتمد فيه عليه؛ والخير يكون ، إن شاء الله تعالى".

---

[*] القلقشندي، صبح الأعشى ج١٢، ص ١٣٦-١٣٧.

ملحق (ز)

جدول بالسنوات الهجرية وما يقابلها من السنوات الميلادية[*]

(*) زامبور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي،دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

ملحق(ز)

جدول بالسنوات الهجرية وما يقابلها من السنوات الميلادية

السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية
١	٦٢٢	١٣٨	٧٥٥	٢٧٥	٨٨٨
٢	٦٢٣	١٣٩	٧٥٦	٢٧٦	٨٨٩
٣	٦٢٤	١٤٠	٧٥٧	٢٧٧	٨٩٠
٤	٦٢٥	١٤١	٧٥٨	٢٧٨	٨٩١
٥	٦٢٦	١٤٢	٧٥٩	٢٧٩	٨٩٢
٦	٦٢٧	١٤٣	٧٦٠	٢٨٠	٨٩٣
٧	٦٢٨	١٤٤	٧٦١	٢٨١	٨٩٤
٨	٦٢٩	١٤٥	٧٦٢	٢٨٢	٨٩٥
٩	٦٣٠	١٤٦	٧٦٣	٢٨٣	٨٩٦
١٠	٦٣١	١٤٧	٧٦٤	٢٨٤	٨٩٧
١١	٦٣٢	١٤٨	٧٦٥	٢٨٥	٨٩٨
١٢	٦٣٣	١٤٩	٧٦٦	٢٨٦	٨٩٩
١٣	٦٣٤	١٥٠	٧٦٧	٢٨٧	٩٠٠
١٤	٦٣٥	١٥١	٧٦٨	٢٨٨	٩٠٠
١٥	٦٣٦	١٥٢	٧٦٩	٢٨٩	٩٠١
١٦	٦٣٧	١٥٣	٧٧٠	٢٩٠	٩٠٢
١٧	٦٣٨	١٥٤	٧٧٠	٢٩١	٩٠٣
١٨	٦٣٩	١٥٥	٧٧١	٢٩٢	٩٠٤
١٩	٦٤٠	١٥٦	٧٧٢	٢٩٣	٩٠٥
٢٠	٦٤٠	١٥٧	٧٧٣	٢٩٤	٩٠٦
٢١	٦٤١	١٥٨	٧٧٤	٢٩٥	٩٠٧
٢٢	٦٤٢	١٥٩	٧٧٥	٢٩٦	٩٠٨

السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية
٢٣	٦٤٣	١٦٠	٧٧٦	٢٩٧	٩٠٩
٢٤	٦٤٤	١٦١	٧٧٧	٢٩٨	٩١٠
٢٥	٦٤٥	١٦٢	٧٧٨	٢٩٩	٩١١
٢٦	٦٤٦	١٦٣	٧٧٩	٣٠٠	٩١٢
٢٧	٦٤٧	١٦٤	٧٨٠	٣٠١	٩١٣
٢٨	٦٤٨	١٦٥	٧٨١	٣٠٢	٩١٤
٢٩	٦٤٩	١٦٦	٧٨٢	٣٠٣	٩١٥
٣٠	٦٥٠	١٦٧	٧٨٣	٣٠٤	٩١٦
٣١	٦٥١	١٦٨	٧٨٤	٣٠٥	٩١٧
٣٢	٦٥٢	١٦٩	٧٨٥	٣٠٦	٩١٨
٣٣	٦٥٣	١٧٠	٧٨٦	٣٠٧	٩١٩
٣٤	٦٥٤	١٧١	٧٨٧	٣٠٨	٩٢٠
٣٥	٦٥٥	١٧٢	٧٨٨	٣٠٩	٩٢١
٣٦	٦٥٦	١٧٣	٧٨٩	٣١٠	٩٢٢
٣٧	٦٥٧	١٧٤	٧٩٠	٣١١	٩٢٣
٣٨	٦٥٨	١٧٥	٧٩١	٣١٢	٩٢٤
٣٩	٦٥٩	١٧٦	٧٩٢	٣١٣	٩٢٥
٤٠	٦٦٠	١٧٧	٧٩٣	٣١٤	٩٢٦
٤١	٦٦١	١٧٨	٧٩٤	٣١٥	٩٢٧
٤٢	٦٦٢	١٧٩	٧٩٥	٣١٦	٩٢٨
٤٣	٦٦٣	١٨٠	٧٩٦	٣١٧	٩٢٩
٤٤	٦٦٤	١٨١	٧٩٧	٣١٨	٩٣٠
٤٥	٦٦٥	١٨٢	٧٩٨	٣١٩	٩٣١
٤٦	٦٦٦	١٨٣	٧٩٩	٣٢٠	٩٣٢
٤٧	٦٦٧	١٨٤	٨٠٠	٣٢١	٩٣٣

السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية
٤٨	٦٦٨	١٨٥	٨٠١	٣٢٢	٩٣٣
٤٩	٦٦٩	١٨٦	٨٠٢	٣٢٣	٩٣٤
٥٠	٦٧٠	١٨٧	٨٠٢	٣٢٤	٩٣٥
٥١	٦٧١	١٨٨	٨٠٣	٣٢٥	٩٣٦
٥٢	٦٧٢	١٨٩	٨٠٤	٣٢٦	٩٣٧
٥٣	٦٧٢	١٩٠	٨٠٥	٣٢٧	٩٣٨
٥٤	٦٧٣	١٩١	٨٠٦	٣٢٨	٩٣٩
٥٥	٦٧٤	١٩٢	٨٠٧	٣٢٩	٩٤٠
٥٦	٦٧٥	١٩٣	٨٠٨	٣٣٠	٩٤١
٥٧	٦٧٦	١٩٤	٨٠٩	٣٣١	٩٤٢
٥٨	٦٧٧	١٩٥	٨١٠	٣٣٢	٩٤٣
٥٩	٦٧٨	١٩٦	٨١١	٣٣٣	٩٤٤
٦٠	٦٧٩	١٩٧	٨١٢	٣٣٤	٩٤٥
٦١	٦٨٠	١٩٨	٨١٣	٣٣٥	٩٤٦
٦٢	٦٨١	١٩٩	٨١٤	٣٣٦	٩٤٧
٦٣	٦٨٢	٢٠٠	٨١٥	٣٣٧	٩٤٨
٦٤	٦٨٣	٢٠١	٨١٦	٣٣٨	٩٤٩
٦٥	٦٨٤	٢٠٢	٨١٧	٣٣٩	٩٥٠
٦٦	٦٨٥	٢٠٣	٨١٨	٣٤٠	٩٥١
٦٧	٦٨٦	٢٠٤	٨١٩	٣٤١	٩٥٢
٦٨	٦٨٧	٢٠٥	٨٢٠	٣٤٢	٩٥٣
٦٩	٦٨٨	٢٠٦	٨٢١	٣٤٣	٩٥٤
٧٠	٦٨٩	٢٠٧	٨٢٢	٣٤٤	٩٥٥
٧١	٦٩٠	٢٠٨	٨٢٣	٣٤٥	٩٥٦
٧٢	٦٩١	٢٠٩	٨٢٤	٣٤٦	٩٥٧

السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية
٧٣	٦٩٢	٢١٠	٨٢٥	٣٤٧	٩٥٨
٧٤	٦٩٣	٢١١	٨٢٦	٣٤٨	٩٥٩
٧٥	٦٩٤	٢١٢	٨٢٧	٣٤٩	٩٦٠
٧٦	٦٩٥	٢١٣	٨٢٨	٣٥٠	٩٦١
٧٧	٦٩٦	٢١٤	٨٢٩	٣٥١	٩٦٢
٧٨	٦٩٧	٢١٥	٨٣٠	٣٥٢	٩٦٣
٧٩	٦٩٨	٢١٦	٨٣١	٣٥٣	٩٦٤
٨٠	٦٩٩	٢١٧	٨٣٢	٣٥٤	٩٦٥
٨١	٧٠٠	٢١٨	٨٣٣	٣٥٥	٩٦٥
٨٢	٧٠١	٢١٩	٨٣٤	٣٥٦	٩٦٦
٨٣	٧٠٢	٢٢٠	٨٣٥	٣٥٧	٩٦٧
٨٤	٧٠٣	٢٢١	٨٣٦	٣٥٨	٩٦٨
٨٥	٧٠٤	٢٢٢	٨٣٦	٣٥٩	٩٦٩
٨٦	٧٠٥	٢٢٣	٨٣٧	٣٦٠	٩٧٠
٨٧	٧٠٥	٢٢٤	٨٣٨	٣٦١	٩٧١
٨٨	٧٠٦	٢٢٥	٨٣٩	٣٦٢	٩٧٢
٨٩	٧٠٧	٢٢٦	٨٤٠	٣٦٣	٩٧٣
٩٠	٧٠٨	٢٢٧	٨٤١	٣٦٤	٩٧٤
٩١	٧٠٩	٢٢٨	٨٤٢	٣٦٥	٩٧٥
٩٢	٧١٠	٢٢٩	٨٤٣	٣٦٦	٩٧٦
٩٣	٧١١	٢٣٠	٨٤٤	٣٦٧	٩٧٧
٩٤	٧١٢	٢٣١	٨٤٥	٣٦٨	٩٧٨
٩٥	٧١٣	٢٣٢	٨٤٦	٣٦٩	٩٧٩
٩٦	٧١٤	٢٣٣	٨٤٧	٣٧٠	٩٨٠
٩٧	٧١٥	٢٣٤	٨٤٨	٣٧١	٩٨١

السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية
٩٨	٧١٦	٢٣٥	٨٤٩	٣٧٢	٩٨٢
٩٩	٧١٧	٢٣٦	٨٥٠	٣٧٣	٩٨٣
١٠٠	٧١٨	٢٣٧	٨٥١	٣٧٤	٩٨٤
١٠١	٧١٩	٢٣٨	٨٥٢	٣٧٥	٩٨٥
١٠٢	٧٢٠	٢٣٩	٨٥٣	٣٧٦	٩٨٦
١٠٣	٧٢١	٢٤٠	٨٥٤	٣٧٧	٩٨٧
١٠٤	٧٢٢	٢٤١	٨٥٥	٣٧٨	٩٨٨
١٠٥	٧٢٣	٢٤٢	٨٥٦	٣٧٩	٩٨٩
١٠٦	٧٢٤	٢٤٣	٨٥٧	٣٨٠	٩٩٠
١٠٧	٧٢٥	٢٤٤	٨٥٨	٣٨١	٩٩١
١٠٨	٧٢٦	٢٤٥	٨٥٩	٣٨٢	٩٩٢
١٠٩	٧٢٧	٢٤٦	٨٦٠	٣٨٣	٩٩٣
١١٠	٧٢٨	٢٤٧	٨٦١	٣٨٤	٩٩٤
١١١	٧٢٩	٢٤٨	٨٦٢	٣٨٥	٩٩٥
١١٢	٧٣٠	٢٤٩	٨٦٣	٣٨٦	٩٩٦
١١٣	٧٣١	٢٥٠	٨٦٤	٣٨٧	٩٩٧
١١٤	٧٣٢	٢٥١	٨٦٥	٣٨٨	٩٩٨
١١٥	٧٣٣	٢٥٢	٨٦٦	٣٨٩	٩٩٨
١١٦	٧٣٤	٢٥٣	٨٦٧	٣٩٠	٩٩٩
١١٧	٧٣٥	٢٥٤	٨٦٨	٣٩١	١٠٠٠
١١٨	٧٣٦	٢٥٥	٨٦٨	٣٩٢	١٠٠١
١١٩	٧٣٧	٢٥٦	٨٦٩	٣٩٣	١٠٠٢
١٢٠	٧٣٧	٢٥٧	٨٧٠	٣٩٤	١٠٠٣
١٢١	٧٣٨	٢٥٨	٨٧١	٣٩٥	١٠٠٤
١٢٢	٧٣٩	٢٥٩	٨٧٢	٣٩٦	١٠٠٥

السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية
١٢٣	٧٤٠	٢٦٠	٨٧٣	٣٩٧	١٠٠٦
١٢٤	٧٤١	٢٦١	٨٧٤	٣٩٨	١٠٠٧
١٢٥	٧٤٢	٢٦٢	٨٧٥	٣٩٩	١٠٠٨
١٢٦	٧٤٣	٢٦٣	٨٧٦	٤٠٠	١٠٠٩
١٢٧	٧٤٤	٢٦٤	٨٧٧	٤٠١	١٠١٠
١٢٨	٧٤٥	٢٦٥	٨٧٨	٤٠٢	١٠١١
١٢٩	٧٤٦	٢٦٦	٨٧٩	٤٠٣	١٠١٢
١٣٠	٧٤٧	٢٦٧	٨٨٠	٤٠٤	١٠١٣
١٣١	٧٤٨	٢٦٨	٨٨١	٤٠٥	١٠١٤
١٣٢	٧٤٩	٢٦٩	٨٨٢	٤٠٦	١٠١٥
١٣٣	٧٥٠	٢٧٠	٨٨٣	٤٠٧	١٠١٦
١٣٤	٧٥١	٢٧١	٨٨٤	٤٠٨	١٠١٧
١٣٥	٧٥٢	٢٧٢	٨٨٥	٤٠٩	١٠١٨
١٣٦	٧٥٣	٢٧٣	٨٨٦	٤١٠	١٠١٩
١٣٧	٧٥٤	٢٧٤	٨٨٧	٤١١	١٠٢٠

السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية
٤١٢	١٠٢١	٥٨٤	١١٨٨	٧٥٦	١٣٥٥
٤١٣	١٠٢٢	٥٨٥	١١٨٩	٧٥٧	١٣٥٦
٤١٤	١٠٢٣	٥٨٦	١١٩٠	٧٥٨	١٣٥٦
٤١٥	١٠٢٤	٥٨٧	١١٩١	٧٥٩	١٣٥٧
٤١٦	١٠٢٥	٥٨٨	١١٩٢	٧٦٠	١٣٥٨
٤١٧	١٠٢٦	٥٨٩	١١٩٣	٧٦١	١٣٥٩
٤١٨	١٠٢٧	٥٩٠	١١٩٣	٧٦٢	١٣٦٠
٤١٩	١٠٢٨	٥٩١	١١٩٤	٧٦٣	١٣٦١
٤٢٠	١٠٢٩	٥٩٢	١١٩٥	٧٦٤	١٣٦٢
٤٢١	١٠٣٠	٥٩٣	١١٩٦	٧٦٥	١٣٦٣
٤٢٢	١٠٣٠	٥٩٤	١١٩٧	٧٦٦	١٣٦٤
٤٢٣	١٠٣١	٥٩٥	١١٩٨	٧٦٧	١٣٦٥
٤٢٤	١٠٣٢	٥٩٦	١١٩٩	٧٦٨	١٣٦٦
٤٢٥	١٠٣٣	٥٩٧	١٢٠٠	٧٦٩	١٣٦٧
٤٢٦	١٠٣٤	٥٩٨	١٢٠١	٧٧٠	١٣٦٨
٤٢٧	١٠٣٥	٥٩٩	١٢٠٢	٧٧١	١٣٦٩
٤٢٨	١٠٣٦	٦٠٠	١٢٠٣	٧٧٢	١٣٧٠
٤٢٩	١٠٣٧	٦٠١	١٢٠٤	٧٧٣	١٣٧١
٤٣٠	١٠٣٨	٦٠٢	١٢٠٥	٧٧٤	١٣٧٢
٤٣١	١٠٣٩	٦٠٣	١٢٠٦	٧٧٥	١٣٧٣
٤٣٢	١٠٤٠	٦٠٤	١٢٠٧	٧٧٦	١٣٧٤
٤٣٣	١٠٤١	٦٠٥	١٢٠٨	٧٧٧	١٣٧٥
٤٣٤	١٠٤٢	٦٠٦	١٢٠٩	٧٧٨	١٣٧٦
٤٣٥	١٠٤٣	٦٠٧	١٢١٠	٧٧٩	١٣٧٧
٤٣٦	١٠٤٤	٦٠٨	١٢١١	٧٨٠	١٣٧٨
٤٣٧	١٠٤٥	٦٠٩	١٢١٢	٧٨١	١٣٧٩
٤٣٨	١٠٤٦	٦١٠	١٢١٣	٧٨٢	١٣٨٠
٤٣٩	١٠٤٧	٦١١	١٢١٤	٧٨٣	١٣٨١
٤٤٠	١٠٤٨	٦١٢	١٢١٥	٧٨٤	١٣٨٢
٤٤١	١٠٤٩	٦١٣	١٢١٦	٧٨٥	١٣٨٣
٤٤٢	١٠٥٠	٦١٤	١٢١٧	٧٨٦	١٣٨٤
٤٤٣	١٠٥١	٦١٥	١٢١٨	٧٨٧	١٣٨٥

السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية
٤٤٤	١٠٥٢	٦١٦	١٢١٩	٧٨٨	١٣٨٦
٤٤٥	١٠٥٣	٦١٧	١٢٢٠	٧٨٩	١٣٨٧
٤٤٦	١٠٥٤	٦١٨	١٢٢١	٧٩٠	١٣٨٨
٤٤٧	١٠٥٥	٦١٩	١٢٢٢	٧٩١	١٣٨٨
٤٤٨	١٠٥٦	٦٢٠	١٢٢٣	٧٩٢	١٣٨٩
٤٤٩	١٠٥٧	٦٢١	١٢٢٤	٧٩٣	١٣٩٠
٤٥٠	١٠٥٨	٦٢٢	١٢٢٥	٧٩٤	١٣٩١
٤٥١	١٠٥٩	٦٢٣	١٢٢٦	٧٩٥	١٣٩٢
٤٥٢	١٠٦٠	٦٢٤	١٢٢٦	٧٩٦	١٣٩٣
٤٥٣	١٠٦١	٦٢٥	١٢٢٧	٧٩٧	١٣٩٤
٤٥٤	١٠٦٢	٦٢٦	١٢٢٨	٧٩٨	١٣٩٥
٤٥٥	١٠٦٣	٦٢٧	١٢٢٩	٧٩٩	١٣٩٦
٤٥٦	١٠٦٣	٦٢٨	١٢٣٠	٨٠٠	١٣٩٧
٤٥٧	١٠٦٤	٦٢٩	١٢٣١	٨٠١	١٣٩٨
٤٥٨	١٠٦٥	٦٣٠	١٢٣٢	٨٠٢	١٣٩٩
٤٥٩	١٠٦٦	٦٣١	١٢٣٣	٨٠٣	١٤٠٠
٤٦٠	١٠٦٧	٦٣٢	١٢٣٤	٨٠٤	١٤٠١
٤٦١	١٠٦٨	٦٣٣	١٢٣٥	٨٠٥	١٤٠٢
٤٦٢	١٠٦٩	٦٣٤	١٢٣٦	٨٠٦	١٤٠٣
٤٦٣	١٠٧٠	٦٣٥	١٢٣٧	٨٠٧	١٤٠٤
٤٦٤	١٠٧١	٦٣٦	١٢٣٨	٨٠٨	١٤٠٥
٤٦٥	١٠٧٢	٦٣٧	١٢٣٩		
٤٦٦	١٠٧٣	٦٣٨	١٢٤٠		
٤٦٧	١٠٧٤	٦٣٩	١٢٤١		
٤٦٨	١٠٧٥	٦٤٠	١٢٤٢		
٤٦٩	١٠٧٦	٦٤١	١٢٤٣		
٤٧٠	١٠٧٧	٦٤٢	١٢٤٤		
٤٧١	١٠٧٨	٦٤٣	١٢٤٥		
٤٧٢	١٠٧٩	٦٤٤	١٢٤٦		
٤٧٣	١٠٨٠	٦٤٥	١٢٤٧		
٤٧٤	١٠٨١	٦٤٦	١٢٤٨		
٤٧٥	١٠٨٢	٦٤٧	١٢٤٩		
٤٧٦	١٠٨٣	٦٤٨	١٢٥٠		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية
٤٧٧	١٠٨٤	٦٤٩	١٢٥١		
٤٧٨	١٠٨٥	٦٥٠	١٢٥٢		
٤٧٩	١٠٨٦	٦٥١	١٢٥٣		
٤٨٠	١٠٨٧	٦٥٢	١٢٥٤		
٤٨١	١٠٨٨	٦٥٣	١٢٥٥		
٤٨٢	١٠٨٩	٦٥٤	١٢٥٦		
٤٨٣	١٠٩٠	٦٥٥	١٢٥٧		
٤٨٤	١٠٩١	٦٥٦	١٢٥٨		
٤٨٥	١٠٩٢	٦٥٧	١٢٥٨		
٤٨٦	١٠٩٣	٦٥٨	١٢٥٩		
٤٨٧	١٠٩٤	٦٥٩	١٢٦٠		
٤٨٨	١٠٩٥	٦٦٠	١٢٦١		
٤٨٩	١٠٩٥	٦٦١	١٢٦٢		
٤٩٠	١٠٩٦	٦٦٢	١٢٦٣		
٤٩١	١٠٩٧	٦٦٣	١٢٦٤		
٤٩٢	١٠٩٨	٦٦٤	١٢٦٥		
٤٩٣	١٠٩٩	٦٦٥	١٢٦٦		
٤٩٤	١١٠٠	٦٦٦	١٢٦٧		
٤٩٥	١١٠١	٦٦٧	١٢٦٨		
٤٩٦	١١٠٢	٦٦٨	١٢٦٩		
٤٩٧	١١٠٣	٦٦٩	١٢٧٠		
٤٩٨	١١٠٤	٦٧٠	١٢٧١		
٤٩٩	١١٠٥	٦٧١	١٢٧٢		
٥٠٠	١١٠٦	٦٧٢	١٢٧٣		
٥٠١	١١٠٧	٦٧٣	١٢٧٤		
٥٠٢	١١٠٨	٦٧٤	١٢٧٥		
٥٠٣	١١٠٩	٦٧٥	١٢٧٦		
٥٠٤	١١١٠	٦٧٦	١٢٧٧		
٥٠٥	١١١١	٦٧٧	١٢٧٨		
٥٠٦	١١١٢	٦٧٨	١٢٧٩		
٥٠٧	١١١٣	٦٧٩	١٢٨٠		
٥٠٨	١١١٤	٦٨٠	١٢٨١		
٥٠٩	١١١٥	٦٨١	١٢٨٢		
٥١٠	١١١٦	٦٨٢	١٢٨٣		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية
٥١١	١١١٧	٦٨٣	١٢٨٤		
٥١٢	١١١٨	٦٨٤	١٢٨٥		
٥١٣	١١١٩	٦٨٥	١٢٨٦		
٥١٤	١١٢٠	٦٨٦	١٢٨٧		
٥١٥	١١٢١	٦٨٧	١٢٨٨		
٥١٦	١١٢٢	٦٨٨	١٢٨٩		
٥١٧	١١٢٣	٦٨٩	١٢٩٠		
٥١٨	١١٢٤	٦٩٠	١٢٩١		
٥١٩	١١٢٥	٦٩١	١٢٩١		
٥٢٠	١١٢٦	٦٩٢	١٢٩٢		
٥٢١	١١٢٧	٦٩٣	١٢٩٣		
٥٢٢	١١٢٨	٦٩٤	١٢٩٤		
٥٢٣	١١٢٨	٦٩٥	١٢٩٥		
٥٢٤	١١٢٩	٦٩٦	١٢٩٦		
٥٢٥	١١٣٠	٦٩٧	١٢٩٧		
٥٢٦	١١٣١	٦٩٨	١٢٩٨		
٥٢٧	١١٣٢	٦٩٩	١٢٩٩		
٥٢٨	١١٣٣	٧٠٠	١٣٠٠		
٥٢٩	١١٣٤	٧٠١	١٣٠١		
٥٣٠	١١٣٥	٧٠٢	١٣٠٢		
٥٣١	١١٣٦	٧٠٣	١٣٠٣		
٥٣٢	١١٣٧	٧٠٤	١٣٠٤		
٥٣٣	١١٣٨	٧٠٥	١٣٠٥		
٥٣٤	١١٣٩	٧٠٦	١٣٠٦		
٥٣٥	١١٤٠	٧٠٧	١٣٠٧		
٥٣٦	١١٤١	٧٠٨	١٣٠٨		
٥٣٧	١١٤٢	٧٠٩	١٣٠٩		
٥٣٨	١١٤٣	٧١٠	١٣١٠		
٥٣٩	١١٤٤	٧١١	١٣١١		
٥٤٠	١١٤٥	٧١٢	١٣١٢		
٥٤١	١١٤٦	٧١٣	١٣١٣		
٥٤٢	١١٤٧	٧١٤	١٣١٤		
٥٤٣	١١٤٨	٧١٥	١٣١٥		
٥٤٤	١١٤٩	٧١٦	١٣١٦		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية	السنة الهجرية	السنة الميلادية
٥٤٥	١١٥٠	٧١٧	١٣١٧		
٥٤٦	١١٥١	٧١٨	١٣١٨		
٥٤٧	١١٥٢	٧١٩	١٣١٩		
٥٤٨	١١٥٣	٧٢٠	١٣٢٠		
٥٤٩	١١٥٤	٧٢١	١٣٢١		
٥٥٠	١١٥٥	٧٢٢	١٣٢٢		
٥٥١	١١٥٦	٧٢٣	١٣٢٣		
٥٥٢	١١٥٧	٧٢٤	١٣٢٣		
٥٥٣	١١٥٨	٧٢٥	١٣٢٤		
٥٥٤	١١٥٩	٧٢٦	١٣٢٥		

ملحق(ح)

جدول بأسماء سلاطين الدولة المملوكية الأولى

ملحق(ح)

جدول بأسماء سلاطين الدولة المملوكية الأولى

السلطان	مدة سلطته
شجرالدر	٢٨ محرم ٦٤٨- ربيع الآخر ٦٤٨هـ/١٢٥٠م
المعز عز الدين آيبك	٢٩ ربيع الآخر ٦٤٨- ٢٤ ربيع أول ٦٥٥هـ/١٢٥٠- ١٢٥٧م.
نور الدين علي بن عز الدين آيبك	٢٤ ربيع أول ٦٥٥- ٢٤ ذو القعدة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٧- ١٢٥٩م
المظفر سيف الدين قطز	٢٤ ذو القعدة ٦٥٧- ١٧ ذو القعدة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩- ١٢٦٠م
الظاهر ركن الدين بيبرس البند قداري	١٧ ذو القعدة ٦٥٨- ٢٧ محرم ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠- ١٢٧٧م
السعيد بن الظاهر بيبرس	أوائل ربيع أول ٦٧٦ ربيع أول ٦٧٨هـ/ ١٢٧٧- ١٢٧٩م.
العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر	ربيع أول ٦٧٨- رجب ٦٧٨هـ/آب ١٢٧٩- تشرين الثاني ١٢٧٩م
المنصور سيف الدين قلاوون	٢١ رجب ٦٧٨- ٦ ذو القعدة ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩- ١٢٩٠م
الأشرف خليل بن قلاوون	٧ ذو القعدة ٦٨٩-١٢ محرم ٦٩٣هـ/ ١٢٩٠- ١٢٩٣م
الناصر محمد بن قلاوون(الأولى)	١٤ محرم ٦٩٣-١١ محرم هـ/ ١٢٩٣-١٢٩٤م
العادل كتبغا المنصوري	١١ محرم ٦٩٤-٢٤ صفر ٦٩٦- ١٢٩٤- ١٢٩٦م
المنصور حسام الدين لاجين	٢٤ صفر ٦٩٦-١١ ربيع ثاني ٦٩٨هـ/ ١٢٩٦- ١٢٩٩م
الناصر محمد بن قلاوون(الثائر)	١٤ جمادى الأولى ٦٩٨- ٢٣ شوال ٧٠٨هـ/ ١٢٩٩- ١٣٠٩م
ركن الدين بيبرس الجاشنكير	٢٣ شوال ٧٠٨-١٦ رمضان ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩-١٣١٠م
الناصر محمد قلاوون(الثالثة)	شوال ٧٠٩-٢١ ذو الحجة ٧٤١هـ: ١٣١٠- ١٣٤٠م
المنصور أبو بكر بن محمد بن قلاوون	٢١ ذو الحجة ٧٤١-٢١ صفر ٧٤٢هـ/ ١٣٤٠-١٣٤١م
الأشرف علاء الدين كجك	٢١ صفر ٧٤٢-١٠ شوال ٧٤٢هـ/ ١٣٤١- ١٣٤٢م
الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون	١٠ شوال-٢١ محرم ٧٤٢هـ/١٣٤٢-١٣٤٣م
الصالح عماد الدين اسماعيل محمد بن قلاوون	٢١ محرم ٧٤٣- ٤ ربيع الآخر ٧٤٦هـ/ ١٣٤٣- ١٣٥٤م
الكامل سيف الدين شعبان بن محمد قلاوون	٤ ربيع الآخر ٧٤٦- الأول من جمادى الآخرة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٥-١٣٤٦م
المظفر زين الدين حاجي بن محمد بن قلاوون	أول جمادى الآخرة ٧٤٧-١٤ رمضان ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦- ١٣٤٨م.
الناصر حسن بن محمد بن قلاوون	١٤ رمضان ٧٤٨-٢٨ جمادى الآخرة ٧٥٢هـ/ ١٣٤٨- ١٣٥١م

السلطان	مدة سلطته
(الأولى)	
الصالح صالح بن محمد بن قلاوون	٢٨ جمادى الآخرة ٧٥٢- ٢ شوال ٧٥٥هـ/ ١٣٥١- ١٣٥٤م.
الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الثاني	٢ شوال ٧٥٥- ٩ جمادى الأولى ٧٦٢هـ/ ١٣٥٤- ١٣٦١م
المنصور محمد بن المظفر حاجي	٩ جمادى الأولى ٧٦٢-١٥ شعبان ٧٦٤هـ/ ١٣٦١- ١٣٦٣م
الأشرف شعبان بن حسين	١٥ شعبان ٧٦٤- ٣ ذو القعدة ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣- ١٣٧٧م
العادل علي بن الأشرف شعبان	٣ ذو القعدة ٧٧٨- ٢٤ صفر ٧٨٣خهـ/ ١٣٧٧- ١٣٨١م.
الصالح صلاح الدين أمير حاجي	٢٤ صفر ٧٨٣-١٩ رمضان ٧٨٤هـ/ ١٣٨١- ١٣٨٢م
الظاهر برقوق مؤسس الدولة المملوكية الثانية الجراكسية	١٩ رمضان ٧٨٤هـ/ تشرين الثاني ١٣٨٢م

ملحق(ط)

جدول بأسماء الأيلخانات في الدولة الإيلخانية

ملحق(ط)

جدول بأسماء الأيلخانات في الدولة الإيلخانية

التسلسل	الإيلخان	مدى سلطته
١.	هولاكو خان بن تولاي بن جلكن	٦٥١-٦٦٣هـ/١٢٥٣- ١٢٦٤م
٢.	آياقا خان بن هولاكو	٦٦٣- ٦٨٠هـ/ ١٢٦٤-١٢٨١م
٣.	أحمد تكودار بن هولاكو	٦٨٠- ٦٨٣هـ/ ١٢٨١- ١٢٨٤م
٤.	أرغون خان بن آباقا	٦٨٣-٦٩٠هـ/ ١٢٨٤/١٢٩١م
٥.	كيخاتو خان بن آباقا	٦٩٠- ٦٩٤هـ/ ١٢٩١- ١٢٩٤م
٦.	بايدوخان بن طوغان بن هولاكو	١ جمادى ٦٩٤- ٦٩٤ ذي القعدة ١٢٩٤.
٧.	غازان خان بن أرغوان	٦٩٤- ٧٠٣هـ/ ١٢٩٤- ١٣٠٣م
٨.	أولجايتو(خدانبده) بن أرغون	٧٠٣- ٧١٦هـ/ ١٣٠٣- ١٣١٦م
٩.	أبو سعيد بحادر خان بن أولجايتو	٧١٦-٧٣٦هـ/١٣١٦- ١٣٣٥م
١٠.	أبو سعيد بحادر بن أولجايتو	٧١٦- ٧٣٦هـ/ ١٣١٦- ١٢٣٥م
	الايلخانات الذين تم تنصيبهم من قبل الوزارء والأمراء المتتالين بعد موت أبي سعيد	
١٠.	أرياخان ارتوبو كابو تولوي	
١١.	موسى خان بن علي بن بايدو	٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م
١٢.	محمد خان بن هلكو تيمور بن هولاكو	
	فترة تدخل الأمراء والوزراء في خلع وتنصيب الإيلخانات	
١٣.	ساتي بيك بلت أولجايتو	٧٣٩- ٧٤١هـ/ ١٣٣٨- ١٣٤٠م
١٤.	شاء جهان تيمور الأفرنك بن كيخاتو	٧٣٩- ٧٤٠هـ/ ١٣٣٨- ١٣٣٩م
١٥.	سليمان هان بن يشمون بن هولاكو	٧٤١- ٧٤٥هـ/ ١٣٤٠- ١٣٤٤م
١٦.	طغا تيمور خان	٧٣٩- ٧٥٣هـ/ ١٣٣٥- ١٣٥٢م
١٧.	آنو شيروان العادل	٧٤٤- ٧٥٦هـ/ ١٣٤٣- ١٣٥٥م

ملحق(ي)

كشاف الأعلام

ملحق(ي)

كشاف الأعلام

أبو ركوة: اسمه الوليد من نسل هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)، كتب الحديث وزار مكة واليمن وفي مصر دعا للخليفة العباسي القائم فالتف حوله عرب بني قرة وزناته وبايعته بالإمامة ودعت عرب الشام للانضمام لهم فسيطر على برقه فحاربه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وقبض عليه وشهر به حتى مات فقطع رأسه وصلب سنة ٣٩٧ هـ، انظر: ابن الأثير، **الكامل**،ج٨، ص٤٤.

أحمد بن حجي: هو شهاب الدين احمد بن حجي بن يزيد، أمير آل مرا من الفرسان المشهورين والشجعان المذكورين له المنزلة العالية عند السلطان ظاهر بيبرس والسلطان المنصور قلاوون، وكانوا غيرهما من الملوك والحكام يداورونه ويتقوى شده. توفي ببصرى سنة ٦٨٢ هـ، انظر ترجمته لدى اليونيني، ذيل مرآة الزمان ج ٤ ص١٨٣؛ المقريزي، **السلوك**، ج١ق٣ ص٧٢١؛ ابن تغرى، **المنهل الصافي**، ج٢، ص٢٦٢-٢٦٣.

أحمد بن مهنا: أمير آل فضل وهو شهاب الدين احمد بن مُهنا بن عيسى بن مُهنا كان ديناً، امنياً، عادلاً، كريماً، سجن في عهد السلطان الصالح إسماعيل سنة ٧٤٥ هـ في قلعة دمشق ثم طلبه السلطان الكامل في مصر وأعطاه امرة آل فضل ثم عزله وظفر حاجي وقلدها للامير سيف بن فضل ثم عزله واعاد احمد بن مهنا للامره ومات وهو متقلدها في رجب سنة ٧٤٩ هـ. انظر: ترجمته: الصفدي، **أعيان العصر**، ج١، ص١٢٤-١٢٥.

آشور بانيبال(٦٦٩ - ٦٢٧ق.م): ملك آشوري، وهو مؤسس الامبراطورية الأشورية، أواخر ملوك أشور الأقوياء كان مولعاً بالترف والطرب، (استمر حكمه أشور بانيبال ٤٢ سنة)، الدوري، رياض عبد الرحمن الدوري، سيرته ومنجزاته، بغداد، ط١، ٢٠٠١، ص ٣٦، ص٣٧.

ابو العميطر، السفياني: هو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية أحد شيوخ الأمويين، أعلن الخلافة لنفسه مستعيناً باليمانيين فدانت له سواحل بلاد الشام والبقاع والأردن وحوران سنة ١٩٥هـ، انظر الطبري، **تاريخ**، ج٨، ص٤١٥؛ شاكر مصطفى، **جنوب بلاد الشام في العصر العباسي** (١٣٢ – ٣٥٨ هـ/٧٥٠- ٩٦٩م)، عمان- الأردن ١٩٩٢م، ص٢٤؛ احمد إسماعيل علي، **تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي** (١٣٢-٢٥٥هـ /٧٥٠ –٨٧٠م)، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٣، ص٥٣-٦١.

تورانشاه: الملك غياث الدين، ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب امتد حكمه (١٩ ذي القعدة ٦٤٧ – محرم ٦٤٨ هـ) قتله المماليك واحرقوه بالنار وأغرقوه في البحر وبه انتهت الدولة الايوبية، انظر المنصوري، **مختار الأخبار**، ص٦؛ ابو شامة، **كتاب الذيل**، ص١٨٥.

الجعدي: لقب أطلق على آخر خلفاء أميه مروان بن محمد بن مروان (١٢٧– ١٣٢ هـ) ولقب بالجعدي نسبه إلى مؤدبة الجعد بن درهم، انظر: الطبري، ج٩، ص٥٤، ١٣٣؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص١١٥، حاشية١، دار الكتب العلمية، انظر سعدي أبو حبيب، مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دار لسان العرب، لبنان، د.ت، ص ٦٣-٦٥.

جمال الدين حجي: هو جمال الدين حجي بن كرامة بن بحتر التنوخي اصغر أبناء كرامة بن بحتر اقطعه صلاح الدين مدينة بيروت بعد استنقاذها سنة ٥٨٣ هـ، انظر يحيى، **تاريخ بيروت**، ص٤٥-٤٦.

جنديبو: شيخ عربي جاء ذكره في النص الذي خلفه شلمنصر الثالث الاشوري بمناسبة وقعة قرقر، عبودي، **معجم**، ص٣٢٢.

جوبان: هو الأمير جوبان بن تلك بن تداون نائب القآن ابن سعيد بن خدابندا قتل في شعبان ٧٢٨هـ. انظر المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٩١، ٣٠٤.

الحارث بن جبله: أمير غساني(٥٢٩ –٥٦٩هـ) كان يحمل لقب فيلارك، المرجع نفسه ص٣٣٥.

حسام الدين لاجين: هو السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين: السلطان الحادي عشر من المماليك (محرم ٦٩٥-١١ /ربيع الآخر ٦٩٨ هـ) وهو الذي راك الديار المصرية سنة ٦٩٧ هـ فيما يعرف بالروك الحسامي، انظر ابن تغرى، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، مخطوط (مصدر) ص١٠٨.

حُميضة: أحد أشراف مكة وهو حميضة بن أبو نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن ادريس الحسني الشريف عز الدين أمير مكة، وقع نزاع على إمرة مكة بينه وبين اخوته فهرب مستنجداً بخدابنده خان المغول: فأمره بجيش هزم من قبل محمد بن عيسى أخو مهنا وعاد حميضة إلى مكة ٧١٦هـ. وكان شجاعاً، فاتكاً، كريماً، قتل سنة ٧٢٠ هـ، انظر ترجمته: الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص٣٥٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص١٦٧-١٦٩؛ عاتق بن غيث البلادي، **الإشراف على تأريخ الإشراف**، ط١، دار النفائس .د.م ٢٠٠٢م، وسيشار إليه تالياً: البلادي، **الإشراف**.

خدا بندا: هو أخو غازان وخليفته في مملكة إيخانات فارس من ٧٠٥- ٧١٦هـ وقد تسمى عند سلطنته باسم أولجايتو محمد خدا بندا، وكان قد نشأ مسيحياً إذ عمد بأمر أمه أروك خاتون، ثم اعتنق الإسلام بناءً على رغبة زوجته، انظر المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص ٩٢٧-٩٢٨، حاشية ٤.

السعيد بركة: هو السلطان المملوكي الملك السعيد ناصر الدين بركة خان، ابن الظاهر بيبرس سلطان مصر والشام امتد حكمه (ربيع الأول ٦٧٦-٦٧٨هـ) خلعه مجموعة من الأمراء ونفي إلى الكرك، المنصوري، **مختار الأخبار**، ص٦٤-٦٨.

سلامش: هو السلطان العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس من سلاطين الدولة المملوكية البحرية دام حكمه ثلاثة اشهر وامتد(ربيع الآخر ٦٧٨-رجب ٦٧٨هـ)، المصدر نفسه، ص٦٩.

سليمان بن مهنا: هو الأمير علم الدين سلمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا، ولى أمره العرب وكان شجاعاً أقام عند المغول الإلخانية سبع عشرة سنة ثم عاد فأقام

بالرحبة وولاه الناصر احمد امرة العرب عوضاً عن أخيه موسى بن مهنا ٧٤٢هـ توفى سنة ٧٤٤هـ. وكان المسلمون والمغول يخشونه ويهابونه، الصفدي، **أعيان العصر**، ج١، ص٤٠٢؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٢، ص٢٥٨/٢٥٩.

سنقر الأشقر: هو الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نائب الشام أعلن نفسه سلطاناً في بلاد الشام وتلقب بالملك الكامل في ذي الحجة ٦٧٨هـ، المصدر نفسه، ص٧١.

سيف بن فضل: هو سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا ولي امره العرب بعد احمد بن مهنا ثم عزل وكان كثير التردد على الديار المصرية ويعود الانعامات وكان هو واخوته لا يدخلون تحت حكم أولاد مهنا قتل في أوائل سنة ٧٦٠هـ، الصفدي، **أعيان العصر**، ج١، ص٤١٧-٤١٨؛ انظر: ابن حجر، **الدرر الكامنة**،ج٢، ص٢٧٩.

شجر الدر: أم خليل الصالحية سلطانة مصر وبها ابتدأت الدولة المملوكية البحرية حكمت مصر (محرم ٦٤٨-٢٩/ ربيع الآخر ٦٤٨هـ) وكانت مدة سلطنتها سبعة وثمانين يوماً وهي من أصل تركي كانت مملوكة للسلطان الصالح نجم الدين قتلت سنة ٦٥٥هـ، المنصوري، مختار الأخبار، ص٨-٩؛ أبو شامة، **كتاب الذيل**، ص١٩٦، عبدالله بن اسعد اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٧، ج٤، ص١٠٥.

شطي بن عبية: أمير آل عقبة (عرب البلقاء وحسبان والكرك) إلى تخوم الحجاز مات في ليلة عيد الأضحى سنة ٧٤٨هـ كان مقرباً إلى السلطان وهو نظير مهنا بن عيسى في المكانة، القلقشندي، **قلائد الجمان**، ص٦٥؛ انظر: ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٢، ص٢٨٧؛ الصفدي، **أعيان العصر**،ج١، ص٤٢٥.

شلمنصر الثالث: ملك اشوري حكم (٨٥٨-٨٢٤ق.م)، عبودي، **معجم**، ص٥٣٤.

الصالح نجم الدين أيوب: من السلاطين الأيوبيين تسلم السلطنة في مصر ٢٣ شوال– ٦٣٦هـ- شعبان ٦٤٧هـ) دمشق، ٦٤٣-٦٤٧هـ، المنصوري، **مختار**

الأخبار، ص٧-٨؛ أبو شامة، **كتاب الذيل**، ص١٨٣؛ يحيى، **تاريخ بيروت**، ص٤٩، حاشية١.

طغتكين: هو الاتابك سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق ٤٩٧-٥٢٢، انظر يحيى، **تاريخ**، ص٤٠، حاشية١.

الظاهر بيبرس: أحد سلاطين الدولة المملوكية وهو الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البند قداري الصالحي النجمي تولى السلطنة بعد قتل السلطان المظفر قطز، وامتد حكمه من (١٥/ ذي العقدة ٦٥٨-٢٧/محرم /٦٧٦ هـ)، المنصوري، **مختار الأخبار**، ص١٢.

العادل نور الدين ٥٤١-٥٦٩هـ: هو السلطان نور الدين محمود بن زنكي بن آفسنقر أبو القاسم ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، انظر: أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج١، ص٢٢٧-٢٢٩.

العزيز عثمان: أحد السلاطين الأيوبيين وهو العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان بن السلطان صلاح الدين الأيوبي، كان نائباً عن أبيه في مصر ولى السلطنة في (٣/صفر ٥٨٩-٢١/محرم /٥٩٥هـ)، انظر المنصوري، **مختار الأخبار**، ص٥؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ق١، ص١١٤؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج٢، ص٢٠؛ ابن اياس، **بدائع الزهور**، ج١، ق١، ص٢٥٠؛ ابن تغرى، **النجوم الزاهرة**، ج٦، ص١٠٩.

عماد الدين زنكي: هو عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة الحاجب آفسنقر مؤسس الانابكية الزنكية في الموصل (٥٢١-٥٤١) وحلب (٥٢٢ هـ)، انظر: ابن الأثير، **التاريخ الباهر في الدولة الانابكية بالموصل**، تحقيق عبد القادر طليمات .د.ط. دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣؛ عاشور، **الحركة الصليبية**، ط١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ج١، ص٥٦٢.

عيسى بن مهنا: هو الأمير شرف الدين، عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عضية بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل، ملك العرب ت ٦٨٣هـ وولى بعده ابنه حسام الدين مهنا، انظر: ابن تغرى، **الدليل الشافي**، ج١، ص٥١٠.

كتبغـــا: هو السلطان زين الدين كتبغا المنصوري خلع من السلطنة ٦٩٦هـــ، وقنـــع بنيابته حماة وعاش بها حتى وفاته، المقريزي، السلوك، ج١، ق٣،ص ٩٤٧.

كرامة بن بحتر: أمير الغرب، زهر الدولة أبي العز كرامة بن بحتر بن علـــي بـــن إبراهيم بن الحسين التنوخي، هاجر إلى نور الدين زنكي فاقطعـــه الغـــرب وجعله أميراً فسمى أمير الغرب بذلك تحضر كرامة بعد البداوة وسكن حصن حمور، انظر ترجمته: الصفدي، **أعيان العصر**، ج١، ص٣٢٨؛ يحيى، **تاريخ بيروت**، ص٤٢-٤٣.

محمد بن عيسى: أخو الأمير مهنا بن عيسى وهو من أعيان أمراء آل فضل كـــان حسن الشكل له معرفة مدربة، حارب حميضة ومن معه من المغول فانتصر عليهم سنة ٧١٦هـــ فمعظم شأنه عند السلطان الناصر محمد، انظر: الصفدي، **أعيان**، ج٣، ص١١٧-١١٨.

المعز آيبك: أحد السلاطين المماليك، وهو المعز عز الدين آيبـــك التركمـــاني فـــي الصالحي سلطان مصر ٢٩/ربيع الاخر -٢٥ ربيع الاول /٦٥٥ هـــ، انظر: المنصوري، **مختار الأخبار**، ص٩.

ابن المقدم: شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم قائد من الـــولاة المقدمين في العهد النوري ومن كبار قادة صلاح الدين الأيوبي، قتـــل يـــوم عرفة سنة ٥٨٣هـــ، في الحجاز، ودفن في مقبرة المعلى، انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٦٢-١٦٣؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٣٩، حاشية ١، دار الكتب العلمية.

الملك العادل: السلطان الأيوبي أبو بكر بن أيوب بن شيركوه ملك مصر ودمشـــق وأعمالها ١٣ ربيع الآخر (٥٩٦-٦/ جمـــادى الآخـــر ٦١٥هـــــ)، انظـــر المنصوري، **مختار الأخبار**، ص٥-٦.

الملك المسعود: هو نجم الدين خضر ابن السلطان الظاهر بيبرس أقامه الأمير علاء الدين أيدغدي الحراني ملكاً مكان أخيه الملك السعيد في الكرك ولقبه الملـــك المسعود في ذي القعدة ٦٧٨هـــ، المقريزي، **الســـلوك**، ج٢، ص١٢٦، دار الكتب العلمية.

المنصور قلاوون: أحد السلاطين المماليك، وهو الملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفي الصالحي النجمي العلائي، قبجاقي الاصل تولى السلطنة ٢١/رجب ٦٧٨-٧ ذي القعدة /٦٨٩هـ، المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٢٢، ٢١٨، المنصوري، **مختار الأخبار**، ص٧٠-٧١.

مهنا بن عيسى ت ٧٣٥هـ: ملك العرب وأمير آل فضل، حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا ،كان معظماً عند السلاطين اجار قراسنقر والاقرم والزركاش ولا تشرد بسببهم عن وطنه خلاج عن طاعة السلطان ٧٣٥هـ قرب سلمية فحزن العرب عليه واقيم له مأتماً ولبس الناس السواد وكان عمره نيفاً وثمانين سنة، الصفدي، **أعيان العصر**، ج٣، ص٢٨٣-٢٨٤.

موسى بن مهنا بن عيسى (ت٧٤٢ هـ): أمير آل فضل، فظفر الدين موسى بن مهنا كان ينتقل في امرة آل فضل في حياة أبيه فأخذها من عمه الأمير شجاع الدين فضل بن عيسى، كان راجح العقل لم يأخذ اقطاعات من المغول توفي في جمادى الآخرة ٧٤٢هـ ودفن في تدمر، انظر المصدر نفسه، ج٣، ص٢٩٥-٢٩٦.

ناصر الدين، نوفل الزبيدي: سيد عرب زبيد، كان ذا حرمة ووجاهة وهو الذي نجا بالملك الناصر يوسف صاحب دمشق، عندها هزم جيشه أمام السلطان المعز آيبك سنة ٦٤٨هـ وكانت وفاته سنة ٦٧٥هـ، انظر ابن تغرى، **الدليل الشافي**،ص٧٦٣.

الناصر صلاح الدين: أول السلاطين الأيوبيين وهو صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي (٥٦٧-٥٨٩)، انظر المنصوري، **مختار الأخبار**، ص٣.

هيثوم، الارمني: هو الملك المجير هيثوم بن قسطنطين حاكم سيس من جهة خان المغول (هولاكو) وكانت وفاته سنة ٦٦٩هـ، انظر: المنصوري، مختار الأخبار، ص٢٧؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ص٦٩.

ملحق(ك)

كشاف الأماكن والدول والقبائل

ملحق(ك)

كشاف الأماكن والدول والقبائل

الآراميــون: من الأقوام التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية في منتصف الألــف الثاني قبل الميلاد، وكانوا بدواَ رحلاَ في بادية الشام والعراق ويتخلفون إلــى خليج العقبة غرباً وجنوب الفرات شرقاً، ولهم دور بارز في التجــارة بــين العراق والشام وآسيا الصغرى من جهة واليمن والثمود من جهة أخرى، انظر الملاح، **الوسيط**، ص ٤٧. عبودي، **معجم**، ص١٦.

الآشوريون: إمبراطورية نشأت في القرن ١٠ ق.م في العراق وامتدت إلى بلاد الشام واسيا الصغرى ،سقطت في القرن ٧ ق.م وعلى أنقاضــها قامــت الدولــة الكلدانية، الملاح، **الوسيط**، ص٤٦.

الأقُحوانة: بالضم ثم السكون وضم الحاء موضع بالأردن على شاطئ بحيرة طبرية، ١٠٣، عبدالحق، مراصد، مج١، ص١٠٣.

أم أوعال: هضبة معروفة قرب أنقد باليمامة، عبد الحق، **مراصد**، مج١، ص١١٤.

الادومية: دولة نشأت قرابة ١٣٠٠ ق.م في الجنوب من البحر الميت، انظر هنري س. عبودي، **معجم الحضارات السامية**، ط١، ١٩٨٨، د.ن،٥ص٥٢ وسيشار إليه تالياً: عبودي، **معجم**.

بنو أبو الجيش: من العشير، وهم أجداد بني ارسلان ويقطنون ضــواحي بيــروت وكانوا أعداء التنوخيين، انظر يحيى، **تاريخ بيروت**، ص٤١؛ ابــن ســباط، **تاريخ**، ج١، ص٤٨٣، **بولياك الإقطاعية**، ص٤٨.

بنو جوشن: بطن من جذام ومساكنهم بضواحي القاهرة إلى الأطــراف الشــرقية، القلقشندي، **قلائد الجمان**، ص٦٣.

بنو زريق: بطن من طي وهم بنو زريق ابن عوف بن ثعلبــة ومســاكنهم بمصــر والشام، القلقشندي، **نهاية الأدب**، ص٢٥١.

بنو لام: بطن من طئ ومنازلهم في المدينة إلى الجبلين وهم داخلون في إمرة أمراء آل ربيعة من عرب الشام، انظر: القلقشندي، **نهاية الإرب**، ص٣٩٦.

تيماء: بالفتح والمد، بليده في أطراف الشام تقع بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق، انظر الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٦٧.

جعبر: قلعة تقع على نهر الفــرات، الحمــوي، **معجــم البلــدان**، ج٤، ص٣٩٠؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، حاشية١، دار الكتب العلمية.

الجيدور: بالفتح ثم السكون وضم الدال وسكون الواو ثورة من نواحي دمشــق فــي شمالي حوران ويقال أنها والجولان كورة واحدة، **مراصد**، مج١، ص ٣٦٥.

الخروبة: حصن بسواحل بحر الشام مشرف على عكا، الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٣٦٢؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٢١٥، حاشية٣، دار الكتب العلمية.

الدولة الاخمينية: دولة فارسية أسسها كورش القاني سنة ٥٥٠ ق.م، عبودي، **معجم**، ص٥٢ .

الزويرة: موقع في الغرب من البحر الميت في أراضي قبيلة التياها كان فــي عهــد المماليك، محطة من محطات البريد بين غزة والكرك، الدباغ، **القبائل العربية**، ص١١٣-١١٤، حاشية ٢٣.

سرمين: بالفتح ثم السكون وكسر ميمه وأخره نون بليدة مشهورة من أعمال حلــب، البغدادي، مراصد، مج٢، ص٧١٠.

سَلَمِيَة: (بفتحتين): وميم ساكنة(بليدة بناحية البرية من أعمال حماة بينهمــا مســيرة يومين في طريقهما إلى حمص. البغدادي، **مراصد**، مج٢،ص٧٣١).

صرخد: بالفتح ثم السكون، والخاء معجمة، والدال مهملة، بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة، انظر: الحموي، **معجم البلــدان**،ج٣، ص٤٠١؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٢٠٩، حاشية٧، دار الكتب العلمية.

العشير: اسم يطلق على بدو الشام والدروز وعشير الشام فرقتان هما: القيسية واليمنية وكانوا كثيري الثورات ضد المماليك، انظر: ابن تغرى، **النجوم الزاهــرة**، ج٩، ص١١٥؛ زياد المدني، **مدينة حلب في العصر المملوكي الثاني مــن خلال كتاب المنتخب في تكملة تاريخ حلب**، رسالة ماجستر غير منشــورة، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٣، حاشية٢.

عينتاب: مدينة بالشام تقع شمالاً، المنصوري، **مختار الأخبار**، ص٧٢، حاشية١.

فيد: بليدة في منتصف الطريق بين مكة والكوفة وهي بقرب أجا أحد جبلـــي طـــي، البغدادي، **مراصد**، مج٣، ص ١٠٤٩.

الكسوة: قرية في أول منازل الحاج لمن يريد مصر إذا خرجوا من دمشق، مراصد، مج٣، ص١١٦٦، صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع علـــى أســـماء الأمكنة والبقاع صفي الدين عبد المؤمن بن عبدالحق البغدادي، ت ٧٣٩هــ، تحقيق وتعليق، علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١٩٩٢،١م.

مرج الصُّفَّر: سهل يقع بين دمشق والجولان، الحموي، **معجم البلـــدان**، مـــج٣، ٥، ص١٦٤.

الملوحة: قرية كبيرة من قرى حلب، الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص٦٣٨.

المماليك البحرية: طبقة من المماليك اشتراهم الصالح نجم الدين أيوب وأسكنهم في جزيرة الروضة، فعرفوا بالبحرية وقد أخضعهم لتدريب عسكري شديد، انظر المقريزي، **الســـلوك**، ج١، ق٢، ص٢٩٩-٣٠٠، **الخطـــط**، ج٢، ص٢٣٩؛ جوزيف نسيم، **العدوان الصليبي**، ص٤٠-٤١.

اليطوريون: قبائل عربية استقرت في الأجزاء الوسطى والغربية من بـــلاد الشـــام باستثناء فلسطين، ظهروا على مسرح التـــاريخ ســـنة ١١٥ ق.م وان كـــان وجودهم قبل ذلك التاريخ اتسعت أملاكهم على حساب السلوقيين فامتدت إلى بحيرة طبرية وشمال الأردن وهاجموا بيروت وجبيل وسيطروا على عرقـــة وابيلا وخلبيون (حلب) وحوران، عباس، **تاريخ بلاد الشـــام**، ص٩٢-٩٣؛ انظر نقولا زيادة، **التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب**،ص١٠٠؛ عبودي، **معجم**، ص١٨١.

ملحق(ل)

كشاف المصطلحات

ملحق(ل)

كشاف المصطلحات

الأخباز: جمع خبز بضم الخاء وسكون الباء ومعناه اقطاع من الأرض، المقريـزي، **السلوك**، ج١، ق١، ص ٦٥، حاشية ٦٥.

الاطلاقات: هي: جمع إطلاق أما تقرير عدل لما قرره أحد الملوك السالفة أو ابتداء في معروف أو زيادة في إحسان على ما كان مقرراً ومن معانيه أيضـاً قطعـة أرض تمنح وتعطى من جميع أنواع الضرائب، المقريزي، السـلوك، ج١، ق٣، ص ٧٨٨، حاشية ٤.

التشريف: الخلعة أو الملابس المهداه من السلطان إلى كبار الأمراء فـي مناسـبات خاصة أهما التعيين في الوظائف الكبـرى كالنيابـات، عاشـور، **العصـر المماليكي**، ص٤٢٣.

التقادم: هي الهدايا المقدمة إلى السلاطين وتتكون من الخيل والجمال، القلقشندي صبح الأعشى، ج١٢، ص١٢٧.

التقليد: المرسوم الموقع من السلطان لتعيين شخص في وظيفة كبيرة، المرجع نفسه ص٤٢٤ .

الجاشنكير: الأمير الذي يقوم بذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاَ من أن يدس عليه فيه السم أو نحـوه، القلقشـندي، **صـبح الأعشـى**، ج٥، ص٤٦٠.

الجاليش: الطليعة من الجيش (مقدمة القلب)، المنصـوري، **زبـدة الفكـرة**، ص١٩٧؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٦٢٨؛ ابن تغرى، **النجوم الزاهـرة**، ج٧، ص١٠١.

جريدة: فرقة من العسكر الخيالة لا رجاله فيها ،ويقال ركب السلطان جريـده .. أي ركب على وجه السرعة دون أن يصطحب معه اثقالاً أو حشداً، المقريزي، **السلوك**، ج١، ص١٠٦، حاشية٨؛ عاشور، **العصر المماليكي** فـي مصـر والشام، ط٢، دار النهضة الغربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٤٢٦.

الخفر: يقال خفر الرجل وخفر به وعليه يخفر خفراً إجاره ومنعه وأمنه؛ والخفارة بالفتح والضم، وقيل الخفرة والخفارة، والخفارة: الأمان، وخفير النوم: مجيرهم الذين يكونون في ضمانة ما دامو في بلاده.(لسان العرب).

الدرك: التبعة، فيقال درك السلطان أمراء العربان بالبلاد أي جعلها تحت دركهم وتبعتهم وخفارتهم، انظر المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٢، ص٤٦٥، حاشية١؛ بولياك، **الإقطاعية**، ص١٢٨.

الروك: كلمة قبطية اصطلح على استعمالها للقيام بعمليات مسح الأرض، وحصرها في سجلات لتقدير درجة خصوبتها ولتقدير الخراج عليها وإعادة توزيع اقطاعها بشكل مناسب، وأول روك كان في عهد السلطان المملوكي حسام الدين لاجين ( ) ثم في عهد السلطان الناصر محمد وكان على عدة مراحل، انظر: المقريزي، **السلوك**، ج٢، ص١٢٧، (دار الكتب العلمية)؛ ابن تغرى، **النجوم الزاهرة**، ج٨، ص٩٠؛ طرخان، **النظم الإقطاعية**، ص٦٩؛ زياد المدني، **مدينة حلب**، ص٢٧٦، حاشية٥.

السياق السلطاني: حمل أثقال السلطنة على ألف جمل في حالة سير الركب من مصر إلى الشام، ابن أبيك كنز الدرر، ص١١٥.

شاد (مشد): مفتش، فيقال شاد الدواوين أي الذي يفتش على الدواوين ويراجع حساباتها، المقريزي، **السلوك**، ج١، ص١٠٥، حاشية٢؛ عاشور، **العصر المماليكي**، دار النهضة ص٤٤٨-٤٤٩.

الشحاني: جمع شحنة وهو رئيس الشرطة والموكل بالأمن في بلد من البلاد، المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٩٧٩، حاشية ٣.

طرد وحش: نوع من قماش حرير منقوش بمناظر الصيد والطرد وكانت تصنع منه بعض الخلع السلطانية، عاشور، **العصر المماليكي**، ص٤٥٤.

العداد: ما يعرضه السلطان سنوياً على قطعان القبائل العربية والتركمانية وكانت تصل في كل سنة إلى عشرات الآلاف من الغنم، عاشور، **العصر المماليكي**، ص٤٤٥.

العلامة السلطانية: هي ما يكتب السلطان بخطة على صورة اصطلاحية خاصة وكان لكل سلطان علامة وتوقيع، المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣٤٤، حاشـــية١؛ عاشور، **العصر المماليكي**، دار النهضة، ص٤٥٧.

القراغول: عند المغول جماعة من العسكر كان يناط بهم حراسة الطرق عند المغول.(المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٣، ص ٩٧٩ ، حاشية ٢.

القود: ما يبعث به قبائل العرب إلى السلاطين من الهدايا من الخيل والإبل والحيوانات العزيزة، المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٢، ص٣٨٨.

الكزاغند: جمعه كزاغنديات وهو المعطف القصير يلبس فوق الزرديه، ويصنع من القطن أو الحرير المبطن، المقريزي، **السلوك**، ج١، ق، ص٢٥٣، حاشية٤.

الكشاف: جمعه كشافة، جماعة معينة من العسكر تقوم بكشف أخبار العـــدو، انظـــر عاشور، **العصر المماليكي**، دار النهضة، ص٤٦٥.

الكمخا: القطيفة الحرير، البيومي، **النظم المالية**، ص٤٠٣.

كنجي: قماش منسوج من الحرير والقطن وكان يصنع في بادئ الأمر فـــي كنجـــه بجهات اران فانتسب إليها، العيني، **عقد الجمان**، ج٤، ص٤٠٩، حاشية١.

الأدر السلطانية: من ألقاب التشريف التي تستعمل للإشارة إلى الخوندات أو صاحبات العصمة من علية النساء، دون ذكر أسمائهن. انظر القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج٤، ص٢٧١-٢٧٢، ابن شاهين، **زبدة كشـــف الممالـــك**، ص١٢١-١٢٢، عاشور، **العصر المماليكي**، ص٤١٠، وسيشار إليه تالياً: عاشور، **العصـــر المماليكي**.

المرسوم: ما جرت العادة بكتابته للمسامحة من المقـــررات واللـــوازم الســـلطانية، القلشندي، **صبح الأعشى**، ج١٣، ص٢٣، المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص ١٣٦.

مسمط: قماش من الحرير الأصفر والأحمر مزين بنقش بارز، العيني، **عقد الجمان**، ج٤، ص٤٠٩، حاشية٣.

المطلقات: جمع مطلق، وهي ما يرسله السلطان من رسائل عامة إلى نوابه بمصر ونيابات الشام وقد تكون في سريتكم والإيراد وإظهاره إلى عند الوقوف عليه فتصدر والحالة هذه مختومة، المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص٩٣، حاشية ٢.

المقدم: لقب يطلق على شيخ العشير وهو اقل رتبة من لقب الأمير، انظر: العمري، **التعريف**، ص١٠٥-١٠٦؛ الخالدي، **المقصد الرفيع**، ص١٥٦.

الملطفات: رسائل تكيف إلى الأمراء، **صبح الأعشى**، ج١، ص٣٣، حاشية ٨.

منشور: جمعه مناشير وهي في الأصل كل ما يصدر عن السلطان من مكاتبات لا تحتاج إلى ختم كالمكاتبات الخاصة بالولاية وضخ الاقطاعات، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١٣، ص١٥٨؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص٤٧٧.

المهمندار: هو الذي يتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ويتحدث في القيام بأمرهم، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص٢٢؛ ج٥، ص٤٥٩؛ انظر: تاج الدين عبد الوهاب السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم الإصلاح السياسي والإداري في الدولة العربية الإسلامية**، ط١، دار الحداثة، بيروت- لبنان، ١٩٨٣، ص٣١-٣٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

سيـــــــرة ذاتيـــــــة

الاسم: آمنة محمود عودة الذيابات.

الكلية: العلوم الاجتماعية.

القسم: التاريخ.

التخصص: تاريخ إسلامي

- بكالوريوس تاريخ ١٩٨٤.
- ماجستير تاريخ ١٩٩٩.
- دكتوراه تاريخ ٢٠٠٦.

الهاتف الأرضي: ٢٣٦٨١٠١.

الهاتف النقال: ٠٧٩٦١٧٥٨٧٧.

البريد الإلكتروني: **Amneh ١٠١@ yahoo.com**